فضيلة الشّيخ الدّكتور محمّد عبد السّتّار السّيّد

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

القرآن الكريم معجزةٌ خالدةٌ لكلّ زمانٍ ومكانٍ، وعطاؤه متجدّدٌ لا ينفد، وكلّما تطوّر العقل البشريّ استطاع أن يستمدّ من القرآن الكريم وعلومه ما يوافق التّطوّر العلميّ الّذي وصل إليه.

وآيات القرآن الكريم مكتنزة بعطائها العلميّ والفكريّ والرّوحيّ، وهو كتاب هدايةٍ فيه إشاراتٌ علميّةٌ لا يمكن أن تُصادم العقل البشريّ في أيّ زمنٍ من الأزمان.

وهذا التّفسير هو محاولة تدبّرٍ لآيات كتاب الله امتثالاً لأمره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمّد]، متمسّكين بهدي نبيّنا محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو الّذي عليه نزل وبه أخذ وعمِل، فقد كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرآناً يمشي بين النّاس في نهجه وسيرته وسلوكه وهديه وأقواله وأفعاله وبالعلم الّذي به أمر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فكان هذا التّفسير الجامع محاولةً عصريّةً للأخذ من عطاء القرآن الّذي لم يفرغ في زمن النّزول، وإنّما تعدّى كلّ العصور، ومواكبةً لتطوّر العقل البشريّ ومعطيات العلم الحديث في فهم النّصّ من خلال التّفكّر والتّعقّل والتّدبّر الّذي أمر به القرآن الكريم: (أفلا يعقلون، أفلا يتفكّرون، أفلا يتدبّرون، أفلا ينظرون).

والله وليّ التّوفيق

الشّيخ الدكتور محمّد عبد السّتّار السيّد

الجُزءُ الخامس

سورة النّساء

من الآية (٢٤-١٤٧)

(الآية ٢٤) - ﴿۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾﴾:

﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾: المحصنة من النّساء هي التي دخلت في حصن الزّوجيّة؛ أي المتزوّجة، فلا يحلّ الزّواج منها.

﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ﴾: مُلك اليمين هنّ السّبايا في حربٍ مشروعة، ولم يكن الرّقّ سائداً في شبه الجزيرة العربيّة فقط، وإنّما في كلّ المجتمعات، فقد كان العالَم أجمع يعاني من قضيّة العبيد والرّقّ، فجاء الإسلام ليصفّي الرّقّ عن طريق عتق الرّقاب.

وملك اليمين لا يَرِدْ إلّا في حال وجود الرّقّ نتيجة المعارك أو القوانين المتعارف عليها في ذلك الوقت، ولا يستطيع الإنسان اليوم أن يعدّ الخادمة، أو من يُريد، مُلك يمينه. أيستطيع كلّ إنسانٍ أن يضع حكماً شرعيّاً على مِزاجه؟ أم الشّرع يكون كما أراد الله ﷻ وكما بيّن رسوله ﷺ؟! فمثلاً لا يستطيع أحدٌ أن يأتي بآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النّساء: من الآية ٤٣]، فإن رأى أحداً يصلّي يقول له: انتبه! جاء في القرآن: ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، فاترك الصّلاة، فهل هذا يستقيم عقلاً؟؟!! وكذلك الأمر بالنّسبة لمُلك اليمين، فلا يمكن أن تأخذ حكماً من الأحكام المتعلّقة بزمنٍ معيّنٍ،

أو إذا كان مُتعلَّق الحكم غير موجود؛ لأنّ الحكم معطّل.

إذاً: لِمَ هو موجودٌ في القرآن الكريم، والقرآن الكريم صالحٌ لكلّ زمانٍ ومكانٍ؟ لا ندري لعلّه بعد ألف عامٍ أو بعد مئة عامٍ سيعود الرّقّ والعبوديّة إلى البشريّة، فهل كان يخطر ببال أحدٍ في العالم أو الدّنيا أنّ ما رأيناه وما نراه من إجرامٍ وإرهابٍ وتطرّفٍ وذبحٍ وقتلٍ أن يحدث تحت شعاراتٍ إسلاميّةٍ أو دينيّةٍ؟ لم يكن أحدٌ يجرؤ أن يتخيّل أو يتوقّع هذا الأمر، فالإسلام والشّرائع والأحكام لا تأتي على مقاسك ومقاسي ورغبتك ورغبتي، إنّما كما يريد الله ﷻ. وهو الحكيم العليم الخبير؛ الّذي خلق الإنسان ويعلم ما يصلح له في كلّ زمانٍ. والقرآن الكريم: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: من الآية ١]، من لدن ربّ حكيم، وهو كلامه ﷻ: ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢﴾ [فصّلت]. فمهما كانت هناك محاولاتٌ لتشويه معالم الإسلام وأحكامه وشرعه، فسيكون مصيرها الفشل؛ لأنّ الله تعالى تكفّل بحفظه، قال ﷻ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾[الحجر].

﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾: هذا فرضٌ من الله ﷻ.

﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ﴾: من غير الّذي ورد من كلّ محرّمات النّسب والرَّضَاعة والمصاهرة والمتزوّجات.

﴿أَن تَبۡتَغُواْ بِأَمۡوَٰلِكُم﴾: لا بدّ من دفع المهر، والمهر هو عبارةٌ عن هديّةٍ للزّوجة، وهو نوعٌ من القيم والأخلاق التي تتعلّق بالزّواج.

﴿مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ﴾: متعفّفين غير زُناة.

﴿فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗ﴾: من تزوّجتم بهنّ فالمهر فريضة.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ﴾: لا حرج عليكم إن تنازلت هي عن جزءٍ من المهر ممّا اتّفقتم عليه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾: وهو عليمٌ حكيمٌ وسيبقى عليماً حكيماً.

(الآية ٢٥) - ﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٥﴾:

﴿طَوۡلًا﴾: قدرةً وغنىً.

﴿أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾: الحرائر.

﴿فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ﴾: فليتزوَّج جاريةً شرط أن تكون مؤمنةً.

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ﴾: اعملوا على الظَّاهر في الإيمان فإنَّكم مُتعبَّدون بما ظهر والله ﷻ يتولَّى السَّرائر.

﴿بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ﴾: دينكم واحدٌ، فأنتم متساوون من هذه الجهة،

فمتى وقع لأحدكم الضَّرورة جاز له تزوُّج الأَمَة.

﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ﴾: اخطبوهنَّ إلى ساداتهنَّ.

﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مهورهنَّ.

﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾: من غير مطلٍ وضررٍ.

﴿مُحۡصَنَٰتٍ﴾: عفائف.

﴿غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾: غير زوانٍ علانيةً.

﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٍۚ﴾: غيرُ زوانٍ سرّاً، أخدان: تعني أخلّاء.

الْمُسَافِحَة: هِيَ التي تتّبع كُلَّ مَن دعاها، وذات الخِدن: أن تَخْتَصَّ بواحدٍ لا تزني إلَّا معه، والعربُ كانت تُحرِّمُ الأُولى وتُجَوِّزُ الثَّانية.

﴿فَإِذَآ أُحۡصِنَّ﴾: تزوَّجن.

﴿فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ﴾: بزنا.

﴿فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ﴾: أَي: الحدِّ.

﴿ذَٰلِكَ﴾: أَي: نكاح الأَمَة.

﴿لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ﴾: لمن خاف أن يزني بسبب غلبة الشّهوة فيلقى العنت، وهو الحدُّ في الدُّنيا والعذابُ في الآخرة.

إذاً: أَباحَ الله ﷻ نكاح الأَمَة بشرطين:

- أحدهما: عدم الطَّول.
- الثّاني: خوف العَنَت.

﴿وَأَن تَصۡبِرُواْ﴾: أَي: عن نكاح الإماء.

﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾: لئلّا يصير الولد عبداً.

(الآية ٢٦) - ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٦﴾:

﴿سُنَنَ﴾: تعني النّاموس الحاكم لحركة الحياة، والتي مضت عليها الأمور. عبر كلّ الأزمنة هناك سننٌ كونيّةٌ لا تتخلّف، فعندما يتحدّث المولى تبارك وتعالى عن الحلال والحرام والأوامر التي تتعلّق بالميراث، وعن الزّواج وما يحلّ من النّساء وما يحرم، وكلّ ما يتعلّق بأحكام الأسرة فإنّه ﷻ قد بيّن هذه الأمور، ولا تجريم إلّا بالنّصّ؛ أي لا يمكن تطبيق العقاب إلّا إذا بُيّن الأمر، فمن رحمته ﷻ وحكمته أنّه قد بيّن لنا.

(الآية ٢٧) - ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧﴾:

نحن نعتقد أنّ الآية مكرّرة، لكنّ الحقيقة ليست كذلك، ففي الآية السّابقة قال ﷻ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٦﴾، وفي هذه الآية يقول ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧﴾.

لماذا هذا التّكرار؟ الآية الأولى أن يتوبَ عليكم، أي أنّه شرع التّوبة لتتوبوا، ولو أنّ الله ﷻ لم يشرّع التّوبة، ولم يرد أن تكون بشرائعه، لكان الإنسان إذا ارتكب ذنباً سيُحاسب عليه وليس له توبة، ثمّ جاءت الآية

الثّانية: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي أنّه ﷻ يتقبّل توبتكم.

إذاً: فالله ﷻ أوّلاً شرع التّوبة، وثانياً يتقبّل التّوبة، وهذا من فضله ﷻ ورحمته علينا، وهو الفارق بين الآيتين.

﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا﴾: يوجد شهواتٌ مركوزةٌ في طبيعة الإنسان البشريّة، وقد ضبط الإسلامُ الشّهواتِ ووضع لها حدوداً وضوابطَ، فلا يجوز أن نتعدّاها أو نتجاوزها، فالإنسان يأخذ بسنن وفرائض الله ﷻ في الكون، وقد تضعف نفسه فيُخطئ أو يرتكب ذنباً، وفي هذه الحالة شرع له التّوبة ليتوبَ عليه، أمّا الذين يتّبعون الشّهوات؛ أي جعلوا الشّهوة هي الحاكم الأساسيّ لحركتهم ولسيرهم في الحياة الدّنيا كشهوة حبّ المال (يسرق، يرتشي..)، شهوة الجنس (يرتكب الزّنا، ويرتكب المحرّمات)، شهوة الخيلاء، شهوة القسوة وغيرها... فإنّهم لا يريدون أن يروا إنساناً مستقيماً، ولا يريدون أن يروا إنساناً يرتكب الخطأ نتيجة الشّهوة ثمّ يتوب ويستغفر، ولن يستقيم لهم الأمر حتّى يروا الآخرين يتّبعون الشّهوات ويكونون مثلهم، فالإنسان الكاذب يتمنّى أن يكون كلّ النّاس كاذبين، والسّارق يتمنّى أن يكون كلّ النّاس سارقين، وهكذا...؛ لأنّ النّقص الّذي فيه يريد أن يراه في الآخرين، فيتعذّب عندما يرى إنساناً صادقاً وهو كاذبٌ، وعندما يرى أميناً وهو سارقٌ، وعندما يرى عفيفاً وهو زانٍ.

(الآية ٢٨) - ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨﴾:

من عظمة هذا الدّين قوله ﷻ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ

﴿ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: من الآية ١٨٥]، وهذه الكلمة توجّه لكلّ المتشدّدين والمتطرّفين والّذين يغالون في الدّين، فالدّين دين يسرٍ، والنّبيّ ﷺ ما خُيّر بين أمرين إلّا اختار أيسرهما، فما بالنا نشدّد على النّاس؟ ما بالنا نضيّق على النّاس؟ والله ﷻ يقول: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ هناك تخفيفٌ للإنسان في كلّ أمرٍ من الأمور، وفي التّكاليف الدّينيّة والشّرعيّة، فمثلاً في فرض الصّيام قال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، وبعدها مباشرةً قال: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: من الآية ١٨٥]، يريد الله ﷻ أن يخفّف عنكم، ولكن قد تقول: إنّك لا تتعب بالسّفر، لكنّه ﷻ يريد أن يخفّف عنكم، لماذا؟ لأنّه ﷻ يعلم أنّ طبيعة الإنسان فيها ضعفٌ، من أين أتى الضّعف؟ من حريّة الاختيار. فالإنسان يضعف أمام الشّهوة، ويضعف أمام المغريات، ويضعف أمام المال.. وليعالج الله ﷻ هذا الضّعف فهو يخفّف عنّه، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: من الآية ٢٨٦]، فتصوّروا هذه الآيات الثّلاث المتتالية:

١- الآية التي مرّت بنا: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾.

٢- والآية التي بعدها: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾.

٣- ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾.

فبعدما تحدّث المولى ﷻ عمّا يتعلّق بالمرأة واليُتْمِ والميراثِ، وعن أحكام الزّواج وما يتعلّق به بالنّسبة للمحرّمات من النّساء، يبيّن ﷻ لنا بأنّه يريد أن يتوبَ علينا إذا أخطأنا، ويخفّف عنّا. لذلك نجد سيّدنا عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما قال عن سورة (النّساء) فيها ثمان آياتٍ هي خيرٌ لأمّة محمّدٍ ممّا طلعت عليه الشّمس وغَرَبت، الأولى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾، والثّانية: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾، والثّالثة: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾، والرّابعة: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾، والخامسة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾، والسّادسة: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾، والسّابعة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾، والثّامنة: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾، هذه الآيات الثّمانية في سورة (النّساء) هي خيرٌ لهذه الأمّة ممّا طلعت عليه الشّمس، فكلّ هذه الآياتِ عطاءٌ ورحمةٌ ومغفرةٌ وعدلٌ وتخفيفٌ ويسرٌ، لذلك قلنا: إنّ سورة (النّساء) وكلّ آيات القرآن الكريم هي أعظم عطاءٍ للبشريّة من لدُن ربّ العالمين.

(الآية ٢٩) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩﴾:

الآيات السّابقة تكلّمت عن النّفس البشريّة، وحقوق المرأة، والميراث، وعن الأيتام وحقوقهم، والضّعف الّذي يعتري الإنسان، والتّخفيف الّذي جاء من الله ﷻ مناسباً له، ثمّ يأتي الكلام عن الأموال والدّماء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: دائماً يأتي بعدها تكليف، فهي ليست إخبار وإنّما تكليف، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: من الآية ١٨٣]، ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡ﴾ [البقرة: من الآية ٢١٦]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ﴾ [الحجرات: من الآية ١١]، فدائماً بعد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ انتظر تكليفاً، لمن هذا التّكليف الإيمانيّ؟ لمن آمن بالله ﷻ بأنّه حكيمٌ وعليمٌ؛ خالقٌ؛ قادرٌ؛ خلق الإنسانَ، ويعلم ما يناسبه في هذه الحياة، وفي الحياة الآخرة الدّائمة، وبعد كلّ ما ورد عن النّفس البشريّة وعن الميراث والأعراض والنّساء يبيّن المولى ﷻ أمراً مهمّاً وهو من مقاصد الشّريعة الإسلاميّة؛ ألا وهو حفظ الأموال والدّماء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾: لماذا يمثّل المال بالأكل؟ لأنّ الشّيء الّذي في فكر الإنسان هو الطّعام، وتحويل المال إلى طعامٍ كأنّك تأكل أكلاً، والمال إذا كان حلالاً ينبت منه اللّحم الحلال، وإن كان حراماً فكلّ ما نبت منه فالنّار أولى به.

﴿لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾: وهل يأكل الإنسان ماله بالباطل؟ نعم، النّفس البشريّة هي كنفسٍ واحدةٍ، والمؤمنون كما قال ﷺ: «**ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادّهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر جسده بالسّهر والحمّى**»(١)، فمعنى أكلتَ مالك بالباطل؛ أي أنفقت مالك في الموبقات، وفي غير الإعمار والبناء والعطاء والخير والبركة، أو تاجرتَ بالممنوعات وبما يغضب الله ﷻ ويسيء للآخرين، أو أنّك أخذت رشوةً، أو سرقت، أو...، وكذلك أيضاً تصحّ ﴿لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ أي لا يأكل أحدٌ مال أخيه؛ لأنّ مالك ومال أخيك كالمال الواحد، فأخوك في الوطن وفي الإنسانيّة وفي البشريّة، ولا يحقّ لك أن تأكل مال الغير بالباطل، والباطل هو أن تأخذ الشّيء بغير حقّه.

ويجوز ذلك في حالةٍ واحدةٍ: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ والتّجارة هي من المال الحلال، هذا ما يتراضى عليه النّاس في التّعامل الماليّ، ولا يجوز للإنسان أن يتلف ماله أو يأكل مال غيره، فيغتصب المال والأرض وكلّ المحرّمات؛ لأنّ مال الفرد هو مال الأمّة؛ ولأنّ الإنسان أخو الإنسان أحبّ أم كره.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾: من يقتل غيره كأنّه يقتل نفسه، قال تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: من الآية ٣٢]، ومعنى قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾:

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الأدب، باب رحمة النّاس والبهائم، الحديث رقم (٥٦٦٥).

١- يصحّ أن تكون نهياً عن الانتحار.

٢- ويصحّ أن تكون نهياً عن قتل الآخرين بغير الحقّ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمًا﴾: فمن رحمته ﷻ ورأفته بكم أيّها النّاس أنّه شرع لكم هذه الشّرائع.

ويتبيّن لنا في هذه الآيات أنّ الإسلام حفظ الدّماء والأموال والأعراض، قال النّبيّ ﷺ في حجّة الوداع: «**أَيّهَا النّاسُ اسْمَعُوا قَوْلِي، فَإِنّي لَا أَدْرِي لَعَلّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا بِهَذَا الْمَوْقِفِ أَبَدًا؛ أَيّهَا النّاسُ، إنّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ إلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبّكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، وَكَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا، وَإِنّكُمْ سَتَلْقَوْنَ رَبّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ وَقَدْ بَلّغْت**»[1]، الدّماء محرّمةٌ، وأشدّ الحرمات على الإطلاق الاعتداء على النّفس البشريّة، وكذلك الاعتداء على الأعراض والأموال، ومن مقاصد الشّريعة الإسلاميّة حفظ النّفس وحفظ الدّين، وكلّ ما يرد في كتاب الله تعالى وفي سنّة نبيّه ﷺ يُقاس على هذه المقاصد الشّرعيّة الأساسيّة التي وردت في نص القرآن الكريم، وفيما صحّ من سنّة النّبيّ ﷺ، فكيف يمكن أن نقبل أن يَقْتُلَ إنسانٌ إنساناً بحجّة الدّين؟ وأن يعتدي إنسانٌ على الأعراض بحجّة جهاد النّكاح؟ هذا الّذي ألصقوه ظلماً وعدواناً بالجهاد وبالنّكاح، كيف يمكن أن تسرَقَ وتُدَمَّرَ أموالُ البلادِ والعبادِ، وتُخَرَّبَ البُنى التّحتيّة وتُدَمَّرَ شبكات الكهرباءِ والمياه وأنت تقول: الله أكبر؟ كيف يستقيم

(١) سيرة ابن هشام: ج٢، ص ٦٠٣-٦٠٥.

ذلك؟ الله أكبر لها متطلّباتٌ، وأشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله لها واجباتٌ ووظائفٌ، فلا يمكن أن أطلق الشّعار، وأطبّق عكس ما جاء في تعاليم الدّين الإسلاميّ، وممّا يطلبه الدّين الإسلاميّ الحفاظ على النّفس البشريّة وعدم الاعتداء عليها وعلى الآخرين، فمن الّذي قال: إنّ المشرك أو الكافر بالله ﷻ يجب علينا قتله؟ نحن نأخذ بتفسير القرآن الكريم، وفعل النّبيّ ﷺ وهو التّفسير الأعظم للقرآن الكريم، فهل كان النّبيّ ﷺ يقتل المشرك لأنّه مشركٌ أو لأنّه معتدٍ؟ نحن نقاتل المشركين لكونهم معتدين وليس لكونهم مشركين؛ لأنّ علاج الإشراك بالحوار، وعلاجه أن تطرح: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٦]، و﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [الكهف: من الآية ٢٩]، وتعرض الإقناع والاختيار بدلاً من الإجبار والإكراه.

فعندما انتصر النّبيّ ﷺ، ودخل إلى مكّة فاتحاً قال: «**اذهبوا فأنتم الطّلقاء**»(١)، لم يُسلم أحدٌ منهم وكانوا كلّهم مشركين، لم يعتدِ المسلمون أبداً على أيّ ديانةٍ أخرى أو حتّى على المشركين بالله ﷻ إلّا إذا كان ردّاً للعدوان، قال ﷻ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠﴾ [الحجّ]، فالاعتداء هو

(١) سنن البيهقيّ الكبرى: كتاب السّير، باب فتح مكّة حرسها الله تعالى، الحديث رقم (١٨٠٥٥).

الّذي يوجب القتال وليس الإشراك، ولو كان الإشراك يوجب القتال لكان يجب علينا أن نقاتل كلّ من كان غير مسلمٍ، أو ليس مؤمناً بالله ﷻ، أو ليس على بقيّة الكتب السّماويّة والأديان، وهذا لا يصحّ عقلاً، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس]، وقال تعالى مُخاطباً نبيّه ﷺ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾﴾ [الغاشية]، فالله ﷻ هو الّذي يعذّبه وليس أنت، كما قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية].

فالحفاظ على الأعراض، والحفاظ على الدّماء، والحفاظ على الأموال من أهمّ الأساسيّات ومقاصد التّشريع الإسلاميّ التي جاء الإسلام ليحافظ عليها، وكلّ ما ورد الآن فيما يتعلّق بالمرأة وحقوقها، وحقوق الأيتام والميراث والزّواج وأحكامه، وأحكام الحلال والمحرّمات من النّساء، والتّخفيف عن النّاس والتّوبة لله ﷻ، وتحريم أكل الأموال بالباطل، وتحريم الاعتداء على النّفس البشريّة، هذه كلّها من أهمّ الأسس التي قامت عليها الشّريعة الإسلاميّة، فكلّ من يرتكب فعلاً يخلّ فيه بهذه المبادئ الأساسيّة وهذه المقاصد الشّرعيّة، فإنّه قد خرج عن تعاليم الإسلام، ولا علاقة للإسلام بجرائمه، فيُنسب إلى جرائمه ولا يُنسب إلى الإسلام الّذي يدّعيه، وهذا يجب أن يكون واضحاً للنّاس جميعاً، فلا يمكن لحوادث الاعتداء والقتل والإرهاب والتّكفير والقسوة والعنف أن يكون لها أيّ صلّةٍ بتعاليم الشّريعة

الإسلاميّة، والإسلام هو دعوةُ الخير للغير والمعاملة بالتي هي أحسن في كلّ ما يتعلّق بفعل الإنسان أو حتّى بقوله، حتّى القول، نهانا الله ﷻ عن القول الفاحش فقال جلّ وعلا: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البقرة: من الآية ٨٣]، ولم يقل: قولوا للمسلمين: حسناً، وبيّن النّبيّ ﷺ الأمر فقال: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ، وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ**»[1]، لو أتينا إلى تعريف المسلم لوجدنا أنّ المسلم هو مَن شهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله، وأقام الصّلاة، وآتى الزّكاة، وصام رمضان، وحجّ البيت إن استطاع إليه سبيلاً، وهذه هي أركان الإسلام، أمّا الإيمان فأن تؤمن بالله ﷻ وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشرّه، بينما النّبيّ ﷺ يقول: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**».

إذاً؛ مقاصد هذه الشّعائر، وارتباط الشّعائر بالمقاصد هو أنّك لن تكون مسلماً إلّا إذا سلم المسلمون من لسانك ويدك، ولن تكون مؤمناً بالله ﷻ إلّا إذا أمِنك النّاس جميعاً -بغضّ النّظر عن انتماءاتهم وأديانهم وأفكارهم وثقافاتهم وأعراقهم- على أموالهم وأعراضهم، والمهاجر ليس من هاجر من مكّة إلى المدينة فقط، فهذا البُعد الجغرافيّ، أمّا البُعد الزّمانيّ فهو أن تهجر ما نهى الله ﷻ عنه، فلا أقول: إنّني مسلمٌ وأنا أؤذي النّاس

(١) مسند البزّار: المجلّد الثّاني، مسند فضالة بن عبيد، الحديث رقم (٣٧٥٢).

بلساني. عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رجلٌ: يا رسول الله، إنّ فلانة يُذكَر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها غير أنّها تؤذي جيرانها بلسانها، قال: «هِيَ فِي النَّارِ»[1]، لم يقل: جيرانها المسلمون بل جيرانها، حتّى الكلمة التي تخرج من اللّسان إذا كانت تؤذي فهي محرّمةٌ كما قال النّبيّ ﷺ، هذا هو ديننا، وهذا هو إسلامنا.

(الآية ٣٠) - ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾:

في الآية السّابقة ذكرنا الّذي يقتل، والّذي يأكل أموال النّاس بالباطل، والّذي يعتدي على الأعراض، بعد ذلك قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا﴾، العدوان والظّلم محرّمان تحريماً قطعيّاً، ولا يجوز أن تعتدي على أحدٍ لا على ماله ولا دمه ولا عرضه، وإلّا خرجت من الإسلام تماماً.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾: سيكون مآله النّار.

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾: ومهما طالت عليك هذه الحياة، وكيفما كانت أيّامك فيها فإنّك ستموت، وبعد الموت ستصلى هذه النّار نتيجة العدوان وظلم النّاس والاعتداء على الدّماء والأموال والأعراض، وهذا جوابٌ على كلّ ما يفعله الإرهابيّون والمتطرّفون في شعبنا وفي أمّتنا وفي النّاس أجمعين.

---

(١) مسند الإمام أحمد: مسند المكثرين من الصّحابة، مسند أبي هريرة ﷺ، الحديث رقم (٩٦٧٣).

(الآية ٣١) - ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾:

من أكبر الكبائر قتل النّفس بغير الحقّ كما ورد في الآيات السّابقة، قال رسول الله ﷺ: «**اجتنبوا السّبع الموبقات**»، قالوا: يا رسول الله، وما هنّ؟ قال: «**الشّرك بالله، والسّحر، وقتل النّفس التي حرّم الله إلّا بالحقّ، وأكل الرّبا، وأكل مال اليتيم، والتّولّي يوم الزّحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**»(١)، هذه من الكبائر التي نهى الله ﷻ عنها ولكنّه ﷻ لم يقل للإنسان: إنّك إذا ارتكبت كبيرةً انتهى الأمر وليس لك توبة، لم ينته الأمر، بل يجب عليك أيّها الإنسان أن تتوب وتستغفر. قال ﷻ: ﴿* قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر]، لكن لابدّ من التّكفير عنها بالعقوبات التي وردت بحقّها كحدّ القتل وحدّ السّرقة وغيرها.

﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟﴾: لاحظوا الدّقة، في آيات تحريم الخمر رأينا أنّ بعض النّاس يقول: لم يحرّم عليكم الخمر، إنّما أمرت الآية باجتنابه، ولم يعدّوه تحريماً، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة]، وقد ذكرنا أنّ الاجتناب أشدُّ من التّحريم، فالتّحريمُ ألّا تقعَ في الشّيء، أمّا الاجتناب فأن تتجنّب حتّى

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء]، الحديث رقم (٢٦١٥).

الاقتراب من الشّيء، فأيّهما أشدّ؟! الاجتناب أشدّ من التّحريم، تجتنب الأمر تبتعد عنه نهائياً، والدّليل على ذلك الكبائر، قال ﷻ عنها: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾، فهل يمكن أن يقول أحدهم: إنّ الكبائر ليست محرّمة؟ فالاجتناب ليس فقط ألّا ترتكبها، ولكن يجب عليك أن تبتعد عن الطّريق الموصل لها.

﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾: يقول عليه الصّلاة والسّلام: «**الصّلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفّرات ما بينهنّ إذا اجتنب الكبائر**»[1]، أمّا الصّغائر فيتوب منها الإنسان والله ﷻ يتوب عليه.

﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾: والمدخل الكريم هو أن يدخل الإنسان لرحمات الله ﷻ في الآخرة.

(الآية ٣٢) – ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾:

بعد أن عالج الإسلام كلّ ما يتعلّق بالأعراض والأموال والدّماء، وعالج أمور الميراث، جاء ليعالج أمراض القلب؛ تمنّيّ ما فضّل الله ﷻ بعض النّاس على بعضٍ، وقد فضّل الله ﷻ النّاس بعضهم على بعض، فهذا فضّله

(١) صحيح مسلم: كتاب الطّهارة، باب الصّلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفّرات لما بينهنّ ما اجتنبت الكبائر، الحديث رقم (٢٣٣).

بالمال، وهذا بالعلم، وهذا بالجاه. فإن تمنّيت زوال النّعمة عن الغير فهو الحسد. وأمّا أن تتمنّى ما فضّل الله ﷻ به غيرك من دون زوال النّعمة عن هذا الغير، فهذا أعطاه الله ﷻ المال فتتمنّى أن يعطيك ﷻ المال مثله، من دون أن يذهب المال عنه، هذا ليس حسداً لكنّه مدخل إلى الحسد، فأغلقه الله ﷻ بقوله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ وإن كانت بالنّسبة لحصص الميراث، لتوزيع الأموال، فهي عامّةٌ في كلّ شيء، لكنّ الله ﷻ يقول لك: ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾: يقول النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام: «**سلوا الله من فضله، فإنّ الله ﷻ يُحبّ أن يُسأل، وأفضل العبادة انتظار الفرج**»(١)، فعندما ترى النّعمة في الغير، توجَّه إلى الله ﷻ واسأله من فضله ومن كرمه فيما يسدّ حاجتك، وفيما تتمنّاه لنفسك ولأسرتك ولجيرانك ولوطنك ولأهلك، يقول الله ﷻ في آيات الصّوم: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: من الآية ١٨٦]، قريب المسافة، هو معكم أينما كنتم، فالدّاعي إلى الله ﷻ يشعر بأنّ الله ﷻ معه، ولكن هناك شروط: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: من الآية ١٨٦]، فلا بدّ أن تؤمن وتستجيب لأوامر الله تبارك وتعالى حتّى يستجيب الله ﷻ لك.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾: الله ﷻ يعلم ما في النّفوس،

---

(١) سنن التّرمذيّ: كتاب الدّعوات، باب في انتظار الفرج وغير ذلك، الحديث رقم (٣٥٧١).

ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصّدور، ويعلم السّرّ وأخفى، فلذلك يجب تصفية أمراض الحسد من النّفوس وخصوصاً المؤمنة.

(الآية ٣٣) - ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾:

قال بعضهم في تفسير هذه الآية: إنّها نزلت قبل نزول أنصبة المواريث.

﴿مَوَالِيَ﴾: ج. مولى، وهو لفظٌ مشتركٌ يُطلَق على وجوهٍ؛ فيُسمّى المعتِق مولى، والمعتَق مولى، ويُسمّى النّاصر مولى؛ ومنه قوله ﷻ: ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ [محمّد: من الآية ١١]، ويُسمّى ابن العمّ مولى، والجار مولى، فأمّا قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ يريد عصبات.

﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: أي إن حلفتم أيماناً مغلّظةً بأنّكم ستؤتونهم من هذا النّصيب.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾: الله ﷻ ليس هو الرّقيب فقط، بل هو الشّهيد في ما يتعلّق بتأديتك للحقوق.

(الآية ٣٤) - ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾:

سيأتي مَن يقول: أرأيتم الفارق والتّمييز ضدّ المرأة؟! لكنّنا سنفسّر هذه الآيات بالعقل والمنطق والدّليل والبرهان، وبفعل النّبيّ ﷺ، فإن كان أحدٌ بعد ذلك مصرّاً على عدم الاقتناع فهذا أمرٌ آخرُ، أمّا بالحجّة والإقناع فنحن على استعدادٍ لذلك.

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾: هذا تفضيلٌ للرّجال أم تفضيلٌ للنّساء؟ إذا لم تكن ملمّاً باللّغة العربيّة فلا تتصدّى للقرآن الكريم، وتهاجم أحكاماً شرعيّةً لعلّةِ عدم معرفتك.

قوّام: صيغة مبالغة من قائم، قائمٌ على خدمتك، إذاً من هو الأفضل المرأة أم الرّجل؟ هذه الآية مَنْ تفضّل؟ إنّها تفضّل النّساء على الرّجال؛ لأنّ الرّجل مكلّفٌ بأن يكون قائماً على خدمة زوجته وعلى أمورها، وقائماً على إنفاق أمواله عليها، وأن يؤمّن كلّ احتياجاتها. وفي اللّغةِ العربيّةِ القائم: هو المتعَب، والجالس هو المرتاح، فكيف تقول: بأنّ الإسلام أهان المرأة ولم يعطها حقوقها؟ على العكس تماماً.

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾: يقولون: هذا عكس كلامك، هذا يعني أنّه فضّل الرّجال، وهذا ليس صحيحاً، انتبه إلى الآية: ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾؛ أي يوجد نساءٌ مفضّلاتٌ ورجالٌ مفضّلون، التّفضيل حسب ما يُقَدِّمُ من عملٍ ومن قيمٍ ومن أخلاقٍ، فقد تكون المرأةُ مُفضّلةً وقد يكون الرّجلُ، لماذا؟ لأنّ الآية تقول: ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، فبعضهم مُفضّلٌ وبعضهم أفضل، قد تكون المرأة أفضل وقد يكون الرّجل

أفضل، حسب ما يقوم الإنسان بما كُلّف به يكون التّفضيل فيه، ولم يقل المولى تبارك وتعالى: الرّجال قوّامون على النّساء بما فضّلهم الله ﷻ، لو قال كذلك لكان الرّجال مفضّلين على النّساء، لكنّه قال ﷻ: ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ من النّساء ومن الرّجال. ومَن الّذي قال لك: إنّ الأمر في قوله ﷻ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ يتعلّق فقط بالكلام عن الرّجل وزوجته؟ قد قال: الرّجال، ولم يقل: الأزواج، فهناك الرّجل وأمّه، والرّجل وأخته، والرّجل وابنته، والرّجل وزوجته، والرّجل وعمّته، والرّجل وجدّته، والرّجل وخالته.. وقوّام صيغة مبالغةٍ من قائمٍ على أمورهم، فهو مكلَّفٌ بشؤونهم والإنفاق عليهم ...إلخ، فيعدُّ هذا تفضيلاً لمن؟ الآيات يجب أن تُفسّر بفعل النّبيّ ﷺ، وقد صحّ في الأحاديث أنّه كان ﷺ في عمل أهله؛ أي يساعد زوجته في كلّ أمرٍ من الأمور داخل المنزل، وكان يقول ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»[1].

﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾؛ لأنّ الرّجل مُكلّفٌ بالإنفاق على زوجته وعلى أمّه وعلى ابنته وعلى أخته وعلى كلّ مَن يلوذ به من النّساء.

﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾: الصّالحات كما قال النّبيّ ﷺ في المرأة الصّالحة: «**الدّنيا متاعٌ، وخير متاع الدّنيا المرأة الصّالحة**»[2]، الزّوجة الصّالحة القانتة الخاشعة لله ﷻ التي تحفظ زوجها في

(١) سنن التّرمذيّ: كتاب المناقب، باب فضل أزواج النّبيّ ﷺ، الحديث رقم (٣٨٩٥).

(٢) صحيح مسلم: كتاب الرّضاع، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، الحديث رقم (١٤٦٧).

غيابه وفي حضوره.. أصبح موضوع القوامة واضحاً، وهو القيام على أمور وخدمة المرأة؛ الأمّ والبنت والأخت والزّوجة.

﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ﴾: النّشوز: الارتفاع، مثلاً يقال: هذا الصّوت نَشَزَ عن باقي الأصوات؛ أي ارتفع.

هذه حالة إعراض ونشوز الزّوجة عن زوجها، معالجة الشّقاق بين الزّوج والزّوجة والمشكلات التي تحدث بينهما والتي تصل إلى الطّلاق، وهو أبغض الحلال إلى الله ﷻ، ولكنّه يكون أحياناً علاجاً لهذه الأسرة في آخر الأحوال بعد أن فتح الله ﷻ كلّ الأبواب للصّلح والإصلاح، ولكن لا أمل في الإصلاح بينهما، فبدأت الآية بتدرّجٍ بموضوع النّشوز والعلاقة الجنسيّة بين الرّجل والمرأة، والعلاقة التي تربط بينهما:

١- ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾: الوعظ: هو النّصح برقّة.

٢- ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ﴾: بدايةً لمعالجةِ قضيّةٍ مهمّةٍ بنشوز المرأة بالنّسبة لزوجها، وضبط العلاقة بين الرّجل والمرأة.

٣- ﴿وَٱضۡرِبُوهُنَّ﴾: الحالة الثّالثة كيف تُفسّر؟ هل الإسلام أمر الرّجل أن يضرب زوجته عندما تنشز؟

لنرى ذلك، فهذه الآية أمامك، قال القرآن أوّلاً: عظوهنّ، وهو النّصح برقّة، بعدها الهجر في المضاجع، وعندما نرى (اضربوهنّ)، مَن الّذي يحدّد الضّرب؟ كيف يكون؟ وما هو؟ ومن الّذي يشرّع؟

في الإسلام يُشرّع القرآن الكريم والنّبيّ ﷺ مخوّلٌ بالتّشريع؛ لأنّ الله تعالى قال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: من الآية ٧]؛ ولأنّ الله ﷻ قال: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران]؛ ولأنّه ﷻ علّق إيمان الإنسان حتّى يُحكّم النّبيّ ﷺ ويُذعن لأوامره: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النّساء]، فالمشرّع بالنّسبة للإسلام هو القرآن الكريم والنّبيّ ﷺ، ولكنّ الفعل المتعلّق بهذه الآية كيف يتمّ؟

فهمنا من الآية أنّ العظة النّصح برقّةٍ، والهجران في المضاجع معروفٌ لكنّ الضّرب كيف يُفسّر؟ ما هو المقدار؟ ما هي الشّدّة؟ أهو عنفٌ ضدّ المرأة أم هو إشارةٌ إلى أمرٍ ما؟ من الّذي سيحدّد هذا الأمر؟ حدّده النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، الضّرب بالسّواك الّذي يستاك به ﷺ، أي مثل فرشاة الأسنان، لا بالعصا ولا المسطرةِ ولا اليدِ، وكأنّه إشارةُ تنبيهٍ.

إذاً: عظةٌ بلطفٍ، هجرانٌ بالمضاجعِ، وتنبيهٌ لبداية الشّقاق، أين هو العنف ضد المرأة؟ أين هو الضّرب الّذي تتحدّثون عنه؟ لا أحدٌ يقول على الإطلاق بأنّه يستطيع أن يُفسّر القرآن الكريم على غيره، لا أحدٌ يستدرك على الرّسول ﷺ في تفسير القرآن الكريم، ولا أحدٌ يستخدم العنف؛ لأنّ القرآن الكريم قال ذلك، عليك أن ترى فعل النّبيّ ﷺ بما جاء في القرآن الكريم، ففعله ﷺ هو الحجّة، وهناك لغةٌ، وآياتٌ متشابهاتٌ ومُحكماتٌ، وآياتُ خاصٍّ وعامٍّ، وهناك مجملٌ، أنت ترى كيف فعل النّبيّ ﷺ وفعلُه هو

التّشريع، فهو تشريعٌ بفعل النّبيّ ﷺ لا يحتاج إلى بيانٍ، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النّحل: من الآية ٤٤]، عندما يُنزّل الله ﷻ الذّكر من الّذي سيبيّنه للنّاس؟ النّبيّ ﷺ.

فهذا الضّرب بالسّواك إشارةٌ إلى بدء الشّقاق، بدليل ما جاء بعدها من تتمّة الآية: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾: موضوع النّشوز يؤدّي إلى الطّلاق، فإن أطعنكم وسارت الأمور بشكلٍ طبيعيّ، ﴿فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾، لا تتّخذوا أيّ سبيلٍ أو طريقٍ.

(الآية ٣٥) - ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾:

هو التّنبيه الأخير قبل الشّقاق، حركةٌ تدلّ على أنّ الشّقاق سيحدث، وبدلاً من أن يقولَ: الطّلاقَ، قال: الشّقاقَ، والشّقاقُ هو ما بين اثنين ملتصقين؛ لأنّه ﷻ قال: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: من الآية ١٨٧].

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾: بمجرد أن خفتم.

﴿شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾: لماذا؟ لأنّ الأهل من أسرته، أو أسرتها قد يريدون الإصلاح.

﴿إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾: ليس عليمٌ فقط بل وخبيرٌ، خبيرٌ بالنّوايا والأعمال وبمن يريد أن يصلح حتّى يوفّق

الله ﷻ، ويتمّ الإصلاحُ بين الرّجل وبين المرأة. فالتّحكيم هنا لما يتعلّق بين الرّجلِ والمرأةِ من أجل موضوع الإصلاح بين الزّوجين.

هذه الآية الكريمة تذكّرنا بما فعله الخوارج في بداية العصر الإسلاميّ مع سيّدنا الإمام عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه في ذلك الوقت عندما قبل بالتّحكيم فقام الخوارج يزايدون بالدّين -وخوارج هذا العصر يعملون بحجّة الدّين حتّى يحقّقوا مآرب أخرى- وأخذوا على سيّدنا الإمام عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه كيف يقبل بالتّحكيم في هذا الأمر؟! وجاؤوا بآيةٍ من القرآن الكريم: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: من الآية ٤٠]، قائلين: لا يجوز لك أن تقبل التّحكيم، فماذا قال سيّدنا الإمام عليّ كرّم الله وجهه؟ قرأ لهم هذه الآية: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ مبيّناً أنّه قَبِل التّحكيم بناءً على هذه الآية الكريمة؛ لأنّ القرآن الكريم أمر بالتّحكيم وقَبِل به.

(الآية ٣٦) - ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾:

كلّ الأحكام التي وردت في كتاب الله ﷻ يأتي بعدها الأمر بالعبادة، والعبادة ليست كما يتوّقع بعض النّاس أنّها العبادات الفقهيّة التي حُدّدت بالصّلاة والصّيام والحجّ والزّكاة فقط، وإنّما العبادة هي في كلّ عملٍ نافعٍ

يعود على الإنسان وعلى غيره وعلى مجتمعه ووطنه وأمّته بالخير، بدليل أنّ الله ﷻ قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذّاريات].

فالعبادة تشمل الطّاعة، طاعة آمرٍ بما أمر، ولها الكثير من المجالات. أمّا الصّلاة والصّيام والحجّ والزّكاة فهي أركان الإسلام، وهذه الأركان هي الدّعائم التي يقوم عليها الإسلام ويُبنى، لقول النّبيّ ﷺ: «**بُني الإسلامُ على خمس: شهادة أنْ لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله، وإقامِ الصّلاة، وإيتاء الزّكاة، والحجّ، وصوم رمضان**»(١)، أي أنّها جزءٌ من الإسلام وليست هي الإسلام، فالّذي يعتقد أنّ الإسلام صلاةٌ وصيامٌ وحجٌّ وزكاةٌ فقط فهو مخطئٌ؛ لأنّ الإسلام أشمل من ذلك، هو كلّ أمرٍ أمرَ الله ﷻ به، والدّليل قول النّبيّ ﷺ: «**بُني الإسلامُ على خمس**»، فالإسلام بُني عليها، وكلّ طاعةٍ لله ﷻ هي عبادةٌ، فمثلاً: عندما يقول الله ﷻ في سورة (الجمعة): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠﴾ [الجمعة]، فقد أمر الله ﷻ بالانتشار في الأرض والابتغاء من فضله وجاء ذلك بفعلي أمرٍ: ﴿فَانتَشِرُوا﴾، ﴿وَابْتَغُوا﴾، فهو طاعةٌ لله ﷻ، كما أنّه ﷻ أمر بذكره، والقيامِ إلى صلاة

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الإيمان، باب الإيمان وقول النّبيّ ﷺ: «بني الإسلام على خمس»، الحديث رقم (٨).

الجمعة، عندما قال: ﴿فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾، فدائرة العبادةِ واسعةٌ وشاملةٌ، وهنا يبيّن الله ﷻ جزءاً مهمّاً من الأمور التي وردت في كلّ الكتب السّماويّة، وهي من الآيات المحكمة، هذه الآية الكريمة: ﴿* وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾: أي أطيعوا الله ﷻ، وطاعة الله ﷻ تتأتّى عن طريق الأخذ بأوامر القرآن الكريم وأوامر النّبيّ ﷺ، ولا أحدٌ يستدرك على سيّدنا رسول الله ﷺ، المعنى في هذا الكلام أنّ الله ﷻ أعطى الأوامر، وفوّض إلى النّبيّ ﷺ إعطاء هذه الأوامر، ولا يمكن أن نفهم القرآن الكريم إلّا من خلال سنّة وسلوك وهدي وأوامر النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، لذلك قال ﷻ: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران]، وقال ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النّحل: من الآية ٤٤].

فلا بدّ من بيان النّبيّ ﷺ، ولكن كيف يكون ذلك؟ من خلال سيرته وأفعاله ﷺ، وعلاقته بالمجتمع، وبزوجاته وجيرانه ووطنه وبالإنسانيّة، وبكلّ المخلوقات. فقد قال الله عنه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء]، وفي هذا ردٌّ صريحٌ على كلّ الانحرافات الضّالّةِ من الفكر الوهّابيّ والتّكفيريّ، وما جرى في هذه الأيّام على يد خوارج هذا العصر.

﴿* وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: عبادة الله ﷻ أن تطيعَه، أن تفعلَ ما أمر به وتنتهي عمّا نهى عنه، والأصل في الأشياء الإباحة ما لم يَرِد نصٌّ بالتّحريم.

مثال ما يتعلّق بالخمر، فالمشروبات التي أمام الإنسان كالعصير والمياه وغيرها كلّها حلالٌ، لكنّه ﷻ حدّد أنّ الخمر حرامٌ، فهو جزءٌ يسيرٌ

بالنّسبة للحلال الواسع الّذي وسّع الله ﷻ به على عباده، كذلك بالنّسبة لِلَحم الخنزير، كلّ اللّحوم الأخرى عدا المَيْتَة والتي سترد معنا بالآيات القادمة حلالٌ، فدائرة الحلالِ واسعةٌ وفيها توسعةٌ على النّاس.

﴿وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾: الإشراكُ بالله ﷻ ليس فقط أن تجعل صنماً أو حجراً أو تمثالاً وتعبده، أو أن تعتقدَ وجود آلهةٍ أخرى، أو تعتقدَ عدم وجود إلهٍ، بل هو الاعتقاد بأنّ ما سوى الله ﷻ يضرّ وينفع ويعطي ويمنع ويصل ويقطع ويخفض ويرفع ويعزّ ويذلّ. عن شدّاد بن أوس أنّه بكى فقيل له: ما يُبكيك؟ قال: شيءٌ سمعته من رسول الله ﷺ فأبكاني، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أخوف ما أخاف على أمّتي الشّرك والشّهوة الخفيّة**»، قلت: يا رسول الله، أتشرك أمّتك من بعدك؟ قال: «**نعم، أَمَا إنّهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولا وثناً، ولكن يراؤون بأعمالهم**»[1]، أي يُنافقون النّاس بأعمالهم لاعتقادهم أنّ النّاس يضرّون وينفعون، فهذا جزءٌ من الإشراك.

﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾: تأتي واو العطف في أكثر من موضعٍ في كتاب الله ﷻ، وهي تسترعي الانتباه والاهتمام.

هذه الآية عظيمةٌ جدّاً تعطي المعانيَ الواسعةَ، والخير العامّ، والتّربية الأسريّة الحقيقيّة في المجتمع، فالأصل في المجتمع الأب والأمّ، وهم أصل بناء الأسر، فلننظر إلى أيّة علاقةٍ اجتماعيّةٍ أخرى من العلاقات ولنقارنها بعلاقة

(١) مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد: المجلّد الثّالث، ص ٢٥٩، الحديث رقم (٥٢٢٦).

الآباء والأمّهات مع الأولاد من الذّكور والإناث، فهذه العلاقة على قدر سموّها وعلى قدر ما تكون واضحةً ومعطاءةً ورحيمةً ينسحب ذلك على بقيّة العلاقاتِ الاجتماعيّةِ التي يريد أيُّ مجتمعٍ أن يبنيَ فيها الخير، وأن يقوم على القيم والأخلاق، فقمّة الأخلاق هو الإحسانُ للوالدينِ، فمن لا خير فيه لأبيه وأمّه فلا يمكن أن يكون فيه خيرٌ لوطنه وجيرانه ومجتمعه، أو لأيّ فردٍ أو جماعةٍ على وجه الأرض؛ لذلك نجد أنّ الله ﷻ عندما يريد أن يتحدّث عن عبادته يُشارك ذلك بأمرٍ عامٍّ على النّاس جميعاً وهو الإحسان للوالدين. يقول الله ﷻ: ﴿* قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأنعام: من الآية ١٥١]، ويقول ﷻ: ﴿* وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: من الآية ٢٣]، والآية هنا: ﴿* وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾، لنلاحظ هذا الأمر المهمّ جدّاً أنّ الله ﷻ عندما يتحدّث بدأ بالسّلب: ﴿وَلَا تُشْرِكُواْ﴾، لكن عندما يتحدّث عن الوالدين يتحدّث بالإيجاب، فنجد في قوله ﷻ: ﴿* قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام]، كلّها ولا.. ولا..، إلّا عند ذكر الوالدين لم يقل: لا تعقّوا الوالدين، وهنا قال: ﴿* وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾، لماذا؟ لأنّ الله ﷻ لا يريد أن يخطر

مجرد خاطرٍ للأبناء أنّ هناك ما يسمّى بعقوقٍ للآباء والأمّهات؛ لذلك دائماً يأتي بالإيجاب عند كلامه ﷻ عن الوالدين.

﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾: الإحسان هو فوق ما أُمِرت به، وتعريف الإحسان بالنّسبة للإيمان وبالنّسبة للإسلام: هو أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك. أن تعبد الله ﷻ بأكثر ممّا فرض عليك، فعندما تتّقي الله ﷻ بوالديك، وتحسن معاملتهما، وتكون طائعاً وذليلاً بين يدي الوالدين فإنّك تتعبّد الله ﷻ وتتقرّب إليه بأجلّ الأعمال وأفضلها وأرحمها على الإطلاق، لذلك نجده ﷻ في أكثر من موضعٍ تحدّث عن الإحسان للوالدين، ولا يكفي ألّا تقولَ لهما: (أفّ)، قال سيّدنا عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه: (لو علم الله كلمةً في العقوق أدنى من أفّ لحرّمها، فليعمل العاقّ ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنّة، وليعمل البارّ ما شاء أن يعمل فلن يدخل النّار)، لماذا؟ لأنّ النّبيّ ﷺ قال: «**رضا الله في رضا الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين**»[1]، والله ﷻ جعل الجنّة تحت قدم الأمّ ورضاها، ولا شكّ أنّ الأمّ امرأةٌ، وهذا أعظمُ تكريمٍ وأكبرُ حقٍّ من حقوق المرأة الّذي تناسته البشريّة، السّؤال الّذي يتمّ طرحه هل المرأة هي الزّوجة؟ أم هي الأمّ والزّوجة والأخت والابنة؟! المرأة كلّ هذه الأصناف، وعلى رأسها الأمّ، فهذا الحقّ للأمّ. هل يوجد تشريعٌ أرضيٌّ وُضع واستطاع أن يعطي

(١) شعب الإيمان: الخامس والخمسون من شعب الإيمان وهو باب في برّ الوالدين، الحديث رقم (٧٨٣٠).

المرأة –التي ضحّت وربّت وتعبت وسهرت وأرهقت نفسها، وجعلت من كلّ حياتها عطاءً لأولادها– حقّها كما أعطاها الإسلام؟ لنرى الإسلام عندما قام شابٌّ وحمل أمّه على كتفه في رمضاء شديدة، أي في حرٍّ شديدٍ وطاف بها سبعة أشواطٍ، فقال أمام النّبيّ ﷺ: هل أدّيت حقّها؟ قال ﷺ: «**لا، ولا بركزةٍ واحدةٍ**»[1]، ولا طلقةٍ واحدةٍ من الطّلق عند الولادة، فأيّ تكريمٍ وأيّ عظمةٍ وأيّ عطاءٍ من الإسلام للأمّ؟!، وعندما جاء شابٌّ إلى رسول الله ﷺ قال: يا رسول الله، أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك، فقال: «**هل لك من أمّ؟**»، قال: نعم، قال: «**فالزمها، فإنّ الجنّة تحت رجليها**»[2]، أيّ عظمةٍ وأيّ إسلامٍ هذا الّذي يتحدّثون عنه، ويريدون أن يلبسوه التّطرّف والإرهاب والكراهيّة والحقد والعنف، بينما هو دين اللّطف والرّحمة والعطاء ودين الخير، الإسلام الأمريكيّ والإسلام الوهّابيّ لا يسمّى إسلاماً، النّسخة المشوّهة التي أرادوها تجعل من الأبناء يقتلون الأمّهات، ويضربونهنّ، ويكفّرونهنّ، والإسلام مستقى من كتاب الله ﷻ ومن سنّة حبيب الله ﷺ وهديه.

﴿وَبِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾: ذَوُو القربى: هم

(١) مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد: المجلّد الثّامن، ص ٥٥، الحديث رقم (١٣٣٩٥).

(٢) شعب الإيمان: الخامس والخمسون من شعب الإيمان وهو باب في برّ الوالدين، الحديث رقم (٧٨٣٠).

مَن يصلهم بالإنسان رحم، وصلة الأرحام فرعٌ من فروع الإحسان للوالدين، وفي بداية سورة (النّساء) قال ﷻ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ﴾ [النّساء: من الآية ١]، وهنا يقول ﷻ: بأنّه لا يكفي أن تكون دائرة الإحسان للوالدين فقط، وإنّما أيضاً للقربى، والمجتمعات العربيّة بفضل الله ﷻ، وبفضل التّمسّك بالقيم الدّينيّة والإيمانيّة ما زالت العلاقة بين الآباء والأمّهات مع الأولاد في حدودها، وما زالت مضبوطةً ضمن الضّوابط الإيمانيّة، ويخجل أيّ إنسانٍ منّا أن يُقال عنه: بأنّه عاقٌّ بوالديه، أمّا في الغرب فالأولاد لا يرون آباءهم وأمّهاتهم إلّا في المناسبات كعيد الأمّ، أو في مناسبةٍ اجتماعيّةٍ معيّنةٍ، ويضعون الوالد والوالدة في دور العجزة، وكأنّ شيئاً لم يكن. وقد بيّن لنا القرآن الكريم أنّ الأب والأمّ في نهاية حياتهما عندما يحتاجان إلى أولادهما، يجب أن يكون الأبناء عندهما.

قال ﷻ في سورة (الإسراء): ﴿۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣﴾، عند الكبر لا يكونان في دار العجزة ولا في المأوى، فالإنسان عندما يتزوّج ويصبح عنده أولاد تسير به الحياة إلى الأمام، ولا ينظر إلى الورود التي ذبلت، وإنّما ينظر إلى الورود التي تريد أن تونع، ويريد أن يستقبل الأيّام القادمة، والأجيال القادمة فينسى والديه، فعطفه الله ﷻ عطفةً شديدة بذلك، وقال له: ﴿إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ﴾، عندك، ولا يجوز أن يكونَ الأبُ والأمّ في مكانٍ آخر.

ونحن نعلم قصّة الرّجل الكبير في السّنّ الّذي جاء إلى النّبيّ ﷺ وكان قد شكاه ولده، جاء رجلٌ إلى النّبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، إنّ أبي أخذ مالي، فقال النّبيّ ﷺ: «**اذهب فأتني بأبيك**»، فنزل جبريل على النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام فقال: «**إنّ الله ﷻ يقرئك السّلام ويقول لك: إذا جاءك الشّيخ فسله عن شيء قاله في نفسه ما سمعته أذناه**»، فلمّا جاء الشّيخ قال له النّبيّ ﷺ: «**ما بال ابنك يشكوك، أتريد أن تأخذ ماله؟**». فقال: سله يا رسول الله هل أنفقته إلّا على إحدى عمّاته أو خالاته أو على نفسي؟ فقال النّبيّ ﷺ: «**إيه دعنا من هذا، أخبرني عن شيءٍ قلته في نفسك ما سمعته أذناك**»، فقال الشّيخ: والله يا رسول الله ما يزال الله يزيدنا بك يقيناً، لقد قلت شيئاً في نفسي ما سمعته أذناي، فقال: «**قل وأنا أسمع**»، قال: قلت:

غَذَوْتُكَ مَوْلُوداً وَعُلتُكَ يافعــاً ... تُعَلُّ بما أجني عليك وتَنهَلُ

إذا ليلةٌ ضافتك بالسّقمِ لم أَبِتْ ... لِسَقْمِكَ إلّا سَاهراً أتَمَلْمَلُ

كأنّي أنا المطروقُ دُونَكَ بالّذي ... طُرِقْتَ به دوني فعَيني تهملُ

تخافُ الرَّدى نَفْسِي عليكَ وإنّها ... لَتعلَمُ أَنّ الموْتَ وقتٌ مؤجّلُ

فلمّا بلغت السّنَّ والغايةَ التي ... إليها مَدى ما كُنْت فِيْكَ أُؤمِّلُ

جَعَلْتَ جَزائي غِلظةً وفَظاظةً ... كأَنّكَ أَنْتَ المُنْعِمُ المُتَفضِّلُ

فليتكَ إذ لَمْ ترعَ حقّ أُبُوّتي ... فَعَلْتَ كما الجارُ المجاوِرُ يَفْعَلُ

تراهُ مُعِدّاً للخلافِ كَأنّه ... بِرَدٍّ على أهْلِ الصّوابِ موكَّلُ

قال: حينئذٍ أخذ النّبيّ ﷺ بتلابيب ابنه فقال: «**أنت ومالك لأبيك**»[1]. فأيّ دينٍ وأيّ عظمةٍ هذه، لم يكتفِ الإسلام بذلك، وإنّما أراد أن يوسّع الدّائرة من أجل الأب والأمّ، فهناك أيضاً الأقارب، وقد يكون الإنسان محسناً لوالديه، ولكنّ علاقته مع أقاربه هي تلك العلاقة التي يقولها المجتمع الآن: (الأقارب عقارب)، هذه المفاهيم من مفرزات المجتمعات وليست من تعاليم الإسلام، بينما القرآن الكريم قال: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [البقرة: من الآية ٨٣]، عطف أوّلاً: ﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، فالإنسان عندما يريد أن يبذل الخيرَ فدائرة الخير بعد الوالدين تبدأ بالأقارب، ويأتي بعد ﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، مباشرةً اليتامى قبل المساكين، لماذا؟ لأنّ اليتيم قد فقد أباه، فقد أهمّ دعائمِ الوجود بالنّسبة له، ويجب أن يكون المجتمعُ متضامناً متكافلاً، ولا يشعرَ أحد أفراد المجتمع باليتم وبالضّعف، وحالات الضّعف من جرّاء اليتم يسدّها الإسلام: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١﴾ [الماعون]، من الّذي يكذّب بالدّين؟ مَن لا يصلّي؟ مَن لا يصوم؟ مَن لا يحجّ؟ مَن لا يزكّي؟ مَن لا...، ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢﴾ [الماعون]، يزجر اليتيم، ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾ [الماعون]، ما هذا الدّين العظيم؟ هل هذا دينُ ذبحٍ وقتلٍ وإرهابٍ؟ هل يمكن أن نصدّق المجرمين والقتلة والإرهابيين والصّهاينة ونكذّب أعيننا؟ هذا هو القرآن الكريم وكلام القرآن الكريم وسنّة النّبيّ ﷺ لم أخرج عنهما قيد أنملةٍ من خلال تفسير القرآن الكريم، وهي واضحةٌ

(١) مجمع الزّوائد: كتاب البيوع، باب في مال الولد، الحديث رقم (٦٧٧٠).

للعيان جميعاً، بعد الإحسان للوالدين ولذي القربى يأتي الإحسان لليتامى، وموضوع اليتامى موضوعٌ مهمٌّ جدّاً، يقول ﷻ: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ١٨﴾ [الفجر]، فإذا أردت رفقة النّبيّ ﷺ في مقامه الأعلى فابحث عن يتيمٍ واكفله؛ لأنّه قال ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم في الجنّة هكذا**»، وأشار بالسّبابة والوسطى[1]. فجوار النّبيّ ﷺ مع الإحسان لليتيم، هذا هو الإسلام.

تبحث عن الإسلام عند المتطرّفين والإرهابيّين؟ كلا، ابحث عن الإسلام هنا، ابحث عن الإسلام باليتيم، بالإحسان للوالدين، ابحث أن تكون مصدر خيرٍ وعطاءٍ، فالله ﷻ عطف ذا القربى ثمّ عطف اليتامى ثمّ المساكين، اختلف العلماء في التّفسير ما بين المساكين والفقراء، فالمساكين هم مَن يملكون شيئاً، لكنّه قليلٌ لا يسدّ رمقهم، بالنّسبة لحاجتهم من الغذاء والكساء، والمطلوب منّا للمساكين الإحسان إليهم بعد الوالدين وذي القربى واليتامى، وبعد ذلك يتابع المولى ﷻ:

﴿وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾: قال رسول الله ﷺ: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتّى ظننت أنّه سيورّثه**»[2]، لقد وصّى سيّدنا جبريل عليه السلام النّبيّ ﷺ بالجار كثيراً. فإن أحسن كلّ فردٍ إلى جاره أصبح المجتمع كلّه مجتمع إحسانٍ ومجتمعاً متكافلاً، لا عداواتٍ ولا مشاحناتٍ ولا طائفيّة ولا

---

(١) كنز العمّال: ج٣، الحديث رقم (٥٩٩٤)، كافل اليتيم: الذي يُنفق عليه.

(٢) صحيح البخاريّ: كتاب الأدب، باب الوصاءة بالجار، الحديث رقم (٥٦٦٩).

بغضاء، لم يحدّد إن كان الجار مسلماً أم لا، وإنّما لحقّ الجوار، ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ إمّا أن يكونَ الجار قريباً منك؛ أي بيته قريبٌ منك بالبناء ذاتهِ أو الطّابق نفسه، أو جارٌ وقريبٌ بصلة الرّحم.

﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾: الجار البعيد أيضاً -ليس القريب فقط سواء بالرّحم أو بالسّكن- كما قال بعض العلماء: حتّى أربعين جاراً، فالجار الجنب أي البعيد.

﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾: الصّاحب بالجنب هو الصّاحب بطريق السّفر، الصّاحب في العمل، الصّاحب الّذي يرافق الإنسان.

﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: لماذا سمّي ابن السّبيل؟ لأنّه مقطوعٌ فلا قرابةَ ولا أهلَ لهُ، انظر للتّكافل والتّضامن الاجتماعيّ، فالّذي يكون مسافراً وينقطع فهذا ابن السّبيل.

﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾: مِلك اليمين هو حالةٌ تتعلّق بوجود الرّق، والله ﷻ وسّع مصارف الرّقّ وضيّق الخناق عليه ليصفّيه، الآن لا يوجد مِلك يمين؛ لأنّه قد أُلغي قانون الرّقّ، تسأل لم هو موجودٌ بالقرآن الكريم؟ لأنّ القرآن الكريم صالحٌ لكلّ زمانٍ ومكانٍ، ما يدرينا بعد مئة عام أو مئتين أن يعود الرّقّ؟ بقانون الحروب في ذلك الوقت كان يوجد الرّقيق والجواري لذلك تحدّث القرآن الكريم عن مِلك اليمين، أمّا الإنسان فلا يأخذ كلام الله ﷻ بهواه، فكلامه ﷻ لا يخضع لهواي ولا لهواك، وإنّما يخضع لما فسّر النّبيّ ﷺ، فلا يستطيع إنسانٌ أن يعدَّ الخادمة مِلك يمين؛

لأنّ مِلك اليمين أمرٌ متعلّقٌ بالرّقّ والعبيد والحروب والقوانين التي كانت موجودةً سابقاً في ذلك الوقت، وقد ورد هنا أنّ تصفية مِلك اليمين تُعدّ إحساناً؛ لأنّه كلّه جاء عطفاً على إحسانٍ: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾: الاختيال يكون بالحركة، مثل الخيل عندما تتحرّك، والفخر يكون باللّسان، فالإنسان الذي يعدّد مناقبه، ويتكبّر على النّاس، قال عنه ﷻ: ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الإسراء: من الآية ٣٧]، يجب أن يكون الإنسان متواضعاً مع خلق الله ﷻ، وأن يشعر بشعورهم، وليس الصّومُ إلّا مدعاةً للإحسان بشكلٍ عامٍّ، فهو صبرٌ عن الطّعام والشّراب، وهو عطاءٌ للفقراء والمساكين وإحسانٌ لهم.

(الآية ٣٧) - ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾﴾:

الآيات السّابقة التي فسّرناها تتعلّق ببناء المجتمع، وبحركة الإنسان في المجتمع، وبالقيّوميَّة التي يجب أن يعيش فيها الإنسان بالمجتمع، وعبادة ربّه، والإحسان للوالدين ولذي القربى واليتامى والمساكين والجيران الأباعد والجيران الأقارب وابن السّبيل ومِلك اليمين، بعد هذه العلاقة الاجتماعيّة الإنسانيّة هناك أمرٌ مهمٌّ يحرّك ويؤثّر سلباً أو إيجاباً على هذه العلاقة، وهو الأمر الأخطر الذي يؤثّر على علاقة الإنسان بوالديه أو إخوته أو أشقّائه أو صلة

رحمه أو جيرانه أو مجتمعه، إنّه المال، لذلك يقول الله ﷻ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنفال]، والفتنة هي الاختبار، ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر]، لا بدّ من معالجة هذه النّزعة في الإنسان، هذه المعالجة تكون بأوامر الله ﷻ.

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾: تعريف البخل: هو مشقّة العطاء، أنت تجد مشقّةً في العطاء فتكون بخيلاً، تحرص على المال؛ لأنّك لا تؤمن بالله ﷻ الّذي قال لك: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: من الآية ٢٤٥]، فهو يضاعف؛ لأنّك تتعامل مع الله ﷻ ولا تتعامل مع الفقير، لذلك أقسم النّبيّ ﷺ قائلاً: «**ثَلاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ: مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ فَتَصَدَّقُوا**»[1]، كيف يا سيّدنا يا رسول الله ما نقص المال؟ المال نخرج منه اثنين ونصف بالمئة، فإذاً هو ينقص، لا، إذا نظرت أنّك تتعامل بهذا المال مع الفقير فقد نقّص، أمّا إن كنت تتعامل مع الله تعالى فإنّه يتضاعف أضعافاً مضاعفةً، قال النّبيّ ﷺ: «**ما تلف مالٌ في بحرٍ ولا برٍّ إلّا بمنع الزكاة، فحرّزوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصّدقه، وادفعوا عنكم طوارق البلاء بالدّعاء، فإنّ الدّعاء ينفع ممّا نزل وممّا لم ينزل، ما نزل يكشفه، وما لم ينزل يحبسه**»[2]، انظروا لهذا القول العظيم للنّبيّ ﷺ: «**فحرّزوا أموالكم بالزكاة**»، من أراد أن يحافظ على ماله

(١) مسند البزّار: المجلّد الأوّل، مسند عبد الرّحمن بن عوف، الحديث رقم (١٠٣٢).

(٢) مسند الشّاميّين: إبراهيم بن أبي عبلة، الحديث رقم (١٨).

فليخرج الزّكاة، وليجرّب: «**وداووا مرضاكم بالصّدقه**»، كيف نداوي المرضى بالصّدقة يا رسول الله؟ مثلاً: إن كان هناك إنسانٌ مريضٌ بالزّائدة ولا بدّ أن نأخذه إلى الطّبيب، أو نجري له عملاً جراحيّاً، أبالصّدقة نداويه أم بالعلاج؟ نداويه بالعلاج؛ لأنّنا مأمورون من الله ﷻ أن نأخذ بالأسباب، لكنّ الشّافي هو الله ﷻ وليس الطّبيب، ولا بدّ لنا أن نتصدّق قال ﷻ على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الشّعراء]. نحن نأخذ بالسّبب؛ لأنّه علاجٌ أُمرنا به، ونتطلّع إلى الشّافي وهو الله ﷻ، كيف نتطلع إلى الشّافي؟ نتصدّق على خلق الله ﷻ، على الفقراء، فعندما نُحسِن إليهم فإنّنا نتعامل مع الله ﷻ. فالذين يبخلون لا يتعاملون مع الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ [التّوبة: من الآية ٣٤]، لماذا؟ لأنّهم يكنزون ويبخلون بما فضّل الله ﷻ عليهم وبما أمرهم به، ففي المال حقٌّ للفقير والمسكين، قال ﷻ: ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الذّاريات]، هذا حقّ الفقير، لذلك الزّكاة تؤخذ ولا تُعطى، تقول الآية الكريمة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التّوبة: من الآية ١٠٣]، الزّكاة أخذٌ وليست عطاء، حقّ الفقير فرضه الله ﷻ، ومالُك من فضل الله ﷻ عليك.

﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾: هم لا يكتفون فقط بالبخل، بل ويأمرون النّاس أيضاً بالبخل، ويتمنّون ألّا يجدوا بين المجتمع مَن هو كريمٌ ويعطي المحتاجين؛ لأنّ البخيلَ يريد كلّ النّاس على شاكلته.

﴿وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾: البخل لا يكون فقط بالمال، فقد يكون بالجاه، وقد يكون بالعلم، فيكتم الإنسان ما تفضّل الله ﷻ عليه به إن كان مالاً أو جاهاً أو عزّاً أو سلطاناً.

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾: أعتدنا: جعلنا وأعددنا.

(الآية ٣٨) - ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾:

ما زلنا في موضوع الزّكاة والصّدقة، والله ﷻ فرض في أموال الأغنياء ما يسع الفقراء، فلو أنّ الأغنياء في كلّ مدينةٍ من المدن أخرجوا زكاة أموالهم حقّاً، لما وُجِد فقيرٌ ولا محتاجٌ في المجتمع، وكما قال النّبيّ ﷺ: «**والصّدقة برهان**»[1]، هي برهانٌ على الإيمان؛ لأنّك إن قلت لأحدهم: صلِّ مئة ركعةٍ لصلّاها، ولكن إن قلت له: أخرجْ مئةَ ليرةٍ فلن يخرجها من شُحّ النّفس، فالصّدقة تصديقٌ وبرهانٌ على الإيمان.

الآن يعالج القرآن الكريم قضيّةً ثانيةً، الذين ينفقون ولكن رئاءً ونفاقاً وليس في سبيل الله ﷻ أو في سبيل الخير.

﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾: هناك أناسٌ ينفقون الأموال، لكنّ هذا الإنفاق يكون في سبيل السّمعة والشّهرة، والمفاخرة أمام النّاس، والنّبيّ ﷺ يقول فيما يرويه عن ربّه ﷻ: «**أنا أغنى الشّركاء عن الشّرك،**

(١) صحيح مسلم: كتاب الطّهارة، باب فضل الوضوء، الحديث رقم (٢٢٣).

من عَمِل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»[1]، الله تبارك وتعالى لا يحتاج لشريكٍ، فإن أراد أحدهم أن يتصدّق على الفقراء أو المحتاجين فلا مانع لديه من الإنفاق، ولكن بالمقابل ليتكلّم وليكتب عنه النّاس –وهذا ما يعالجه القرآن الكريم– وهو بذلك يكون قد أشرك مع الله ﷻ؛ لأنّه أراد أن يُقال عنه: محسنٌ كريمٌ.

﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾: من يؤمن بالله ﷻ واليوم الآخر لا يهمّه النّاس؛ لأنّ التّعامل مع الله ﷻ، ومن يتعامل مع الله ﷻ لا ينظر لعبد الله ولا لخلق الله، وعندما تُخرج هذا المال فأنت تتعامل مع الله ﷻ، فإن كنت تعطي وتبرز زكاة مالك من أجل أن تُشيع في المجتمع الخير فهذا جيّدٌ إن كانت نيّتك هكذا، أمّا إن فعلت هذا ليُقالعنك: مُحسنٌ، فأنت إذاً لا تؤمن بالله ﷻ ولا بالجزاء يوم القيامة.

﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَانُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾: الشّيطانُ هو المارد هو العاصي من الجنّ، فمن الجنّ مؤمنون، والجنّ مخلوقاتٌ موجودةٌ، أناقش وجودها عقليّاً وليس إيمانيّاً، نحن نؤمن بأنّها موجودةٌ؛ لأنّ القرآن الكريم أخبرنا بوجودهم: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١﴾ [الجنّ]، رأيناهم أم لم نرهم، أمّا إن أردت أن تناقش الأمر عقليّاً أو علميّاً نناقشك عقليّاً وعلميّاً ونقول لك: هل كلّ ما لا تراه معناه أنّه غير موجودٍ؟

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الزّهد والرّقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، الحديث رقم (٢٩٨٥).

هل ترى الكهرباء؟ لا تراها، لكنّك ترى أثرها، النّور هو أثر الكهرباء، هل ترى الجراثيم الموجودة بالغرفة التي نحن فيها؟ لا تراها، إذاً: لا تقل عن شيءٍ: إنّه غير موجودٍ إن لم تدركه بحواسّك، فالكثير من الأشياء موجودةٌ مع أنّنا لا نستطيع أن ندركها حسّيّاً، ومع ذلك نحن نؤمن بالقرآن الكريم وبكلّ الغيب الّذي أخبر عنه الله ﷻ، لماذا؟ لأنّنا آمنّا بالله ﷻ ونحن نصدّق ما جاء في كتابه ﷻ.

﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا﴾: بئس القرين الشّيطان، وهو الّذي يوسوس للإنسان بالشّرّ، والبخل، وهو الّذي يوسوس للإنسان إذا أنفق، واستمرّ على الإنفاق بإصرارٍ أن يكون في سبيل النّاس رئاءً ونفاقاً، وليس إخلاصاً لوجه الله ﷻ.

(الآية ٣٩) - ﴿وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا ٣٩﴾:

نقض الله ﷻ بهذه الآية مذهب الجبريّة وهدَمه تماماً، وهذا الدّليل ﴿وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ﴾ أي ما كان عليك لو أنّك آمنت بالله ﷻ وباليوم الآخر؟ لا تأتي هذه الجملة إلّا إذا كنت مخيّراً بين أن تؤمن أو لا تؤمن.

وعندما نتحدّث عن الإسلام بأنّه دينٌ، والدّين لا يكون دين إجبارٍ وإنّما هو دين اختيارٍ، دين عقلٍ وحجّةٍ وبرهانٍ، وسلطان الدّين يأتي من الحجّة والدّليل والبرهان، ولا يأتي بالسّيف والقتل والإرهاب؛ لأنّك أمام قالبٍ وقوالبَ، فالقالب ممكنٌ أن تخضعه بالقوّة، وقد يسجد القالب أمامك

خوفاً منك ومن سلاحك. لكن هل تستطيع أن تَدْخُل القلب وتسيطر عليه؟ لن تستطيع أن تسيطر على قلبٍ إلّا بالإقناع والحجّة والبرهان، هذا هو سلطان الدّين، سلطان الحجّة والبرهان والدّليل، وليس سلطان القوّة والقهر والإجبار كما حوّلته الحركات التّكفيريّة والمتطرّفة.

﴿لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾: ماذا كان عليهم لو أنّهم آمنوا بالله ﷻ واليوم الآخر وأنفقوا ممّا رزقهم ﷻ. وهو ﷻ عليمٌ بهم.

إذاً: كان هناك اختيارٌ لهم، وهم اختاروا عكس ذلك.

(الآية ٤٠) - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾:

نحن نعلم أنّ الله ﷻ هو العدل المطلق، لا يظلم البشر، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصّلت: من الآية ٤٦]، ولكنّ الإنسان إمّا أن يظلم نفسه بتقديم متعةٍ عاجلةٍ على نعيمٍ دائمٍ، أو يظلم غيره، والله ﷻ يقول في الحديث القدسيّ: «**يا عبادي إنّي حرّمت الظّلم على نفسي وجعلته بينكم محرّماً**»(١)، ونعلم أنّ من الدّعوات المستجابة -مثلُ دعوة الصّائم حين يفطر- دعوة المظلوم، فليس بينها وبين الله حجابٌ، وكما أخبرنا النّبيّ ﷺ: «**يرفعها فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السّماء، ويقول الرّبّ ﷻ: وعزّتي لأنصرنّك ولو بعد حين**»(٢)، والله ﷻ لا يظلم أحداً.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب تحريم الظّلم، الحديث رقم (٢٥٧٧).

(٢) سنن التّرمذيّ: كتاب صفة الجنّة، باب صفة الجنّة ونعيمها، الحديث رقم (٢٥٢٦).

وفي هذه الآية الكريمة يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ﴾، توقّف بعض النّاس من الذين لا يعلمون كتابَ الله ﷻ، ولا يتدبّرون القرآن الكريم فقالوا: إنّ الذّرّة ليست أصغر عنصرٍ في الكون، فمنذ سنواتٍ عدّةٍ تمّ تحطيم الجوهر الفرد بألمانيا، وحُطّمت الذّرّة وفُتِّتَتْ إلى ما هو أصغر منها نترونات وإلكترونات.. إلخ، والله ﷻ يقول في هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ﴾ ويقول في سورة (الزّلزلة): ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزّلزلة]، صحيحٌ أنّه تمّ تحطيم الجوهر الفرد، وحُطّمت الذّرّة ومنها خرج النوّوي و.....إلخ، لكنّهم لم يقرؤوا قول الله تبارك وتعالى في آيةٍ أخرى: ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ﴾ [يونس: من الآية ٦١]، لقد ورد في القرآن الكريم ذكر ما هو أصغر من الذّرّة، وعندما تحدّث الله ﷻ عن العدل قال: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧﴾ [الأنبياء]، وقال ﷻ: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦﴾ [لقمان]، فالله ﷻ يحاسب الإنسان حتّى في أدقّ الأمور وهي الذّرّة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ﴾: ﴿مِثۡقَالَ﴾: تعني الوزن، وتأتي من الثّقل، وترتبط بالجاذبيّة، فإن كان شيءٌ ما ثقله كبيرٌ فإنّه يسقط على الأرض بسرعةٍ، وإن كان وزنه أقلّ يكون أبطأ عند السّقوط؛ لأنّ الجاذبيّة

هي التي تؤدّي إلى ما يسمّى مثقال. والله ﷻ لا يظلم النّاس مثقال ذرّةٍ، فإن كانت مثقال ذرّةٍ من خيرٍ فإنّه ﷻ يقول:

﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا﴾: ليس فقط يضاعفها مرّةً، بل وسبعمئة ضعفٍ وأضعافاً مضاعفة.

﴿وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾: الله ﷻ يضاعف كما في قوله ﷻ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾ [البقرة]، ففي عام المجاعة والقسوة الّذي مرّ على المسلمين في المدينة المنوّرة في عهد عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أتت قافلةٌ إلى المدينة، ولم يكن لأهل المدينة غذاءٌ أو طعامٌ نتيجةَ الجفاف الّذي حلَّ بهم بعد أن حُبست عنهم الأمطار، فجاء التّجّار ليشتروا تلك القافلة ثمّ ليبيعوا النّاس بأسعارٍ مرتفعةٍ، فأخذ عثمان بن عفّان القافلة بأكملها واشتراها رضي الله عنه، فجاءه التّجّار: يا عثمان، لقد اشتريت القافلة بأكملها، ونحن نريد أن نبتاع منك، ندفع لك ضعف ما دفعت في هذه التّجارة، فقال سيّدنا عثمان: لقد زادني، فقالوا له: ندفع لك ثلاثة أضعاف، فقال لهم: لقد زادني، قالوا: من الّذي زادك عن ثلاثة أضعاف؟ ندفع لك خمسة أضعاف يا عثمان، فقال عثمان: إنّ الله ﷻ زادني عشرة أضعاف، والحسنة بعشر أمثالها، وإنّني أُشهد الله بأنّني اشتريت هذه القافلة لأهبها لفقراء المسلمين بلا حسابٍ وبلا منٍّ.

علّمنا الإسلام كيف نحارب الاحتكار، احتكر سيّدنا عثمان رضي الله عنه

لصالح الفقراء، فاشترى القافلة كلّها ليمنع الاحتكار وليتصدّق على الفقراء، هنا يضاعف الله ﷻ الحسنة: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٤٥﴾ [البقرة]، لا تسأل عن هذه الأضعاف؛ لأنّك تعطي بقدرتك، والله ﷻ يعطي بقدرته، وعطاء الله ﷻ ليس كعطاء خلقه.

﴿وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ فالله ﷻ فوق هذا العطاء، ومع مضاعفة الحسنات، سيعطيك أجراً على هذا العمل، أجراً على قدر عظمته، فخذ بهذا المقياس ترى مدى العظمة.

(الآية ٤١) - ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ٤١﴾:

هذه الآية آيةٌ عظيمةٌ جدّاً، كان لعبد الله بن مسعود ﷺ صوتٌ جميلٌ في قراءة القرآن الكريم، وكان النّبيّ ﷺ يقول: «**من أحبّ أن يقرأ القرآن غضّاً كما أُنزِل فليقرأه على قراءة ابن أمّ عبد**»(١)، عن عبد الله ابن مسعود ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**اقرأ عليّ القرآن**»، قال: فقلت: يا رسول الله! أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «**إنّي أشتهي أن أسمعه من غيري**»، فقرأت (النّساء) حتّى إذا بلغت: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ٤١﴾ رفعت رأسي، أو غمزني رجل إلى

(١) صحيح ابن حبّان: كتاب التّاريخ، باب إخباره ﷺ عن مناقب الصّحابة، الحديث رقم (٧٠٦٧).

جنبي فرفعت رأسي، فرأيت دموعه تسيل[1].

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾: جئنا من كلّ أمّةٍ بشهيدٍ عليها وهو رسولها، جئنا بالرّسل كلّهم، وبكلّ الأمم يوم القيامة، وجئنا بك يا محمّد شهيداً على هؤلاء جميعاً، الشّهيد عليهم ﷺ بكى، فكيف بالمشهود عليهم؟! ماذا علينا أن نفعل؟

(الآية ٤٢) -﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾:

في هذه السّاعة التي سيشهد فيها النّبيّ ﷺ على الأمم. وقد جاء في سورة (البقرة): ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: من الآية ١٤٣]، وتأتي هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ تتمّة لهذه الآيات، أي أنّ الله ﷻ سيأتي بالرّسل والأنبياء شهداء على كلّ الأمم يوم القيامة، ويأتي بالنّبيّ ﷺ وهو الشّهيد الّذي سيشهد على الأنبياء كلّهم وعلى الأمم كافّة وعلى الخلائق في ذلك اليوم العظيم، وحينئذٍ يودّ الذين كفروا وأشركوا بالله ﷻ، وعصوّا الرّسول، وخالفوه، وحاربوه، ونابذوه، وآذوه: ﴿لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ أن تسوّى؛ أي أن يكونوا تحت الأرض، ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ ولا يستطيعون كتمان ما فعلوا؛ لأنّ الله ﷻ مطّلعٌ على الأعمال

---

(١) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظ للاستماع والبكاء عند القراءة والتّدبّر، الحديث رقم (٨٠٠).

والسّرائر. بعد ذلك تأتي آيةٌ تتعلّق بالأحكام المتدرّجة في تحريم الخمر:

(الآية ٤٣) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾:

علينا أن ننتبه لأمرٍ، عندما يحرّم القرآن الكريم أمراً ما، فإن كان الأمر عقديّاً لا يأتي بالتّدريج، ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة]، ﴿* وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النّساء: من الآية ٣٦]، ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الصّمد]، الأمور المتعلّقة بالعقيدة تأتي مباشرةً لا تدريج فيها، أمّا ما ألِفهُ النّاس فيأتي تحريمه تدريجيّاً حتّى يُخرجَ النّاس من إلف ما اعتادوا عليه، فكان الخمر بالنّسبة إليهم كالماء فجاء قوله ﷻ: ﴿* يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾ [البقرة]، أوّل الأمر بيّن أنّ فيهما إثماً كبيراً، ترك الأمر، كَلَفتِ نظرٍ للنّاس، بعد ذلك وبعد أن فُرضت الصّلاة جاءت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾، إذاً: العلّة التي بيّنها القرآن الكريم سبباً لتحريم الخمر وتحريماً مشدّداً هي ذهاب العقل؛ لأنّ الإنسان لا يعلم ما يقوله عندما يشرب الخمر، وبعد ذلك نُسخت هذه الآية وجاءت آية التّحريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾ [المائدة]، والاجتناب أشدّ من التّحريم؛ لأنّه عندما أقول لك: اجتنب أمراً، يختلف ذلك عن قولي: حرّمت عليك هذا الأمر، فحرّمت عليك هذا الأمر يمكن أن يكون الأمر أمامك، أمّا إن قلت: اجتنب هذا فأنت لا تسير حتّى في الطّريق الّذي يوجد فيه، تجتنب كلّ الوسائل والأساليب الموصلة إليه، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: من الآية ٩٠]، أي ابتعدوا عن كلّ الطّرق والسّبل المؤدّية إليه، وهو محرّمٌ كما حرّم الرّجس من الطّاغوت.

الآية هنا كانت آية تدرّجٍ في تحريم الخمر:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾: هي بدايةُ تعويدِ النّاس على ترك الخمر قبل أن ينزلَ التّحريم القاطع باجتنابه.

﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْ﴾: عابرو سبيلٍ أمام المسجد؛ أي لا يجوز أن تدخلوا المسجدَ وتقربوا الصّلاة وأنتم في حالة جنابةٍ حتّى تغتسلوا، هذا من النّظافة ومن الطّهارة التي أمر بها الإسلام.

﴿وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡ﴾:

ومن هذه الآية نأخذ أحكام التّيمّم.

(الآية ٤٤) - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾﴾:

هذه الآية بدأت الحديث عن اليهود في المدينة الذين واجهوا الإسلام، وواجهوا النّبيّ ﷺ بالمكر والتّآمر والخداع وكلّ أنواع الغبن والإساءة للمسلمين وللنّبيّ ﷺ.

سيقول القائل: إنّ الآيات الثّلاث والأربعين الأولى كانت تتحدّث عن الأحكام المتعلّقة بالمرأة والميراث والأيتام وحرمة النّسب وحرمة الرّضاعة وحرمة المصاهرة بالنّسبة للزّوجات.. وكلّ هذه الأمور، فما الّذي أتى مباشرةً إلى موضوع اليهود؟ إنّه المثال، فالله ﷻ عندما تحدّث عن الأحكام، وعن الشّرائع فإنّه يقدّم للنّاس المثال عن الّذي عصى، الّذي نزل عليه التّوراة ونزل عليه كلام الله ﷻ فمكر وغدر ولم ينفّذ أوامره ﷻ، هذا المثال عن العاصي لأوامر الله ﷻ، وما جاء من أحكامٍ لهم في ذلك الوقت.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: الحديث للنّبيّ ﷺ.

﴿نَصِيبًا﴾: جزءاً، أي أخذوا جزءاً منه وليس كلّه، فبعضهم أسلم مثل عبد الله بن سلام وكعب الأحبار؛ لأنّهم وجدوا كلّ صفات الرّسول في التّوراة.

وقوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ خطابٌ من المولى ﷻ للنّبيّ ﷺ، وقد ذكرنا سابقاً أنّ الرّؤيا تُطلَق على الأمر الحسّيّ لرؤية العين، كقوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾﴾ [الفيل]، النّبيّ ﷺ كان في بطن أمّه

السّيّدة آمنة عندما حدثت حادثة الفيل، هو لم ير بعينه، لكنّ الله ﷻ هو الّذي أخبره، وإخباره ﷻ أصدق من الحواسّ، التي هي مخلوقات الله ﷻ، يُقَال: "ليس مع العين أين"، ومعنى ذلك: أنّك عندما تقول: رأيت فلاناً وهو يسرق، فالرّؤية لا تحتاج إلى دليلٍ وشاهدٍ، فهي دليلٌ قاطعٌ، لكن إن قلتَ: سمعت، فالسّمع يحتاج إلى التّأكيد والتّوثيق، وقوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ فكأنّ الله ﷻ يقول: كأنّك رأيت يا محمّد، وكأنّك شاهدت؛ لأنّ القول جاء من الخالق ﷻ الّذي لا تخفى عنه غائبةٌ في السّماوات ولا في الأرض.

﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾: لماذا اشتروا الضّلالة؟ لأنّهم باعوا الإيمان والتّوراة وما ورد فيها، وأوامر الله ﷻ التي طَلبت منهم أن يؤمنوا بالنّبيّ محمّد ﷺ، باعوها واشتروا مقابلها الضّلالة، لذلك اختصرها المولى ﷻ مباشرةً فقال: ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾، والضّلال يعني أن يحيد الإنسان عن الطّريق السّويّ، وهم لم يكتفوا فقط بأنّهم اشتروا الضّلالة وباعوا الإيمان، لكنّهم يريدون أيضاً أن تضلّوا السّبيل؛ أي فوق ضلالهم يريدون أن يُضِلّوا الآخرين وأن يشكّكوا بالإيمان والإسلام وبأحكام الشّريعة وبما جاء به محمّد ﷺ، هذا ما فعله اليهود.

(الآية ٤٥) – ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾:

اليهود كانوا يظهرون الودّ والتّحالف مع المسلمين من خلال دستور المدينة الّذي تمّ وضعه عند دخول النّبيّ ﷺ إلى المدينة المنوّرة، وهذا الدّستور احترم أهل الكتاب وكلّ العقائد الأخرى لكن شريطة ألّا يتآمروا مع المشركين، ولكنّهم فعلوا ذلك في غزوة الأحزاب.

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ﴾: قد يبدو لك أنّه صديقٌ ومحبٌّ، لكنّ الله ﷻ أعلم بمن هو العدوّ.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا﴾: كفى بالله تبارك وتعالى وليّاً إن تولّاك، والوليّ هو الّذي يقوم مقامك، ويدافع عنك، وكفى به تبارك وتعالى نصيراً.

(الآية ٤٦) - ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ٤٦﴾:

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾: هادوا أي اليهود.

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾: الكلام الّذي كان النّبيّ ﷺ يقوله، أو الّذي ورد في التّوراة يحرّفون معناه، أو يأتون بكلامٍ ملتبسٍ يحتمل أكثرَ من معنى، فالإنسان الّذي يستخدم دائماً كلماتٍ ملتبسة يصبح أمامه مجالٌ ليقول: أقصد هذا ولا أقصد هذا.

﴿وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا﴾: انظروا لدقّة القرآن الكريم، هل هم قالوا: سمعنا وعصينا؟ لا، قالوا: سمعنا، لكن في قلوبهم قالوا: عصينا، والقائل هنا هو الله ﷻ، هذه الآية معجزةٌ! لماذا؟ لأنّه لو كان الّذي يكتب القرآن بشراً فلن يستطيعَ أن يأتي إلّا بالقول الظّاهر المسموع، أمّا القول الباطن فلا يستطيع أحدٌ أن يأتي به إلّا عالم السرّ والخفايا. فقد أخذوا الكلام الّذي

يقوله النّبيّ ﷺ وقالوا أمامه: سمعنا، ولكن في قلوبهم قالوا: عصينا، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾؛ لأنّه ﷻ يعلم ما في القلب، ولا يمكن لأحدٍ غيره قول هذا.

﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾: أي غير مسموعٍ، ولن يُسمَع هذا الكلام ولن يؤخذ به، هذا ما كانوا يقولونه في قلوبهم.

﴿وَرَٰعِنَا﴾: من الرّعونة والطّيش.

﴿لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾: استخدموا كلاماً يحمل أكثر من تأويلٍ وأكثر من معنىً.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾: أي قولوا كلاماً واضحاً وصريحاً، سمعنا وأطعنا بقلوبنا، وليس سمعنا وعصينا في القلب.

﴿وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا﴾: وانظرنا: أي أمهلنا، وليس راعنا، ويأخذونها بمعنى الرّعونة، يأخذون بين هذا وبين ذاك.

﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: لو قالوا هذا بشكلٍ واضحٍ وجليٍّ دون أن يحتمل أكثر من معنى، لكان خيراً لهم وأقوم، لكن لعنهم الله ﷻ وطردهم من رحمته، لماذا؟ بكفرهم، كما قال ﷻ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [المائدة].

﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: أي قليلٌ منهم، كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار ... وغيرهما.

(الآية ٤٧) – ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ٤٧﴾:

نحن نزّلنا القرآن مصدّقاً لما معكم؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى واحدٌ، قال سبحانه وتعالى: ﴿۞شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشّورى: من الآية ١٣].

﴿ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا﴾: آمنوا بما نزّلنا في القرآن الكريم، مصدّقاً لما معكم.

﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ﴾: هنا وعيدٌ وتهديدٌ، نمحي هذه الوجوه فنردّها على أدبارها فتصبح مقلوبةً.

﴿أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِ﴾: من هم أصحاب السّبت؟ هم من اليهود –وستأتي آيات تتعلّق بأصحاب السّبت– وقد منعهم الله سبحانه وتعالى من العمل في هذا اليوم، أي يوم السّبت، ليبتليهم بسبب كثرة جحودهم، فكانت حيتانهم تأتي شرّعاً يوم سبتهم من أجل أن يغريهم الله سبحانه وتعالى في يوم راحتهم، فأرادوا أن يحتالوا على شرع الله سبحانه وتعالى فوضعوا أسلاكاً لتحجزَ الأسماك التي تأتي يوم السّبت، وفي اليوم التّالي تكون موجودةً فيصطادونها، هذا احتيالٌ على شرع الله سبحانه وتعالى، وكان من الأفضل لهم لو أنّهم التزموا أوامر الله سبحانه وتعالى وصبروا عليها، ولم يصطادوا يوم السّبت لكان الله عزّ وجلّ رزقهم يوم الأحد، لكنّهم كانوا بقيّة أيّام الأسبوع لا تأتيهم الأسماك ابتلاءً لهم.

﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا﴾: الله سبحانه وتعالى وحده أمره مفعولٌ، وهو الفعّال لما

يريد بمجرد أن أمرَ، يقول ﷻ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس]، إذاً أمره مفعولٌ ومنتهٍ؛ لأنّه ﷻ لا يتغيّر، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشّورى: من الآية ١١].

(الآية ٤٨) - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾:

هذه الآية من الآيات الثّماني التي ذكرها عبد الله بن عبّاس ﷺ، وذكرناها سابقاً.

يقول النّبيّ ﷺ: «**من قال: لا إله إلّا الله دخل الجنّة**»(١)، انظر لعظمة هذا الدّين، فلا يجعل أحدٌ من نفسه قاضيّاً على النّاس ويقول لهذا: أنت كافرٌ، ولهذا: أنت ستدخل الجنّة، ولهذا: أنت إلى النّار...

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾؛ لأنّ قمّة العقيدة قول: لا إله إلّا الله.

﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾: يجب على الإنسان ألّا يقنط من رحمة الله ﷻ مهما فعل من الذّنوب، ومهما ارتكب من الآثام والمعاصي، ﴿۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزّمر]، فالله ﷻ قريبٌ يُجيب دعوة الداعي، لكنّ المهمّ أن يعزم الإنسان على ألّا يعود لمقارفة الإثم، فقد قال أبو الأسود الدّيلي: إنّ أبا ذرّ ﷺ حدّثه قال: أتيت النّبيّ ﷺ وعليه ثوبٌ أبيضٌ وهو نائمٌ، ثمّ أتيته وقد استيقظ فقال: «**ما من عبدٍ قال: لا إله إلّا**

(١) صحيح ابن حبان: كتاب الإيمان، باب فرض الإيمان، الحديث رقم (١٦٩).

الله ثمّ مات على ذلك إلّا دخل الجنّة»، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق»، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق»، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذرّ»، وكان أبو ذرّ إذا حدّث بهذا قال: وإن رغم أنف أبي ذرّ[1]، ومعنى هذا الحديث بأنّه: إن زنى وإن سرق، وتاب من الزّنى ومن السّرقة فإنّ الله ﷻ يقبل التّوبة عن عباده؛ لأنّه ﷻ فاتحٌ باب التّوبة أمامهم، فلا يتشدّد إنسانٌ ويجعل من نفسه قاضياً على النّاس ليحاكمهم بأفعالهم وأعمالهم، فلا تدري لعلّ هذا الشّخص يكون أقرب إلى الله ﷻ منك، وقد يتوب بعد يومٍ أو يومين، لا أحد يعلم إلّا الله ﷻ. وهو غفورٌ رحيمٌ، ورحمته سبقت غضبه ووسعت كلّ شيء، وديننا دين الرّحمة، فنحن نبدأ القرآن ببسم الله الرّحمن الرّحيم، وبقوله ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة]، فهو ربّ كلّ البشريّة وكلّ النّاس، وقال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء].

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾: ذنباً كبيراً وعظيماً، وهذا إثمٌ كبيرٌ ليس معه توبة إلّا أن يجدّد إيمانه بالله ويلغي الشّرك الّذي يشركه به.

(الآية ٤٩) - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝٤٩﴾:

وهذه آيةٌ عامّةٌ لكلّ النّاس، وليست فقط لليهود والمنافقين الذين

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الثّياب، باب الثّياب البيض، الحديث رقم (٥٤٨٩).

كانوا في المدينة المنوّرة، فالله ﷻ يخاطب نبيّه الكريم ﷺ بألّا تزكّوا أنفسكم، ويجب على الإنسان ألّا يُعجبَ بنفسه وبعمله ويزكّي نفسه، ويتألّى على الله بأنّي فعلت هذا وفعلت ذلك، أنت لم تفعل لله ﷻ، فصيامك وصلاتك وصدقتك لا تزيد من ملك الله ﷻ ولا تنقص من مُلكه شيئاً، والله ﷻ يقول في الحديث القدسيّ: «**يا عبادي، إنّكم لن تبلغوا ضرّي فتضرّوني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي، لو أنّ أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أتقى قلب رجلٍ واحدٍ منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي، لو أنّ أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أفجر قلب رجلٍ واحدٍ ما نقص ذلك من ملكي شيئاً**»[1]، فلا يزكّي أحدٌ نفسه على الله ﷻ ويتألّى عليه، وهناك دائماً أعمالٌ خالصةٌ لوجه الله تبارك وتعالى، فلنكثر من الأعمال التي تزكّينا عند ربّنا ﷻ ولا نزكّي أنفسنا أمام النّاس ونعمل العمل ليقال عنّا: قد فعلنا كذا.

﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾: الله ﷻ هو العدل المطلق، ولا يظلم إنساناً شيئاً، يقول ﷻ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة].

(الآية ٥٠) - ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ۝٥٠﴾:

هؤلاء الذين يفترون ويكذبون على الله ﷻ هم اليهود والمنافقون.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب تحريم الظّلم، الحديث رقم (٢٥٧٧).

الإثم المبين: أنّهم كانوا يكذّبون ويحرّفون الكلم عن مواضعه، ويحرّفون أوامر الله ﷻ، ويكذّبون ويبدّلون ويحرّفون في آياته ﷻ، وهذا إثمٌ عظيمٌ ومبينٌ.

(الآية ٥١) - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآن الكريم يتحدّث عن اليهود، وما فعلوه وما تآمروا عليه عبر تاريخهم وزمانهم، ويخبرنا عن حقدهم على دعوة رسول الله ﷺ، وعلى الخير لكلّ البشر، فهم ناصبوا السّيّد المسيح عليه السلام العداء، كما ناصبوا الرّسول محمّد ﷺ وكلّ دعوات الخير العداء كما قال ﷻ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [المائدة]، العلّة دائماً هي العدوان والمعصيّة، وهذا هو سلوك اليهود منذ بدء البعثة المحمّديّة، وأكثر التّآمر الّذي حدث في تاريخ هذه الأمّة، والذي مزّق أوصالها إنّما هو من فعل اليهود منذ الفترات الأولى، وقد أوضح القرآن الكريم هذه الأمور ورصدها، ونحن هنا نتحدّث عن دينٍ، وليس عن وقائعَ سياسيّةٍ أو تاريخيّةٍ؛ وإنّما هو دينٌ يُدان به، وعقيدةٌ نؤمن بها، فهم الذين اعتدوا وهم الذين نكثوا كلّ العهود والمواثيق مع سيّدنا رسول الله ﷺ، فعندما يقول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾: ومع أنّهم

يُعدّون مؤمنين بالله ﷻ؛ لأنّهم أهل كتابٍ سماويّ، إلّا أنّهم كانوا يتحاكمون إلى التّماثيل والأصنام التي كانت تؤمن بها قريش؛ مسايرةً لهم، ومن أجل الحرب على سيّدنا رسول الله ﷺ.

﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾: فقد كان في قريش صنمان؛ أحدهما يُدعى الجبت، والثّاني الطّاغوت، فأصبح اليهود يعبدونهم، ويُقال أيضاً: الجبت: كلّ ما يتعلّق بالإشراك بالله ﷻ، والطّاغوت: كلّ ما يتعلّق بالطّغيان وزيادة الطّغيان والظّلم.

﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾: هذا حال المنافقين واليهود والّذين كانوا يؤمنون بالجبت والطّاغوت، يشركون بالله بعبادتهم لهم أو بعبادة شهواتهم وأهوائهم واعتقادهم بأنّ فلاناً ينفع ويضرّ، وهذا إشراكٌ بالله ﷻ، كما قال النّبيّ ﷺ: «**أخوف ما أخاف على أمّتي الشّرك والشّهوة الخفيّة**»، قلت: يا رسول الله، أتُشرك أمّتك من بعدك؟ قال: «**نعم، أَمَا إنّهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولا وثناً، ولكن يراؤون بأعمالهم**»[1]، فأحياناً يدخل الإنسان في هذا الأمر عندما يرائي ويُنافق ويعمل العمل لغير وجه الله ﷻ، وإنّما ليُزكّي نفسه، أو أنّه يعتقد أنّ فلاناً يضرّ وينفع، ويعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويحيي ويميت... إلخ.

ونحن نكرّر دائماً هذا الحديث الشّامل النّافع الحاوي كلّ عواملِ الإيمان والاطمئنان والأمن والسّلام لراحة وسكينة المؤمن والإنسان بشكلٍ

(١) مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد: المجلّد الثّالث، ص ٢٥٩، الحديث رقم (٥٢٢٦).

عامٍ، عندما أردف النّبيّ ﷺ خلفَه ابن عمّهِ عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما وقال: «**يا غلام! احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرّف إلى الله في الرّخاء يعرفك في الشّدّة، واعلم أنّ ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، واعلم أنّ الخلائق لو اجتمعوا على أن يُعطوك شيئاً لم يُرد الله أن يعطيك لم يقدروا عليه، أو يصرفوا عنك شيئاً أراد الله أن يُصيبك به لم يقدروا على ذلك، فإذا سألت فسل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنّ النّصر مع الصّبر، وأنّ الفرج مع الكرب، وأنّ مع العسر يُسراً، واعلم أنّ القلم قد جرى بما هو كائنٌ**»[1]، ما أعظم هذه الكلمات التي تبعث الطّمأنينة والرّاحة والسّكينة والهدوء والسّلام النّفسيّ والدّاخليّ للإنسان الّذي يعيش في ظلال القرآن الكريم، وفي ظلال الإيمان والرّحمة والعطاء الإلهيّ الدّائم، ما أحوجنا إلى كتابنا وإلى قرآننا وإلى هديّ رسولنا ﷺ وسنّته. فاليهود اتّخذوا سبيل المشركين، ومالؤوا المشركين واتّفقوا معهم في مكّة، وكان مركزهم الأساسيّ في المدينة المنوّرة.

(الآية ٥٢) – ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾:

أولئك هم المشركون من قريش ومن الجزيرة العربيّة ومن اليهود الذين لعنهم الله سبحانه وتعالى، ولعنته وجلّ تعني الطّرد من رحمته سبحانه وتعالى والخزي والإهلاك.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾: أخزاهم الله سبحانه وتعالى وطردهم من رحمته بمعصيّتهم واعتدائهم على النّاس وكذبهم على التّوراة وتحريفهم لها، وإشعال نيران

(١) المعجم الكبير للطّبرانيّ: أحاديث عبد الله بن عبّاس، الحديث رقم (١١٢٦٥).

الحروب التي أطفأها الله تبارك وتعالى من جرّاء حقدهم على رسالة سيّدنا رسول الله ﷺ، ومن ثمّ على العرب جميعاً.

﴿وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾؛ لأنّ الله ﷻ إذا طرد أحداً من رحمته وأخذه بذنوبه فلن يستطيع أحدٌ الوقوف في وجه قدرة الله ﷻ.

متى يكون الوقوف في وجه القدرة؟ عندما تكون القدرة بشريّةً، يمكن أن تستعين بأحدٍ عليها، أمّا إن كانت القدرة إلهيّةً فمن يلعنه الله ﷻ ويطرده من رحمته ويخزيه فلن تجد له نصيراً.

(الآية ٥٣) – ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾﴾:

يتحدّث الله ﷻ هنا عن بخلهم وعن إمساكهم عن أيّ عمل خيّرٍ أو عملٍ فيه معروفٌ، ولو أعطاهم الله ﷻ نصيباً من المُلك والمال والعطاء فلن يؤتوا النّاس نقيراً، والنّقير: هو الشّيء التّافه، يقول جلّ وعلا: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الإسراء]، حتّى لو كانت خزائن الله ﷻ بين أيديهم لبخلوا؛ لأنّهم جُبلوا على حبّ المال الّذي هو ديدنهم، وهذا ما نراه من اليهود شعب بني إسرائيل عبر كلّ التّاريخ، لذلك فالله ﷻ بيّن للنّاس جميعاً بأنّ المعيار ليس هو المعيار الماليّ، وإنّما هو المعيار الّذي يكون فيه الإنسان بخيرٍ أو بشرٍّ؛ لأنّ الله ﷻ يقول: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾ [الفجر]، أوّل كلمةٍ في الجواب على هذا: ﴿كَلَّا﴾، ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ

﴿ٱلۡمِسۡكِينِ ١٨ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ١٩ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ٢٠﴾ [الفجر]، إذاً: أربعة أمورٍ ليست هي المعايير: الحالة الأولى: أنّ الله ﷻ أعطاني المال – انظروا لدقّة الأداء القرآنيّ– يقول ﷻ: ﴿إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾ أي أنّ العطاء ابتلاءٌ؛ لأنّ الله ﷻ يريد أن يرى أثر هذه النّعمة على خلقه، فإذا ميّز وفضّل إنساناً أو أعطاه فلا يعتقدنّ أنّ هذا تكريمٌ من الله ﷻ له، وأمّا الحالة الثّانية: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ﴾ قتّر عليه رزقه، وكان فقيراً: ﴿فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ﴾ هو لم يهنه، والجواب: ﴿كَلَّاۖ﴾؛ لأنّ المعايير والمقاييس التي قستم بها معايير خاطئة وغير صحيحةٍ وغير دقيقةٍ؛ لأنّ الله ﷻ يقول: ﴿كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ﴾ إذا أعطاكم؛ لأنّ العطاء يكون بإكرام اليتيم، ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ وبإعطاء المسكين والحضّ على إطعامه. لا يكفي أنّك تعطي الفقير بل يجب عليك أن تكون عنصراً فاعلاً تحضّ النّاس على إعطاء الفقراء، والمساواة بين النّاس، وتوزيع الثّروة بينهم، التي أرادها ﷻ أن تكون لكلّ البشر، فخلق هذا غنيّاً وخلق هذا فقيراً، وفرض في مال الغنيّ ما يسع الفقير، وهذا من ابتلاء الله ﷻ، فعندما يقول: ﴿كَلَّاۖ﴾، فالمراد أنّ المعيار الذي قستم به الأمور خاطئ، ﴿وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا﴾، ونحن نجد –وخصوصاً في المحاكم الشّرعيّة– مشكلات الميراث هي أكثر المشكلات الموجودة في المجتمع، بسبب وجود أناسٍ يحبّون أن يأكلوا المال وحِصص البنات والأخوات والأمّهات، وقد حدّد الله ﷻ المواريث في أول سورة (النّساء)، وحدّد حصّة المرأة.

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾، الحبّ: هو تعلّق القلب بشيء، وعبّر عنه القرآن الكريم بهذا الشّكل، بالحبّ العظيم للمال، فالإنسان بخيلٌ لا يعطي، والله ﷻ يريد أن يرى أثر النّعمة، ويريدُ إذا أعطاك أن تعطي المحتاجين، وأن يشعر الإنسان بشعور الفقراء والأيتام والمساكين والمحتاجين في مجتمعه، وليس أن يعيش متنعّماً في قصرٍ ويرى الآخرين في حاجة، لذلك علّق النّبيّ ﷺ الإيمان على أمرٍ خطيرٍ ومهمٍّ، وقد بيّنته سابقاً في حادثةٍ رواها لي أحد الأشخاص، حيث تقول هذه الحادثة: بأنَّ شخصاً يقوم اللّيل دائماً، ويقرأ القرآن الكريم، ويتمنّى أن يرى النّبيّ ﷺ في الرّؤيا، وفعلاً رأى في الرّؤيا مكاناً عظيماً يجلس فيه وقيل له: إنّ النّبيّ آتٍ، لكنّه لم يأت، وإنّما سمع صوتاً يقول له، قال النّبيّ ﷺ: «**ما آمن بي من بات شبعانَ وجاره جائعٌ إلى جنبه وهو يعلم به**»[1]، الصّلاة وحدها لا تكفي، والمحبّة بلا عملٍ لا تُفيد، هذا يحتاج إلى ترجمانٍ.

هذا تفسير هذه الآية، والحديث عن اليهود، عن أولئك المجرمين القتلة المعتدين الذين كانوا في المدينة المنوّرة.

(الآية ٥٤) – ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾:

يحسدون المؤمنين والمسلمين على ما آتاهم الله ﷻ من نعمة الرّسالة المحمّديّة، فما هو الحسد؟ هذا موضوعٌ يؤمن به كلّ النّاسِ، حتّى لو لم يؤمنوا

(١) المعجم الكبير للطّبرانيّ: باب الألف، أنس بن مالك الأنصاريّ، الحديث رقم (٧٥١).

بالإسلام ولا بما ورد في القرآن الكريم، وهم دائماً يخافون منه، ويقول أحدهم: أصابتني عين.. وكلّ هذا الكلام صحيحٌ، وسأتعرّض له علميّاً وليس فقط إيمانيّاً.

كان النّبيّ ﷺ لا ينام حتّى ينفث بـ (المعوّذتين) وسورة (الإخلاص) وهي علاجٌ من الحسد. وفي الآية السّابقة كنّا نتكلّم عن شعب بني إسرائيل، الّذين كانوا يتعلّقون بالمعنويات والقيم والماديّات، ويحبّون أن تكون النّعمة لديهم، والحسد: هو تمنّي زوال النّعمة عن الغير حتّى لو أنّها لم تعد إليك، وهذا مرضٌ، فما تحليل مرض الحسد؟

كلّ العداوات قد تُرجى سلامتها إلّا عداوة من عاداكَ من حسد

لماذا؟ لأنّه عبارةٌ عن حقدٍ وتمرّدٍ على المُنعِم وعلى الخالق ﷻ.

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾: النّعمة التي تأتي للإنسان هل هي إلّا من عطاء الله ﷻ وفضله ﷻ؟ يقول جلّ وعلا: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النّحل: من الآية ٥٣]، الحسد هو نتيجةٌ للحقد، وتحليله من النّاحية العلميّة أنّ الإنسان عندما يختلج في صدره حقدٌ على نعمةٍ عند أحدٍ، يرى عنده مالاً أو جاهاً أومنصباً أو نجاحاً أو تميّزاً فيحقد عليه، ممّا يُحدث في جسمه تفاعلاتٍ كيميائيّةً -تماماً مثل الحزن وهو أمرٌ معنويٌّ، وبنتيجته يرتفع ضغط الدّم ومعدّل السّكّر في الجسم- فتخرج من العين نتيجة هذه التّفاعلات إلكترونات أو ما شابه، فتصيب المحسود، لكن ما ذنب المحسود؟ الحسد مثل داءٍ أو مرضٍ مُعدٍ (كوليرا أو غير ذلك)، يُصيب

الإنسان ثمّ ينقل العدوى لآخر، فأوّل ما يصيب الحسد صاحبه كما يقولون في المثل:

لله درّ الحسدِ ما أعدلَه بدأَ بصاحبهِ فقتَله

فاختلاج الحقد داخل النّفس والصّدر يميت هذا الحسود المبغض الحاقد غيظاً وكيداً، لذلك فالعلاج الإيمانيّ للإنسان من أجل ألّا يحسد هو قوله: "ما شاء الله لا قوّة إلّا بالله"، أمّا علاج المحسود فهو قراءة (المعوّذتين) وسورة (الإخلاص). والحسد أمرٌ واقعٌ، وخطره يكمن في أنّه ردٌّ لقدر الله في خلقه، وذكرنا أنّ اليهود حسدوا المؤمنين؛ لأنّ الرّسالة نزلت في العرب ومن نسل سيّدنا إسماعيل عليه السلام وعلى قلب رسول الله ﷺ.

﴿فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾: هذا جوابٌ لليهود، فمن هم آل إبراهيم؟ سيّدنا إبراهيم عليه السلام عنده ولدان إسحاق وإسماعيل عليهما السّلام، أتاه من إسحاق يعقوب، ومن يعقوب يوسف والأسباط، ومنهم جاء سليمان وداود وموسى وعيسى عليهم السلام، كلّ الأنبياء أتوا من هذا الفرع، فرع آل إبراهيم، لذلك يقال: الدّيانات الإبراهيميّة، من آل إبراهيم فرع إسحاق، وعندما جاء النّبيّ محمّد ﷺ من العرب ساء ذلك اليهود، لذلك عندما نتحدّث عن القوميّة العربيّة وعن ارتباط العروبة بالإسلام، وأنّ القرآن الكريم هو الّذي حفظ اللّغة العربيّة والقوميّة العربيّة، فهذا الأمر واضحٌ وصريحٌ في كتاب الله تبارك وتعالى.

﴿فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: فقد أعطي الزّبور لداود عليه السلام،

والإنجيل لسيّدنا عيسى عليه السلام، والتّوراة لسيّدنا موسى عليه السلام.

﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: هي أقوال وأفعال الأنبياء عليهم السلام.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾: كسليمان وداود عليهما السّلام، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾ [النّمل]، ﴿*وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾ [سبأ]، هؤلاء كلّهم من نسل سيّدنا إبراهيم عليه السلام، نسل إسحاق ويعقوب أي إسرائيل، كلّ هذا المُلك العظيم أُعطي لهذا الفرع، لكنّ القرآن الكريم ونزوله على قلب النّبيّ ﷺ هو أكبر عطاءٍ للبشريّة إلى أن تقومَ السّاعة، وهو من الفرع الآخر، أي فرع سيّدنا إسماعيل عليه السلام.

(الآية ٥٥) – ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾:

بعضهم مؤمنون، وهذا قانون صيانة الاحتمال؛ لأنّ كعب الأحبار وعبد الله بن سلام من اليهود لكنّهم أسلموا وآمنوا وكانوا مع النّبيّ ﷺ.

﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ﴾: انظر لهذا التّقريع وهذا الوعيد، فهم لم يكتفوا بعدم الإيمان، بل وصدّوا عن رسالة سيّدنا رسول الله ﷺ، وكلّ ما يجري من جرائم وقتلٍ، هو للصدّ عن هذه الرّسالة، رسالة الرّحمة، وللصّدّ عن سبيل الله، وهذا منذ زمن اليهود في المدينة المنوّرة حتّى هذه اللّحظة، ففي كتاب الله ﷻ مساحةٌ واسعةٌ تتعلّق بشعب بني إسرائيل، وبموسى عليه السلام، الّذي هو أكثر الأنبياء ذكراً في القرآن الكريم، شيخ أنبياء بني إسرائيل. لماذا؟ لأنّنا يجب أن نعلم جميعاً أنّ بلاء الأمم من شعب بني إسرائيل حتّى هذه اللّحظة.

﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾: هو تهديدٌ ووعيدٌ لأولئك الذين وقفوا في وجه الرّسالات السّماويّة التي هي إشعار الخير للبشريّة جمعاء.

(الآية ٥٦) – ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾:

يجب أن نتوقّف عند هذه الآية علميّاً، ويجب أن نحلّلها وعندما نزلت هذه الآية كيف كانت العلوم الطّبيعيّة والفيزيائيّة والكيميائيّة والتّشريح المرضيّ؟ وكيف أصبحت؟ القرآن الكريم معجزٌ لكلّ زمانٍ ومكانٍ، وهو كتاب هدايةٍ للبشريّة، وفيه إشاراتٌ علميّةٌ مكتنزةٌ لا تتصادم مع العقول البشريّة وقت النّزول، وإنّما تستوعب العلم عندما يتطوّر، فلا يوجد تناقضٌ مع العلم، وهذه الآيات تدلّل على ذلك:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾: سيكون مآلهم إلى جهنّم ويصليهم المولى ﷻ النّار، لكن لماذا قال ﷻ: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾؟ وكأنّ الإشارة القرآنيّة إلى أنّ الألم يأتي للنّفس الواعية من الجلد وليس من المخّ، فعندما يُخدّر المريض يتمّ إجراء العمل الجراحيّ للعضو المصاب دون أن يشعر بالألم؛ لأنّ التّخدير تمّ للنّفس الواعية، فالإحساس بالألم يكون من جرّاء شعيراتٍ حسيّةٍ موجودةٍ في الجلد، هذا ما أثبته العلم، بدليل أنّه في بداية الحقن تشعر بوخزة الألم بسبب تلك الشّعيرات، فالجوارح آلاتٌ توصل الألم للنّفس الواعية، وهذا لم يكن معروفاً علميّاً إلّا في العصر الحديث، لاحظوا الإشارة العلميّة، والدّقّة في القرآن

الكريم عندما قال: ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾؛ ليشعروا ويذوقوا الألم، وذلك لا يكون إلّا من خلال الجلد، فإذا احترق الجلد ذهبت هذه الشّعيرات باحتراقه فتُبدَّلُ الجلودُ جلوداً غيرها، وهذا سبقٌ علميٌّ مُكتَنزٌ في كتاب الله ﷻ، لكنّه وقت النّزول لم يصادم العقل البشريّ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٥٦﴾: العزيز: الذي لا يُغلب، وهو حكيمٌ؛ لأنّه يضع الأمور في نصابها، فعندما يُعذَّبُ الإنسان لا يُعذَّب إلّا بما ظلم وكفر، وبما ارتكب، فلا يُعذَّب الإنسان في الآخرة إلّا بمقتضى الحساب العادل، كما قال جلّ وعلا: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝٤٧﴾ [الأنبياء]، وفي مقابل ذلك دائماً توجد الصّورة المشرقة.

(الآية ٥٧) – ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ۝٥٧﴾:

عندما تحدّث المولى ﷻ عن جهنّم والّذين كفروا قال: ﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾، بينما عندما تحدّث عن الجنّة قال جلّ وعلا: ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ﴾، فاستخدام ﴿سَوْفَ﴾، أي كأنّ هناك وقتاً، أمّا استخدام (السّين) ﴿سَنُدْخِلُهُمْ﴾ فهذا يعني أنّها قريبةٌ؛ لأنّ الجنّة دائماً تكون قريبةً من المؤمن، بينما يشعر الكافر والذي يُمارس الشّرور على الأرض بأنّ هناك أمداً طويلاً، وكأنّ الموت لن يطرق بابه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد.

﴿جَنَّٰتٍ﴾: الجنّة: من جنّ أي ستر، وهي غابةٌ كثيفةٌ من الأشجار

تستر ما تحتها من كثافة أغصانها، هذا المعنى اللّغويّ لكلمة الجنّة، وعادةً عندما تُوضع كلمةٌ في اللّغة العربيّة أو في أيّ لغةٍ في العالم اسماً لشيء ما يكون هذا الشّيء معروفاً وموجوداً، ويعيه الإنسان، ولكن عندما توضع العبارة لأمرٍ غيبيٍّ لا يُعرف يقول الله ﷻ: ﴿۞مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الرّعد: من الآية ٣٥]، فمثلاً لو قلت: التّلفاز، ولم يكن قد اختُرع بعد، لا يمكن أن تتصوّر ما هو التّلفاز، وعندما تقول: جنّة فالنّبيّ ﷺ قال عن الجنّة: «**قال الله تعالى: أعددتُ لعبادي الصّالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشرٍ**»(١)، طالما فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشرٍ، فإذاً الاسم مثل الجنّة وليست هي الجنّة بذاتها، لذلك نردّ على أولئك الذين يتحدّثون عن الحور العين وعن الأزواج المطّهرة –هذه التّفاصيل الغيبيّة– بقولنا: إنّنا نؤمن بما جاء في القرآن الكريم، وهو يقول: ﴿۞مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ فهي ليست كما تتصوّرها بتصوراتك الدّنيويّة، فهذه التّصوّرات هي لما رأته عينك وسمعته أذناك وخطر على قلبك، أمّا الجنّة ففيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشرٍ، فلا تتحدّث وتناقش الآن إلّا بما ورد في كتابه ﷻ وكما أخبرنا ﷻ؛ لأنّها غيبٌ ولم يطّلع أحدٌ على الجنّة ثمّ عاد إلى الدّنيا وأخبر النّاس عنها فأصبحوا يتصوّرونها، لا يوجد تصوّراتٌ.

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنّة وأنّها مخلوقة، الحديث رقم (٣٠٧٢).

﴿وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلٗا﴾: الظّلّ أي مظلَّل، أيضاً كيفيّة هذه الأمور هي كيفيّةٌ غيبيّةٌ يقرّبها الله ﷻ إلى العقل البشريّ وإلى ما يشبهه في الدّنيا، لكن هل هي ذات ما يعيه الإنسان ويراه في هذه الدّنيا؟ قطعاً لا؛ لأنّ القرآن الكريم يمثّل هذه الجنّة ويقرّب الأمر للعقل البشريّ.

وبعد أن بيّن الله ﷻ الآيات والأنبياء الذين جاؤوا من نسل سيّدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، يأتي بآيةٍ محكمةٍ من آيات القرآن الكريم:

(الآية ٥٨) – ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾:

أمرٌ إلهيٌّ عامٌّ ومطلقٌ أن تؤدّوا الأماناتِ إلى أهلها، فما هو تعريف الأمانة؟ الأمانة بشكلٍ مبسّطٍ ما يكون لغيرك عندك من حقوقٍ وتستطيع أن تؤدّيها أو لا تؤدّيها، مثلاً: أحدهم وضع عندي أمانةً لم يوثّقها ولم يكتبها ولم يُشهد عليها شهوداً، فهي أصبحت بأمانتي، هذه تسمّى أمانة بين النّاس، أمّا الأمانة الأعظم فهي أمانة الإيمان بالله ﷻ؛ لأنّه ﷻ قال: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢﴾ [الأحزاب]، ما هي الأمانة التي حملها الإنسان؟ هي أمانة الاختيار؛ أي أنّه يستطيع الاختيار بين أن يؤمن وبين ألّا يؤمن، لذلك نقول لكلّ النّاس: إنّ الدّين هو دين اختيارٍ، وهو دين

أمانةٍ، قال ﷺ: «**لا دين لمن لا أمانةَ له**»[1]، فأوّل الأمانات الواجبة الأداء وأوّل حقٍّ من حقوق الأمانة هو أمانة اختيار الإيمان، هذه الأمانة التي تحدّث الله ﷻ عنها بأنّ الجبال والسّماواتِ والأرض رفضت إلّا أن تأتي طائعةً من دون اختيار، أمّا الإنسان فقد حمل هذه الأمانة، فله الحريّة في أن يختار الإيمان أو الكفر، بدليل أنّ آياتٍ أخرى تقول: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: من الآية ٢٩]، ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٦]، لماذا؟ لأنّه أمانة، هذه الأمانة التي عرضها الله ﷻ على السّماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان، إنّه كان ظلوماً جهولاً.

وأمّا الأمانة التي هي حقٌّ للغير عندك، فلا يوجد دليلٌ عليها إلّا الضّمير والدّين والأخلاق، وقد كان النّبيّ ﷺ يسمَّى محمّداً الأمين لأمانته، حيث وَثِق النّاس بخلُقه وبأمانته ﷺ، وعندما هاجر من مكّة إلى المدينة المنوّرة كانت الأمانات عنده. فالدّين هو الأخلاق، وقد قال النّبيّ ﷺ: «**إنّ أحبّكم إليّ وأقربكم منّي يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً**»[2]، الدّين أخلاقٌ، الدّين أمانةٌ، وتأدية الأماناتِ هي أحد الأسس التي ركّز عليها الإسلام والقرآن الكريم، فالإنسان المتمسّك بدينه يكون أميناً مع ربّه بإيمانه، أميناً مع وطنه فلا يخرّبه، أميناً مع النّاس يؤدّي الأمانات إلى أهلها، والتي

---

(١) المعجم الكبير للطّبرانيّ: باب الصّاد، صدي بن العجلان، الحديث رقم (٧٩٨٨).

(٢) مصنّف ابن أبي شيبة: كتاب الأدب، ما ذكر في حسن الخُلق وكراهية الفحش، الحديث رقم (٢٥٣٢٠).

هي بالمفهوم العامّ تشمل الكثير من الأمور.

﴿إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾: لم يحدّد للمسلمين أم لغير المسلمين.

إذاً: للنّاس جميعاً، وهذه هي دعوة الخير للغير، ليست مختصّةً بالمسلم.

﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾: ولم يقل: وإذا حكمتم بين المسلمين، بل بين النّاس.

﴿أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾: العدل يقتضي خصومةً وتقاضي، ويقتضي تجاوزاً في حقٍّ على حقٍّ، حقّ إنسانٍ على حقّ الآخر، والدّين يأمرك أن تؤدّي الأماناتِ لكلّ النّاس بغضّ النّظر عن عقيدتهم وانتماءاتهم، ويأمرك أن تحكم بالعدل عند وجود نزاعٍ؛ لأنّ استقرار أيّ مجتمعٍ من المجتمعات لا يقوم إلّا على العدل، مثالٌ على ذلك إذا وجدت مباراة كرة قدم –وهي لعبةٌ– تجد الملايين من النّاس يشاهدون المباراة ويراقبونها، فإن أعطى الحَكَمُ ضربة جزاءٍ أو أغفل ضربة جزاءٍ أو تسلُّلاً للاعب يقوم النّاس جميعاً ولا يقعدون؛ لأنّه لم يحكم بالعدل، هذا في اللّعب فكيف يكون الحال في الجدّ؟ فطرة النّاس فُطِرَت على العدل والمساواة بينهم جميعاً، ولا تفريق بينهم لا على أساسٍ دينيٍّ ولا مذهبيٍّ ولا عرقيٍّ ولا إقليميٍّ ولا على أيّ أساسٍ، وإنّما على أساس البشريّة جمعاء، لذلك قال ﷻ مُخاطباً نبيّه ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]، فلا يمكن لدينٍ يأمر بأداء الأمانات وإقامة العدل بين النّاس جميعاً أن يكون فيه أشخاصٌ أو مجموعاتٌ يقولون: إنّ هذا الدّين يأمر بالقتل والذّبح وتدمير الكنائس ويسيء إلى الدّيانات الأخرى، ويجبر

النّاس بسياط التّعذيب على الصّلاة، فهذا مناقضٌ للآيات المحكمة الأساسيّة في كتاب الله ﷻ، والتي تُردّ الآيات المتشابهة إليها؛ لأنّ مقاصد التّشريع الإسلاميّ فيها هو قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾.

سبب نزول: ﴿*إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾

سبب النّزول يكون دائماً لحادثةٍ ما، لكن هناك عموميّة للمعنى وللحكم الشّرعيّ، فعندما فتح النّبيّ ﷺ مكّة أُتي له بمفتاح الكعبة، أتى به الإمام عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه، أو العبّاس ﵁ وأعطاه إيّاه، وسابقاً كان مفتاح الكعبة والسّقاية وغيرها من الأمور تُعطى لقبائل معيّنة، فبنو طلحة كانوا يتناقلون مفتاح الكعبة، وعثمان بن طلحة صاحب مفتاح الكعبة حينئذٍ، كان مشركاً حين دخل النّبيّ ﷺ مكّة فاتحاً -حيث لم يجبر أحداً على الإسلام- وبعد أن فتح النّبيّ ﷺ باب الكعبة ودخل نزلت هذه الآية الكريمة على أغلب الأقوال: ﴿*إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾، فخرج النّبيّ ﷺ من داخل الكعبة، ودفع المفتاح إلى عثمان بن طلحة وقال: «**خذوها يا بني طلحة بأمانة الله ﷻ لا ينزعها منكم إلّا ظالم**»[1]، وقصص العدل في السّيرة الشّريفة وحياة الصّحابة الكرام كثيرةٌ جدّاً، إحدى هذه القصص كانت بين يهوديّ وبين سيّدنا عليّ بن أبي طالب ﵁، حيث تخاصم اليهوديّ واشتكى على سيّدنا عليّ بن أبي طالب

(١) المقاصد الحسنة للسّخاويّ: ج١، ص٣٢٠، الحديث رقم (٤٣١).

في عهد سيّدنا عمر بن الخطّاب ﷺ من أجل درعٍ، فقام سيّدنا عمر بن الخطّاب ليقاضي وينظر بهذا الموضوع فقال: يا أبا الحسن، واستدعى اليهوديّ، فغضب الإمام عليّ كرّم الله وجهه، فقال له سيّدنا عمر: أحزنت وغضبت يا أبا الحسن؛ لأنّني استدعيتك لمقام القضاء؟ فقال: لا والله يا عمر، وإنّما لأنّك فرّقت بيني وبينه فعظّمتني وقلت: يا أبا الحسن، يجب أن تناديني باسمي، كما ناديته باسمه، انظروا لهذه العظمة في العدل التي زرعتها هذه الآية في نفوس الصّحابة رضوان الله عليهم، يرفض الإمام عليّ بن أبي طالب أن يُكرّم أثناء القضاء حتّى بكلمة أبي الحسن، ومع من؟ مع يهوديّ، القضيّة ليست مع مسلمٍ وإنّما مع يهوديّ، هكذا العدل.

وعدل سيّدنا عمر بن الخطّاب ﷺ مشهورٌ، ومنه قصّة القبطي المسيحيّ الذي كان بمصر عندما كان يحكمها عمرو بن العاص ﷺ –القصّة معروفةٌ لكنّ التّدليل عليها مهمّ جدّاً– فقد تسابق ابن عمرو بن العاص والي مصر مع أحد الأقباط بالخيل فسبقه القبطيّ، فضربه ابن عمرو ابن العاص بالسّوط وقال: أتسبقني وأنا ابن الأكرمين؟! فحزن القبطيّ وتألّم كثيراً، وخرج من مصر إلى المدينة المنوّرة ليشتكي إلى عمر بن الخطّاب ﷺ ما فعل ابن الوالي عمرو بن العاص، ولو كان يشكّ للحظةٍ واحدةٍ أنّه لن يأخذ العدل ما كان ليذهبَ من مصر إلى المدينة المنوّرة ليشتكي على ابن الوالي، وعندما وصل وروى القضيّة أمام عمر بن الخطّاب استدعى سيّدنا عمر ﷺ عمرو بن العاص وابنه، وعندما جاءا وبعد أن دقّق عمر ﷺ بالقضيّة أخذ الدّرّة وأعطاها للقبطيّ وقال له: اضرب ابن الأكرمين كما

ضربك، فضرب القبطيّ ابن عمرو بن العاص مثل ما ضربه، وعندما ضربه قال: اكتفيت يا أمير المؤمنين، فقال: لا، اجعلها على صلعة عمرو بن العاص، فوالله ما ضربك إلّا بسلطان أبيه، قال: يا أمير المؤمنين، لقد ضربتُ من ضربني، فقال: لا، اضربْ صلعة ابن العاص، فلقد ضربك بسلطان أبيه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾: نِعم هذه العظة، ما أعظم هذه العظات التي يعظ الله ﷻ بها، ويوجّه المؤمنين لفعلها، بالنّسبة لأداء الأمانات وللحكم بالعدل بين النّاس مع اختلاف صنوفهم وانتماءاتهم، لمجرّد أنّهم بشرٌ، هذه هي دعوة الإسلام.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾: فهو يسمع ويرى، لم يقل: إنّ الله سامعٌ وباصرٌ، بل سميعٌ بصيرٌ؛ لأنّه سميعٌ قبل أن يُوجد من يُسمَع له، وهو بصيرٌ قبل أن يُوجَد من يُبصَر إليه، فالله ﷻ سميعٌ بصيرٌ، يسمع أقوالكم ويرى أفعالكم، وهذه الآية المحكمة والعظيمة عمل بها المسلمون الأوائل صحابة سيّدنا رسول الله ﷺ، فأعطوا القدوة والمثل كسيّدنا عليّ كرّم الله وجهه، وسيّدنا عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، نرى كيف تعاملا، ونفّذا وطبّقا هذه الآية الكريمة، فكانا المثل لكلّ مؤمنٍ، ونحن نقرأ القرآن الكريم، وننظر لسنّة النّبيّ، ولفعل أصحابه الكرام كيف فسّروا بأفعالهم وأعمالهم، والتزموا بأوامر ربّهم، فكانت الحضارة الإسلاميّة الرّائدة التي نشرت لواء الأمن والسّلام والعلم في ربوع أوربّة والعالم الّذي كان يضجّ بالظّلم والظّلام والجهل والجاهليّة.

(الآية ٥٩) – ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾: نحن الآن أمام حكمٍ وأمام فرضٍ من الله ﷻ، المُخاطب في هذا الأمر المؤمن، وأيُّ حكمٍ يصدر في الدّنيا يكون له حيثيّات، والحيثيّات تأتي تبعاً أو بعد الحكم، أمّا بالنّسبة للحكم الشّرعيّ والحكم الإلهيّ فإنّ الحيثيّات هي الإيمان بالله ﷻ، طالما أنّك آمنت بالله ﷻ فأنت مطالبٌ بأنّ تطيع، لم يقل: يا أيّها النّاس، هنا المأمور بالطّاعة لله وللرّسول ولأولي الأمر هم الذين آمنوا، والذين ربط بينهم وبين ربّهم ميثاقٌ وعهدٌ هو عهد الإيمان بالله ﷻ، علمنا العلّة أم لم نعلم، فهذا بالنّسبة لنا إيمانُ الطّاعة، قد يقول قائلٌ: ما هي العلّة أو ما هي الحكمة بأنّ تكون صلاة الظّهر أربع ركعاتٍ، بينما صلاة المغرب ثلاث ركعاتٍ فقط؟ عندما تسأل عن العلّة أو هذه الحكمة في الأمور التّعبديّة، أو في الأمور الشّرعيّة فهناك الكثير من الأمور بيّن الله ﷻ فيها الحكمة والعلّة بالنّسبة للإنسان، وأغمض أموراً أخرى حتّى تكون الطّاعة إيماناً، وحتّى يكون التّنفيذ تعبّداً لله ﷻ، فأنا أنفّذ أمر الآمر طاعةً للآمر، علمت الحكمة أم لم أعلم، ومن المفيد أن أعلم الحكمة، لكن إن لم أعلم الحكمة فيكفي بأنّني أطيع لأنّني آمنت، وعلّة الإيمان تتعلّق بالعقل وليست بالطّاعة، الأمر دقيقٌ، طالما أنّك آمنت فهذا الحكم من الله ﷻ، أمّا عندما تريد أن

تؤمن بالله ﷻ فأنت حرٌّ كما قال ﷻ: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: من الآية ٢٩]، هناك عقلٌ هو الّذي يستنبط، وينظر بالأدلّة، ويرى أنّ هذا الكون له خالقٌ، والآيات الكونيّة الموجودة كالسّماوات والأرض والجبال والحياة والتّرتيب والنّظام الكونيّ والماء والبشر والحجر.. وغيرها، عندما تستقرّ عقليّاً بالنّسبة للإنسان يؤمن بأنّ هناك إلهاً خالقاً، وطالما أنّ الإله هو الخالق فهو أدرى بمصلحة المخلوق، وعلى المخلوق طاعة الخالق. وبعض النّاس يريد التّشكيك بالدّين الإسلاميّ وبالأديان السّماويّة، وأن يخلط الأمور عن قصدٍ، فيدّعي أنّ المسلم أو المؤمن يطيع وينفّذ الأوامر ويُلغي العقل، بينما نجد في كتابنا العزيز علّة كلّ الأحكام: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، في كلّ الأحكام والأمور طُلب منك أن تُعمل العقل، وفي أصل الإيمان لا بدّ من العقل حتّى تصل لحقيقة الإيمان، وعندما تؤمن بعد ذلك فإذا ثبت لك بالدّليل أنّ الله تبارك وتعالى هو الّذي أمر فعليك طاعة الآمر حتّى ولو لم تتبيّن الحكمة لك؛ لأنّ الحكمة قد تكون لأسبابٍ تتعلّق بالعقل البشريّ، والله ﷻ قال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: من الآية ٢٨٦]، فلا يكلّفك ﷻ إلّا بما تستطيع، فإذا كان فوق طاقتك فإنّه ﷻ يعطي الرّخصة: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: من الآية ١٨٤]، مثلاً الصّلاة إن لم تستطع قائماً فصلِّ قاعداً، وإن لم تستطع قاعداً فصلِّ نائماً، وهناك رخصٌ، عندما لا تستطيع طاقة الإنسان أن تتحمّل التّكليف؛ لأنّ

أصل الأحكام في الشّريعة الإسلاميّة هي اليسر والتّيسير، «**يسّروا ولا تُعسّروا، وبشّروا ولا تنفّروا**»[1]، كما قال نبيّنا ﷺ.

طالما أنّ حيثيّة الحكم هي الإيمان بالله ﷻ، فيا مَن آمنت بالله ﷻ عليك أن تطيعه فيما أمر، وفيما أَنزل في القرآن الكريم المُنزّل على عبده سيّدنا محمّد ﷺ، وفي كلّ أمرٍ تكليفيٍّ؛ افعل ولا تفعل، هذا حلالٌ وهذا حرامٌ، عليك أن تطيعه بالإجمال، لكنّه ﷻ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾، طاعة الرّسول ﷺ في التّفصيل، وطاعة الله ﷻ في الإجمال، مثال: في الإجمال قوله ﷻ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، هذه آيةٌ في القرآن الكريم، فقوله ﷻ: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾ أي أقيموا الصّلاة، لكن كيف أُقيم الصّلاة؟ إذاً: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾؛ لأنّ مَن أخبرني أنّ الصّلاة خمسةُ أوقاتٍ، وأنّ صلاة الفجر اثنتان، والظّهر أربع، والعصر أربع، والمغرب ثلاث، والعشاء أربع، هو النّبيّ ﷺ، وهو مَن علّمني كيف تُقام الصّلاة، وما هي أركانها، وواجباتها، ونواقضها، وأخبرني أنّ من شروطها التّوجّه إلى القبلة وستر العورة، وأنّ أركانها القيام والرّكوع والسّجود والتّشهّد. إذاً: لا يستطيع إنسانٌ القول: اقرأ القرآن فقط، وخُذ به ودعْ ما سواه، ماذا ستأخذ من القرآن؟ كيف ستفسّره؟ إذا قرأت قوله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: من الآية ٩٧]، مَن الّذي سيعلّمك كيف يكون الحجّ؟

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب العلم، باب ما كان النّبيّ ﷺ يتخوّلهم بالموعظة والعلم، الحديث رقم (٦٩).

والنّبيّ ﷺ قال لنا: «**خذوا عنّي مناسككم**»، والله ﷻ يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: من الآية ٧]، إذاً: الوحيد المخوّل بالتّشريع هو الرّسول ﷺ، فكيف فُوّض؟

فوّض بأمرٍ من الله تبارك وتعالى، ونحن مُطالبون بطاعة الرّسول ﷺ، نحن نطيع الله ﷻ في الإجمال، ونطيع الرّسول ﷺ في التّفصيل.

بالنّسبة للزّكاة، ما هو نصاب الزّكاة، وما الحول بالنّسبة للزّكاة؟ وكيف تكون الزّكاة؟ من الّذي علّمنا إيّاها؟ الرّسول ﷺ.

يجب أن نفرّق أيضاً ما بين الدّليلِ وما بين سنّةِ النّبيّ ﷺ، الدّليل يكون من هدي النّبيّ ﷺ، فعندما أقول ركعتان قبل فرض الظّهر سنّةٌ عن النّبيّ ﷺ فليس لها علاقةٌ بصلاة أربع ركعاتٍ، وهي مفصولةٌ تصلّى وحدها، لكن مَن أخبرنا أنّ صلاةَ الظّهر أربع ركعاتٍ، هو حكمٌ من الرّسول ﷺ، فهل تقول: هذه سنّةٌ عن النّبيّ ﷺ وأنا لا آخذ إلّا من القرآن الكريم؟! هذا حكمه حكم القرآن الكريم، وإلّا لن تقيم صلاةً ولا زكاةً ولا حجّاً ولا صوماً ولا أيّ أمرٍ من الأمور إذا لم تتّبع الرّسول ﷺ، الآيات واضحةٌ ودقيقةٌ، يجب أن أفرّق إن كان هناك دليلٌ، فهذا الدّليل إمّا دليلُ تفصيلٍ عن الله تبارك وتعالى جاء من رسول الله ﷺ، أو دليلٌ يتعلّق بسنّةِ النّبيّ ﷺ، كصلاة قيام اللّيل، وصلاة ركعتين بعد المغرب، وهذا شيءٌ يُكمِّل الفرضَ، أمّا بالنّسبة لكلّ تفصيلٍ من رسول الله ﷺ بالفرائض التي أمر بها الله ﷻ، فلا تقل: إنّه ليس من القرآن الكريم، ولأنّه سنّةٌ لا آخذ به؛ لأنّ طاعة

رسول الله ﷺ مكتنزةٌ ضمن طاعة الله ﷻ، فأنت عندئذٍ قد تركت الدّين؛ لأنّ كلّ الأمور الدّينيّة والتّشريعيّة وتفسير القرآن الكريم والأحكام الشّرعيّة وبيانها جاءت من سيّدنا رسول الله ﷺ، لذلك جاءت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾، أي أطيعوا الله ﷻ فيما ورد في القرآن الكريم مجملاً، وتفصيلها: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾.

﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾: انظروا لعظمة هذا الإسلام، ارجعوا وأطيعوا أهل الاختصاص في كلّ أمرٍ، وفي اللّغة العربيّة كلمة (أولي الأمر) مجملة، مثلاً: عندي قضيّةٌ تتعلّق بالرّياضيّات فأطيع الإنسان المتخصّص بالرّياضيّات، عندي أمرٌ متعلّقٌ بالدّين فآخذ الحكم من المتخصّص بالأمور الدّينيّة والمتعلّقة بالقرآن الكريم وبسنّة رسول الله ﷺ، عندي أمرٌ اقتصاديٌّ آخذه من المختصّين، وهكذا..، إذاً: هي كلمةٌ مجملةٌ تعطي حقيقةَ هذا الدّين، وضوابط للمجتمع، فلا يتمّ استقرار أيّ مجتمعٍ بشريٍّ إلّا إذا كانت هناك طاعةٌ لله ﷻ وطاعةٌ لرسول الله ﷺ فيما يتعلّق بالأمور والأحكام الشّرعيّة، وطاعةٌ لأولي الاختصاص فيما يختصّون به، وتشمل أيضاً ولاة الأمور بالنّسبة للسّياسة والحكم، فطالما أنّ هناك وليّ أمرٍ يُرجَع الأمر إليه فسوف تضمن استقرار أمن أيّ مجتمعٍ من المجتمعات. فالإسلام وضع قواعدَ الاستقرار والأمن للمجتمعات في هذه الآيات العظيمة، ولم يتركها فوضى ومشاعاً للنّاس، فهذا الّذي يريد أن يعالج نفسه هل يذهب للحلّاق ويسأله عن الدّواء الذي عليه أن يأخذه؟ فأُولو الأمر هنا هو الطّبيب.

﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾:

قال بعض المفسّرين: هذه الآية تشير إلى أنّ هناك وليّ أمرٍ فيما يتعلّق بالأحكام الشّرعيّة، فإن حصل خلافٌ أو تنازعٌ فعليك أن تردَّ الأمر إلى أصله، والأصل هو ما ورد في كتاب الله ﷻ وسنّة سيّدنا رسول الله ﷺ، فكيف نردّه إلى الله ﷻ وإلى رسول الله ﷺ؟ لم يأمر الله ﷻ ببرنامجٍ سياسيٍّ ولا اقتصاديٍّ ولا علميٍّ ولا كيميائيٍّ ولا اجتماعيٍّ، إنّما وضع ضوابط عامّةً هي لمصلحة البشريّة كما مرّ بنا في الآية التي سبقتها: ﴿*إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾، ﴿*إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النّحل]، ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الشّورى: من الآية ٣٨]، إذاً تَردُّ الأمر إلى الله ﷻ وإلى تفصيل رسول الله ﷺ، من خلال هذا الفهم وليس كما أدخل بعضهم الإسلام في المصالح الخاصّة للتّنظيمات الإرهابيّة والسّياسيّة التي ادّعت أنّها إسلاميّةٌ والإسلام بريءٌ منها، الإسلام لا يضع على الإطلاق قوالبَ جامدةً للنّاس وتأتي مجموعةٌ وتقول: نحن نمثّل الإسلام ونطبّقه، ونحن الخلافة الإسلاميّة، هذا الكلام مرفوضٌ في الإسلام؛ لأنّه عامٌّ لكلّ النّاس وللمجتمع بأكمله، وليس حكراً على حزبٍ أو مجموعةٍ، ولا يمكن أبداً أن نحجّمَ الإسلامَ ونجعله لفئةٍ معيّنةٍ، وإنّما يقول ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]، هو علاقةٌ مع المؤمنين، مع الوطن والمواطن، هو خيرٌ وعدلٌ ومحبّةٌ وإحسانٌ، وبرٌّ للوالدين وصلة

أرحامٍ، هو حسن المعاملة وعدم الكذب والغشّ وعدم الاحتكار وأداء الأمانة، وهذا مطلوبٌ لكلّ النّاس، فلا تقل: أنا المسؤول عن تطبيق الإسلام، هذا لا يتمّ أبداً؛ لأنّه تحريفٌ لما أمر به الله ﷻ ورسوله ﷺ، ولقد شاهدنا هذه الفئات التي استغلّت الشّعارات الإسلاميّة كيف ارتكبت كلّ الموبقاتِ والجرائمِ، وهي تدّعي تطبيق القرآن الكريم والأحكامِ، والسّير على نهج رسول الله ﷺ وسنّته. والله ﷻ ورسوله الكريم ﷺ والمؤمنون بريئون منهم ومن أفعالهم وإرهابهم وجرائمهم، فالإسلام هو خيرٌ عامٌّ للنّاس جميعاً، المسلم وغير المسلم، يقول ﷺ: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ**»[1]، فإذا تنازعتم في شيءٍ فردّوه إلى الأصل، ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، أي لسنّته ﷺ.

هذا: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾، فالّذي لا يؤمن بالله ﷻ واليوم الآخر لن يردّ أيّ أمرٍ لا إلى الله ﷻ ولا إلى رسوله ﷺ.

﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾: أحسن تأويلٍ وأفضل خيرٍ أن تطبّق هذه الآية القرآنيّة العظيمة.

(الآية ٦٠) - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾:

(١) مسند البزّار: المجلّد الثّاني، مسند فضالة بن عبيد، الحديث رقم (٣٧٥٢).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾: الزّعم: هو مطيّة الكذب.

ما هو سبب نزول هذه الآية؟ هذه الآيات تتعلّق باليهود، فقد كان في مجتمع المدينة المنوّرة المنافقون والمشركون واليهود والمسلمون، والمنافقون كانوا يزعمون أنّهم آمنوا، والإيمان لم يدخل قلوبهم.

﴿يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾: من الكتب السّابقة.

﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾: الطّاغوت: هو مبالغةٌ من الطّغيان والظّلم وتجاوز الحدّ، وتطلق هذه الكلمة دائماً على عمل الشّرّ وعمل الشّيطانِ والأمور التي فيها تجاوزٌ على حقوق النّاس، والطّاغوت مفرد ومثنى.

سبب النّزول:

كان هناك رجلٌ منافقٌ في المدينة اسمه بِشْر هذا الرّجل اختصم مع يهوديّ فقال اليهوديّ: نحتكم إلى محمّد في الخلاف، فرفض المنافق بِشْر وقال: بل نحتكم إلى كعب بن الأشرف وهو من أحبار اليهود، لماذا؟ لأنّه مُنافقٌ، وطالما أنّه منافقٌ فلم يكن الحقّ معه بل عليه، والحقّ مع اليهوديّ الّذي اختصم معه، والإسلام يأمر بالعدل، قال ﷻ: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النّساء: من الآية ٥٨]، وكما ذكرت سابقاً عندما اشتكى يهوديّ وتحاكم بدرعٍ مع سيّدنا عليّ كرّم الله وجهه رفض الإمام عليّ بن أبي طالب أن يقول له سيّدنا عمر بن الخطّاب ﷺ: يا أبا الحسن؛ لأنّه يجب

أن يساويه مع اليهوديّ بالنّداء في مجلس القضاء، هذا هو الإسلام، الّذي يؤخذ من تطبيق الصّحابة، من تطبيق سيّدنا عمر وسيّدنا عليّ رضي الله عنهما، فهذا الرّجل رفض أن يحتكم إلى رسول الله ﷺ، وطلب أن يحتكم إلى كعب بن الأشرف، فنزلت الآية.

فهم يريدون أن يتحاكموا إلى الطّاغوت؛ لأنّهم يعرفون أنّ الطّاغوت سيكون مع الإنسان الطّاغي والظّالم، فكعب بن الأشرف سيحكم وفق المصلحة وليس وفق العدل والحقّ.

﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا﴾: هؤلاء أولياء الشّيطان.

(الآية ٦١) – ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ٦١﴾:

كلمة ﴿تَعَالَوۡاْ﴾ جاءت من أنّك عندما تطبّق ما أمر به الله ﷻ ورسوله ﷺ فأنت ترتفع إلى الأعلى.

﴿رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا﴾: المنافقون يُعرفون بسرعةٍ، فهم يبتعدون عنك ويصدّونك عن إعطاء الحكم والنّتيجة؛ لأنّهم يعرفون أنّك لن تحيد قيد أنملةٍ عن الحقّ والعدل، حتّى لو كان هذا العدل يتعلّق بخلافٍ بين مسلمٍ ويهوديٍّ، فإن كان الحقّ مع اليهوديّ ينصره، وإن كان بين مسلمٍ ومشركٍ والحقّ مع المشرك يأخذ له هذا الحقّ، هذا هو عدل الإسلام كما أمر الله ﷻ، لذلك إذا قيل لهم: ﴿تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾؛ لأنّ حكم الله ﷻ يبيّنه رسول الله ﷺ.

﴿رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾: والحقيقة بأنّ المنافقين في أيّ مجتمعٍ من المجتمعات هم آفةٌ خطرةٌ، وأكثر الآيات في القرآن الكريم جاءت بحقّ المنافقين؛ لأنّ العدوّ الظّاهر أثره يبقى أقلّ من المخفيّ الّذي يُبدي شيئاً ويكتم شيئاً آخر، يُبدي الإيمان ويُبطن الشّرك، يُبدي الصّداقة ويكتم العداوة، يُبدي الحقّ ويكتم الباطل، يُبدي العدل ويكتم الظّلم، فالنّفاق هو داءٌ عضالٌ خطرٌ يصيب المجتمعات إصابةً مباشرةً، وهو أخطر من العدوّ الظّاهر؛ لأنّه يتسلّل داخل الجسد.

(الآية ٦٢) – ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾:

هذه الآيات تتعلّق بالمنافقين: والنّفاق كما قلنا: هو من أخطر الأدواء التي تصيب أيّ مجتمعٍ من المجتمعات، وتُهدِّد بنيان المجتمعات السّليمة، لكون المنافق عدوّاً باطناً غير ظاهرٍ بالنّسبة للإنسان، يسير ويميل حيث يميل هواه، وحيث تتحقّق مصلحته، فهو دائماً يقدّم المصالح على المبادئ، والمصالح الخاصّة على المصالح العامّة، ونحن نرى أثر النّفاق في أيّ مجتمعٍ من المجتمعات كيف ينخر بنيان المجتمع، ويغيّر الحقائق أمام النّاس؛ لأنّ المنافق لا يقول الحقيقة، وأوّل صفةٍ من صفاته هي الكذب، وهو من الأمور التي حرّمها الله ﷻ، وقد بيّن رسول الله ﷺ بأنّه لا يجتمع في قلب المؤمن الكذب مع الإيمان.

الآيات هنا تتحدّث عن المنافقين وعن بعض صفاتهم:

﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: المصيبة هي الأمر الذي يطرأ على الإنسان ويُعدُّ بعِرْفِه أنّه يضرّه، فقد يكون بعرفك أنّه ضررٌ لكنّه في الحقيقة غير ذلك، فبعِرْفِك كلّ ما انتقص من مصلحتك الشّخصيّة يكون ضرراً أو مصيبةً. المصيبة هنا بما قدّمت أيديهم؛ لأنّهم لا ينسجمون مع الحقائق ومع أنفسهم، وإنّما يذيّلون هذه الأمور وفق مصلحتهم، كما وصفهم تبارك وتعالى بقوله: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾ [النّساء].

﴿ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾: يحلفون بالله ﷻ الكذب، فهم يدّعون الإصلاح والإحسان، ويصوّرون الصّورة التي يرون من خلالها مكاسبهم ومصالحهم الخاصّة، ثمّ يأتون ويحلفون بالله ﷻ أنّهم لم يريدوا إلّا إصلاحاً وتوفيقاً.

(الآية ٦٣) - ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾:

بالنّسبة لله ﷻ هم مكشوفون وواضحون، أمّا بالنّسبة للنّاس والمجتمع فلا يمكن تحديد المنافق من غير المنافق، فهناك صفاتٌ ومعايير معيّنةٌ تنطبق على النّفاق، لكنّه قد لا يكون واضحاً ولا يكتشف الإنسان في مجتمعه من هو المنافق ومن هو الصّادق، من هو الأمين ومن هو الخائن، قال ﷺ: **«إنّها ستأتي على النّاس سنون خدّاعة، يصدّق فيها الكاذب، ويُكذّب فيها الصّادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويُخوّن فيها الأمين، وينطق فيها**

الرّويبضة»، قيل: وما الرّويبضة؟ قال: «**السّفيه يتكلّم في أمر العامّة**»[1]، فالنّفاق خطرٌ دائمٌ في البنيان الاجتماعيّ في أيّ وطنٍ من الأوطان، ولكن متى بدأت حركة النّفاق في المجتمع الإيمانيّ؟ عندما كان رسول الله ﷺ والّذين معه مضطهدين من قِبَل المشركين في مكّة لم يوجد داءٌ اسمه النّفاق، لماذا ستنافق للرّسول ﷺ وللمؤمنين وهم يتعرّضون للعذاب والاضطهاد، كما جرى مع سيّدنا بلال رضي الله عنه وغيره من الصّحابة الكرام، وكذلك الحصار في شعب أبي طالب؟! ولكن حركة النّفاق بدأت عندما انتصر الرّسول ﷺ وأصبحت شوكة المسلمين قويّةً في المدينة المنوّرة، فكان المنافقون إذا أصابتهم مصيبةٌ أو تعرّضت مصالحهم للإيذاء بما قدّمت أيديهم؛ أي من جرّاء نفاقهم وكذبهم، يأتون إلى رسول الله ﷺ يحلفون بالله ﷻ ويدّعون غير الحقائق. لكن لا يمكن لأحدٍ أن يمحّص ويقول: هذا منافقٌ وهذا غير منافقٍ؛ لأنّ الله تبارك وتعالى لو أمر رسوله ﷺ أن يخبر كلَّ منافقٍ بأنّه منافقٌ لاتّبع النّاس هذه السّنّة عن رسول الله ﷺ، ولشكّك بعضهم ببعض، ولأصبح كلّ إنسانٍ يتهمّ الآخر بأنّه منافقٌ.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: اتركهم، أي لا تفضحهم؛ لأنّ الله ﷻ أخبر الرّسول ﷺ من هم المنافقون، ومن بينهم رأس النّفاق في المدينة عبد الله بن أبيّ ابن سلول، الّذي كان يقود حركة النّفاق.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: مسند المكثرين من الصّحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، الحديث رقم (٧٨٩٩).

أعرض عنهم لكن عظهم، وقل لهم في أنفسهم قولاً يبلغ قرار النّفس ودخائلها، هذا الأمر للرّسول ﷺ، ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١﴾ [الغاشية]، عظهم وقل لهم الحكم الشّرعيّ، لكن لا تفضحهم وتُخبِر من هو المنافق ضماناً للمجتمع، ولتكن الموعظة عامّةً كما كان ﷺ يقول: «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا»، فعلاج النّفاق لا يكون إلّا بالإيمان والأخلاق، فهناك قانونٌ يحارب الفساد، وقانونٌ يضبط الحركة الاقتصاديّة في المجتمع، ويضبط بعض العلاقات الاجتماعيّة، ولكن لا يوجد قانونٌ وضعيٌّ يُحارب النّفاق ويضبط حركته في المجتمع، مع أنّه أخطر من كلّ الأمراض الاجتماعيّة، وهو سبب معظم مظاهر الفساد في أيّ مجتمعٍ من المجتمعات، لذلك كان الأمر لرسول الله ﷺ وعلاجه لا يكون إلّا بالإيمان.

﴿وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا﴾: الله ﷻ تحدّث عن النّفاق في بداية سورة (البقرة) بثلاث عشرة آية وصف بها المنافقين، ورصد دخائل أنفسهم، وفي القرآن الكريم سورةٌ كاملةٌ دلّلت على خطر النّفاق في المجتمع هي سورة (المنافقون)، فكيف تكون ضوابط النّفاق ومعالجته؟ هل تستطيع أن تشتكي على أحدهم على أنّه منافقٌ لمحاكمته؟ لا يمكن، إذاً العلاج ﴿وَعِظۡهُمۡ﴾، العلاج يكون بالعظة، والإيمان بالله ﷻ.

(الآية ٦٤) – ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤﴾:

هذه الآية والتي تليها تتعلّق بهما علاقة الأمّة بالرّسول ﷺ.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾: العلاقة بين الرّسول ﷺ وبين من أُرسل إليهم هي الطّاعة وليست المحبّة، فالمحبّة تأتي من الطّاعة:

تعصي الإلهَ وأنتَ تُظهِرُ حبَّـه ... هذا لَعمري في القياسِ بَديعُ

لو كان حبُّك صـادقاً لأطعْتَـه ... إنَّ المحـبَّ لمـن يحبُّ مطيـعُ

فلا يمكن أن تحبّ الرّسول وتخالفه، لا بدّ من الطّاعة، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ أي بأمر الله ﷻ، العلاقة محدّدةٌ بالطّاعة، يقول ﷻ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١﴾ [آل عمران]، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: من الآية ٧]، العلاقة ليست علاقة رسولٍ أدّى الرّسالة ثمّ ارتفع إلى الرّفيق الأعلى وانتهى دوره، لا، فدليلي هذه الآيات: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾.

﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾: ظلم النّفس أن تقدّم لها شهوةً عاجلةً وتحرمها من نعيمٍ دائمٍ، أي توقع النّفس في المعصية فتسرق أو تزني أو تشرب الخمر أو تكذب أو تقتل أو تسيء أو...، فتعتقد أنّك عندما تسرق تأخذ المال، ولكنّك ظلمت نفسك ولم تعطها المال، وإنّما أعطيتها ظلماً؛ لأنّك حرمتها من نعيمِ الله ﷻ وأوصلتها إلى عذابه جلّ وعلا، وهذا المال

المسروق سيكون وبالاً عليك وعلى أسرتك، وكلّ المعاصي على المقياس والمعيار ذاته، ورأس ظلم النّفس هو ظلمك لغيرك؛ لأنّه قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات: من الآية ١٣]، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ [النّساء: من الآية ١]، فحتّى تجد الله ﷻ توّاباً رحيماً وتخرج من الذّنب تحتاج لثلاثة أمورٍ:

١- ﴿جَآءُوكَ﴾، هنا جاؤوك وهو حيٌّ، لكن عندما ارتقى إلى الرّفيق الأعلى كيف نجيء إليه ﷺ؟

المجيء؛ أي اتّباع سنّة النّبيّ ﷺ فيما أمر ونهى، أي جاؤوا إلى هديك وسيرتك وسنّتك فاتّبعوها، فيكونون كأنّهم أتوا إلى رسول الله ﷺ، وليس المقصود بالمجيء هنا الذّهاب إلى قبر النّبيّ ﷺ، وزيارة قبره الشّريف ﷺ أمرٌ جيّدٌ، لكن المهمّ أن تأتيه؛ أي أن تلتزم بطاعته ﷺ أوّلاً.

٢- ﴿فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ﴾، والنّقطة الثّانية أن تستغفر الله ﷻ.

٣- ﴿وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾، عندما كان حيّاً كان ﷺ يستغفر لهم، وكذلك بعد مماته عليه الصّلاة والسّلام، فقد جاء في الحديث الشّريف قول النّبيّ ﷺ: «**حياتي خيرٌ لكم تُحدِّثُونَ ونُحَدِّثُ لكم، ووفاتي خيرٌ لكم تُعرَضُ عليَّ أعمالكم، فما رأيت من خيرٍ حمدت اللَّه عليه، وما رأيتُ من شرٍّ استَغفرتُ اللَّه لكم**»(١).

(١) مسند البزّار: مج١، مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، الحديث رقم (١٩٢٥).

فأوّل نقطةٍ: أن تُطيع الرّسول ﷺ، وثاني نقطةٍ: أن تستغفر الله ﷻ، وثالث نقطةٍ: أن يستغفر لك الرّسول ﷺ، ولن يستغفر لك وأنت تعصيه.

﴿لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾: أن تجد الله ﷻ توّاباً رحيماً لا يمكن أن يكون من وراء رسول الله ﷺ، فلا علاقة مع الله ﷻ من خلف رسول الله ﷺ على الإطلاق؛ لأنّ علاقة الإنسان مع الرّسول ﷺ هي العلاقة الأساسيّة لفهم أوامر الله ﷻ وما أنزل إليهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنفال]، وحّد الضّمير، فهنا عطف طاعة الرّسول ﷺ على طاعة الله ﷻ، وقال: ﴿وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ﴾، فالّذي يتولّى عن الرّسول ﷺ كأنّه تولّى عن الله ﷻ.

(الآية ٦٥) – ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾:

﴿فَلَا﴾: لا النّافية.

﴿وَرَبِّكَ﴾: يقسم ﷻ بذاته العليّة، والله ﷻ يُقسِم بما يشاء من خلقه، وأنت لا يحقّ لك أن تقسم إلّا بالله ﷻ وحده، ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾﴾ [الذّاريات]، ﴿وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾﴾ [الفجر]، ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾﴾ [العصر]، هنا قال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ هذا قسمٌ.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾: علّق كلّ الإيمان، حتّى يحكموك، والإيمان أن تؤمن بالله ﷻ وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشرّه، لكن كيف سيترجم الإيمان؟ ترجمته أن تُحكِّم رسول الله ﷺ،

انظر لدقّة الآية: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ نفى كلّ الإيمان ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ أصعب قضيّةٍ على النّاس هي النّزاع، ممكن أن تُحكّم بأيّ شيءٍ وترضى، لكن عندما يكون هناك نزاعٌ يكون في النّفس شدّةٌ ونفور، وعليك أن تلتزم بحكم الرّسول ﷺ.

﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾: من الشّجر، أي تشابك الأغصان.

﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾: ليس فقط أن تأتي لحكم الرّسول ﷺ، بل العلاقة معه ﷺ مستمرّةٌ دائماً لا تنقطع على الإطلاق.

الدّخول في الإيمان له ثلاثةُ أمورٍ، والخروج من الذّنب له ثلاثة أمورٍ، فالدّخول في الإيمان يكون بـ:

أوّلاً: تحكيم الرّسول ﷺ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾.

ثانياً: عدم وجود الحرج لديك في تطبيق حكم رسول الله ﷺ وأمره: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾.

ثالثاً: الإذعان لأمر رسول الله ﷺ: ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

هذه ثلاثة أمورٍ لكي تدخل في الإيمان، وأمّا الأمور الثّلاثة حتّى تخرج من الذّنب فهي في الآية التي سبقتها: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾.

مختصر الآيتين هو تنظيم علاقة المؤمن بالرّسول ﷺ، فهو ﷺ يدخل

الإيمان ويخرج من الذّنب، فأيّ مكانةٍ لسيّدنا وحبيبنا وشفيعنا ونور قلوبنا محمّد ﷺ، أيّ مكانةٍ لهذا النّبيّ العظيم، الرّؤوف الرّحيم، لذلك قال الله تبارك وتعالى عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم]، وقال جلّ وعلا عنه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التّوبة].

(الآية ٦٦) – ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ۝٦٦﴾:

ما زال الحديث عن علاقة الرّسول ﷺ مع المؤمنين ومع المجتمع، وتأتي هذه الآية متابعةً للآية السّابقة:

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾: كتب الله ﷻ على بني إسرائيل ليخرجوا من ذنبهم أن يقتلوا أنفسهم أو يخرجوا من ديارهم، ولكنّهم لم يفعلوا ذلك، والله تعالى يتحدّث عن أمّة سيّدنا محمّد ﷺ، والمجتمع الّذي يوجد فيه المنافقون الّذين أصبحوا الدّاء العضال فيه، والحديث كلّه هنا يتعلّق بهم:

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم﴾: يعطي هذا معنىً عن حبّ الوطن، فالخروج من الدّيار كقتل النّفس، حبّ الوطن من الإيمان، وحبّ الوطن بالنّسبة للإنسان كحبّه لنفسه؛ لأنّ الإنسان الّذي لا يحبّ وطنه ولا خير فيه له لا خير فيه لنفسه، فالأفراد هم الأساس في بناء المجتمع.

والمؤمن يُفترض به أن ينفّذ ما أمره الله ﷻ به، لكنّ بني إسرائيل كانت ردودهم على هذا الأمر: ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾: أي القليل منهم فعلوا ما أُمروا به.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾: الخيريّة من عند الله ﷻ أن تنفّذ أمره ﷻ فيما أمر وفيما نهى، ولكنّ التّشكيك يأتي إمّا من فئة غير المؤمنين أو من فئة المنافقين داخل المجتمع.

(الآية ٦٧) – ﴿وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٦٧﴾:

للّذين يمتثلون لأمر الله ﷻ، والأجر عندما يقول ﷻ: ﴿مِّن لَّدُنَّآ﴾ يجب أن تنسب الفعل إلى الفاعل، ما عند الله ﷻ يُقاس بمعايير لا تنطبق على ما عند البشر، فربّ البشر ﷻ هو الكمال المطلق، وعندما يقول ﷻ: ﴿مِّن لَّدُنَّآ﴾ أي عطاءً غير محدود.

(الآية ٦٨) – ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٦٨﴾:

لبيّنّا لهم الطّريق المستقيم الّذي يجب أن يسيروا عليه.

(الآية ٦٩) – ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾:

سبب النّزول:

سبب نزول هذه الآية أنّ ثوبان مولى رسول الله ﷺ كان شديد الحبّ له ﷺ قليل الصّبر عنه، فأتاه يوماً وقد تغيّر وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه، فسأله رسول الله ﷺ عن حاله، فقال: "يا رسول

الله، ما بي وجعٌ غير أنّي إذا لم أركَ اشتقت إليك واستوحشت وحشةً شديدةً حتّى ألقاك، فذكرت الآخرة فخفت ألّا أراك هناك؛ لأنّي إن أُدخلت الجنّة فأنت تكون في درجات النّبيّين وأنا في درجة العبيد فلا أراك، وإن أنا لم أدخل الجنّة فحينئذٍ لا أراك أبداً". فنزلت هذه الآية.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾: بيّن الله ﷻ بأنّ طاعة الرّسول ﷺ في باطن طاعة الله ﷻ، فعطف الطّاعة الواحدة على الله ﷻ والرّسول ﷺ؛ لأنّه لا يمكن فصل ما جاء به رسول الله ﷺ عمّا جاء من آياتٍ في القرآن الكريم.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾: هذه نعمةٌ من الله ﷻ تعدل كلّ النّعم، هؤلاء سيكونون مع الرّسل والأنبياء عليهم السلام، والدّرجة الثّانية بعد الأنبياء هم الصّدّيقون كما ورد في الآية الكريمة، ودرجة الصّدّيقيّة هي درجة الإيمان المطلق والتّصديق، فالصّدّيق رضي الله عنه عندما أُخبر أنّ النّبيّ ﷺ يقول: بأنّه قد أُسري به ثمّ عرج إلى السّماوات السّبع وعاد في اللّيلة ذاتها قال: "إنّي أصدّقه في أبعد من ذلك، أصدّقه في خبرٍ يأتيه من السّماء، فإن كان قال فقد صدق". فسمّي الصّدّيق، فهذه درجة الصّديقيّة.

ودرجة الشّهداء: هي الدّرجة العليا عند الله ﷻ فهم أحياءٌ عند ربّهم يرزقون كما ورد في القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩﴾ [آل عمران]، يعيشون بفضل الله ﷻ ونعمه وليس

بعدله، وهذه بشرى أيضاً لأسرهم وللصّالحين الذين يسيرون على نهج الأنبياء والصّدّيقين والشّهداء.

﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾: الرّفيق هو الإنسان الّذي ينير ويسلّي الدّرب، ويكون ملازماً للشّخص، والرّفقة الأفضل والأحسن على الإطلاق أن تكون مع الأنبياء والصّدّيقيّن والشّهداء والصّالحين.

(الآية ٧٠) – ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ۝٧٠﴾:

والفضل فوق العدل، قال ﷻ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس]، رحمة الله ﷻ هي من فضله، والفضل دائماً فوق العدل.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾: فهو عليمٌ جلّ وعلا بحال عباده وبإيمانهم وصدقهم، فالله ﷻ يعلم من أعمال العباد ما هو موافقٌ لحالة الإيمان التي أمر بها.

بعد ذلك يتابع المولى ﷻ الحديث عن وضع المنافقين داخل المجتمع، وعن النّفاق؛ ذلك الدّاء العضال فيقول ﷻ:

(الآية ٧١) – ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ۝٧١﴾:

في كلّ وقتٍ من الأوقات هناك ابتلاءٌ يأتي على النّاس والمجتمعات، والابتلاء بالحرب هو من أشدّ الابتلاءات التي تصيبهم، كما حدثت الحرب الإرهابيّة التّكفيريّة على سوريا، والقرآن الكريم يقرّر وضع المنافقين أثناء هذه

الابتلاءات، فالله ﷻ يقول عندما يأتي الأمر: ﴿خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ﴾ أي انفروا أجزاءً أو سرايا، ﴿أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا﴾ أو جميعاً إن احتاج الأمر أن تكون النّفرة للجميع من أجل الدّفاع عن وطنهم ووجودهم ومستقبلهم وحاضرهم وأجيالهم، وجاءت هذه الآية لتثبّت الواقع النّفاقيّ في أيّ مجتمعٍ يوجد فيه منافقون، فلنرى كيف رصد القرآن الكريم حال النّفاق في المجتمع:

(الآية ٧٢) – ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾﴾:

هذه حالة النّفاق، إن أصابتكم مصيبةٌ؛ أي مشكلاتٌ أثناء الحرب وأصبح هناك خسائر وابتلاء يقول المنافق: قد أنعم الله ﷻ عليّ أنّي لم أكن معهم شهيداً، فنجد منهم من خرج عن الوطن، ومنهم من حارب الوطن، فيحمد الله ﷻ أنّه لم يكن معهم ولم يتحمّل شيئاً من الابتلاءات.

(الآية ٧٣) – ﴿وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُۢنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾﴾:

إذا انتصرتم ﴿لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُۢنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾، هذا هو الدّاء الحقيقيّ والخطر الّذي يُصيب المجتمع، وأصعب أنواع النّفاق هو الّذي يظهر أثناء الانتصارات.

والقرآن الكريم رصد حال المنافقين في معظم السّور المدنيّة، فنجد السّورة عندما تتحدّث عن المؤمنين تتحدّث عن الكافرين وتتحدّث أيضاً

عن المنافقين، كسورة (البقرة) التي يوجد فيها ثلاث عشرة آية من بدايتها تتحدّث عن صفات المنافقين: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ [البقرة]، فمن صفاتهم الكذب، الفساد، مرض النّفس، الذّلّة، أمّا فيما يتعلّق بالآيات التي ستأتي في سورة (الأحزاب) فالله ﷻ يخبرنا بصفات المنافقين بشكلٍ دقيق عندما تكون الابتلاءات فيقول ﷻ: ﴿* قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [الأحزاب]، المعوّقون هم المثبّطون، يقولون لمن يدافع عن بلده: انعزلوا وابتعدوا واتركوا الدّفاع عن بلدكم فنحن لا نعرف إلى ماذا سيؤدّي هذا الصّراع، أو تعالوا لنغادر خارج البلد لنحمي أنفسنا ولنرى لمن سترجح الكفّة وإلى أين تميل فنميل، ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ﴾ [الأحزاب: من الآية ١٩]، وعندما تحدث المصائب -مثل ما حدث في مجتمعنا أثناء الحرب- ما هو موقفهم؟ ﴿رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: من الآية ١٩]، من خوفهم وجبنهم وتركهم الدّفاع عن وطنهم -فانظر إلى الآيات كيف فضحتهم- وعندما يذهب الخوف، وتبدأ علامات الانتصار بالظّهور -كما حدث الآن- فإنّهم كما

قال تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [الأحزاب: من الآية ١٩]، تبدأ ألسنة المنافقين والمتسلّقين (الّذين يبحثون عن مكانةٍ بعد الانتصار) تطول، أين كانوا وكيف طالت ألسنتهم؟

في القرآن الكريم سورةٌ كاملةٌ اسمها سورة (المنافقون)، يصف فيها الله تبارك وتعالى المنافقين بقوله: ﴿*وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون]، فهم يتلوّنون حسب الأحداث، فعند الانتصار يقولون كلاماً يوافق أهواء النّاس، فماذا يقول الله ﷻ عن المنافقين؟ ﴿*وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ﴾ أي ظاهرهم.

﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾: هذا خطابٌ للنّبيّ ﷺ ولأمّته من بعده، كي يكشف حقيقة هؤلاء المنافقين، الذين تطول ألسنتهم، والمذبذبين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء. ولا يوجد قانونٌ يستطيع أن يحاسب المنافق والكذّاب والدّجّال الّذي يقول ويبطن غير ما يُظهِر ويتلوّن كالحرباء، فلا إثباتات عليه. والقرآن الكريم بيّن لنا بعض معايير النّفاق، وأهمّ معيارٍ تغليب المصالح على المبادئ، فلا مبدأ لهم؛ لأنّهم يغلّبون مصالحهم، فأينما تكونْ المصلحة يكونوا معها. يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ [الكهف]، المصالح مزيّنةٌ للإنسان، لذلك قال الله ﷻ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ

عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ [آل عمران]، فالابتلاء الأساسيّ في هذه الحياة أن تختار بين المبادئ والمصالح، وهذا الأمر مهمٌّ، وهو خلاصة ما يريده الإسلام منك.

هناك مستشارٌ لرئيسٍ أميركيٍّ سابقٍ اسمه (روبرت كرين)، هذا الرّجل درس سيرة النّبيّ ﷺ، وبعد دراسته للسّيرة النّبويّة أسلم، فقيل له: لماذا أسلمت؟ قال: "لأنّني تتبّعت سيرة محمّد ﷺ فوجدته عندما يتقلّب في أحوالٍ كثيرةٍ، من حال الانكسار إلى حال الانتصار، من حال الضّعف إلى حال القوّة، من حال الفقر إلى حال الغنى، من حال الصّحّة إلى حال المرض، في كلّ هذه الأحوال كانت المبادئ هي الأساس، يجعلها قبل المصالح، لم يساوم ﷺ على مبادئه في كلّ الأحوال التي مرّت عليه"، وأورد روبرت عندما أسلم فقرةً قال فيها: "الموقف الأساسيّ في ذلك أنّه عندما كان ﷺ مضطهداً وشريداً ومعذّباً جاءه كلّ زعماء قريش وقالوا له: يا محمّد إن أردت مالنا أعطيناك أموالنا، وإن أردت الملك سوّدناك علينا، وإن أردت الزّواج زوّجناك من أجمل نسائنا، فقال النّبيّ ﷺ، وما زالت صرخته تهزّ وترنّ في آذان الزّمن عندما أجاب: «**ياعمّ! والله لو وضعوا الشّمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر حتّى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته**»[1]، فقدّم المبادئ على المصالح، ووضع كلّ المصالح تحت قدميه وبقي ثابتاً على مبادئه".

(١) الرّوض الأنف: مج٢، ص٦.

لم تكن هذه حالةٌ فرديّةٌ، وإنّما هي حالةٌ جماعيّةٌ، فالصّحابة رضوان الله عليهم كانوا كذلك بعد الرّسول ﷺ، وقد امتُحِنوا بأشدّ الامتحانات، ولعلّ أقوى امتحانٍ مرّ على المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ ارتداد قسمٍ من قبائل العرب، وذلك في عهد الصّدّيق أبي بكر رضي الله عنه.

وهنا يوجد أمران:

الأمر الأوّل: ارتداد قسمٍ من القبائل العربيّة.

الأمر الثّاني: حدوث قضيّةٍ ومشكلةٍ لأوّل مرّةٍ والرّسول ﷺ ليس معهم، فقد انتقل إلى الرّفيق الأعلى، ماذا يفعلون؟ اجتمع الصّحابة رضي الله عنهم حتّى يقدّموا المصلحة قالوا: يا أبا بكرٍ! فلنفاوضهم وبعد ذلك يؤدّون الزكاة، فوقف أبو بكرٍ الصّدّيق رضي الله عنه وقفةً عظيمةً في ذلك الوقت وقال: "والله لو منعوني عقال بعيرٍ أدّوها لرسول الله لقاتلتهم عليها"، ووازن بين المصالح والمبادئ واختار المبادئ على المصالح.

وأمرٌ طبيعيٌّ أن ترى المنافقين تطول ألسنتهم ويتصدّرون كالّذين يأتون الآن ويتحدّثون عن تطوير الخطاب الدّينيّ، ويريدون أن يقولوا ويفعلوا وأن يطوّروا هذا الأمر وهم يتحدّثون فقط، ماذا فعلوا؟! وما الّذي قدّموه؟! النّفاق قد أكل من عقولهم، فهم يأتون فقط ليرضوا النّاس، ليقولوا أقوالاً لا تحارب التّطرّف الّذي ينبغي أن يحاربه كلّ مسلمٍ، وكلّ وطنيٍّ، وكلّ شريفٍ، وكلّ مؤمنٍ من كلّ الأديان، وهناك مَن يفرّق المجتمع عندما يهاجم أحاديث سيّدنا رسول الله ﷺ، وعندما يكذب ويفتري.

هذا هو النّفاق، عندما تقول: نحن لا نأخذ بالأحاديث، بل نأخذ بالقرآن فقط، والقرآن الكريم بعضه نزل في وقتٍ معيّنٍ، وهذه الأحاديث فيها معانٍ غير مقبولةٍ.. فعلى المسلم الحقّ أن يبيّنَ الأحاديثَ وتفسيرها الصّحيحِ للنّاس، وألّا يظلم المجتمعَ ويصدمه؛ لأنّه لا يوجد مسلمٌ على وجه الأرض يمكن أن يتخلّى عن أحاديث رسول الله ﷺ، والأمر واضحٌ وعقول النّاس تعيه جيّداً، وتميّز الغَثَّ من السّمين، والمنافق من الصّادق، والله ﷻ بيّن هذه الأمور في الآيات، وبيّن أيضاً خواء هؤلاء المنافقين فقال ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [البقرة: من الآية ٢٠٤]، قد يعجبك قولهم في الحياة الدّنيا ويشهدون الله ﷻ على ما في قلوبهم وهم ألدّ الأعداء، ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥﴾ [البقرة]. والقرآن الكريم بيّن بأنّهم ليس لهم كرامةٌ، فهم يعيشون الذلّة، لماذا؟ لأنّ الإنسان الّذي يسير وفق أهوائه وتحرّكه مصالحه لا كرامة له، ولا يمكن أن يكون كالإنسان الصّادق والمؤمن عزيز النّفس كريمها. أمّا الذّليل والوضيع الّذي يكون منافقاً ويغيّر مبادئه فيكون مرّةً مع العدوّ ومرّةً مع الوطن، ومرّةً هنا ومرّةً هناك، ويصمت ولا يُسمَع صوته عند الشّدائد، وقد قال الله ﷻ ولكنّ هؤلاء لا يفهمون هذا القول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨﴾ [المنافقون: من الآية ٨]، شاهدوا دقّة التّعريف بالمنافقين، المنافقُ ذليلٌ ولن يكون عزيزَ النّفس أبداً؛ لأنّه لا يهتمُّ بالمبادئ، بينما الإنسان العزيز يهتمّ بالمبادئ ولا يهتمّ بالمصالح

إلّا إذا كانت هذه المصالح تؤدّي إلى المبادئ، فالآيات هنا واضحةٌ وهي ترصد هذا الأمر.

﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾﴾: عندما تأتي النّعم، وتتتالى الانتصارات يتمنّى هذا المنافق لو أنّه كان مع المنتصرين فيطول لسانه ويقدّم ويؤخّر، والمنافق يعتقد أنّه إذا مكر ودبَّر فإنَّه يحقّق ما يريد، وهذا اعتقادٌ خاطئٌ؛ لأنّ الله ﷻ هو المدبّر الوحيد في هذا الكون، يقول الله ﷻ: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: من الآية ٣٠]، وكلّ ما يجري في الكون له فاعلٌ واحدٌ، لكنّ المنافق لا يعرف هذا الأمر، فهو لا يؤمن بالله تعالى الإيمان الحقيقيّ، لذلك سيكون ذليلاً، ولقد جاءت آياتٌ متتاليةٌ عن حركة النّفاق في المجتمع، ورأس النّفاق في المجتمع الإيمانيّ في المدينة المنوّرة عبد الله بن أبيّ ابن سلول، الّذي وقف مواقفَ سيّئةً في كلّ الغزوات التي خرج بها رسول الله ﷺ، وفي غزوة الخندق تآمر اليهود مع المنافقين، والآن نرى كلّ ذلك التّآمر على الأمّة من أعدائها من الصّهاينة اليهود، الّذين كان مفتاحهم المنافق المتعاون؛ لأنّ الإنسان المؤمن يؤمن بالله ﷻ ويتمسّك بالمبادئ، أمّا الإنسان المنافق فهو لا يؤمن بالله ﷻ حقيقةً ولا مبدأ له، لذلك يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُنَٰفِقِينَ فِى الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ۖ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النّساء]، ولم يقل: الكافرين، إنّما قال: ﴿الْمُنَٰفِقِينَ﴾؛ لأنّهم أشدّ خطراً على بنيان المجتمع من أيّ شيءٍ آخرَ، ومع وجود حركة النّفاق التي

قادها عبد الله بن أبيّ ابن سلول فإنّ النّبيّ ﷺ لم يكن ليفرّق المجتمع، فقد كان عليه الصّلاة والسّلام يعلم مَن هو المنافق ومَن هو المؤمن، فالله تبارك وتعالى يدلّه عليهم عن طريق جبريل عليه السلام، ومع ذلك، حفاظاً على وحدة المجتمع، لم يكن يذكر أسماءهم، بل يقول: «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا!»، وكان النّبيّ ﷺ مأموراً أن يعظ النّاس، وهذا هو الإسلام الّذي ليس فيه إكراهٌ ولا إجبارٌ، قال ﷻ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝٢٣ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ۝٢٤ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾ [الغاشية].

والقرآن الكريم تتبّع دخائل المنافقين في المجتمع وفضحهم ليبيّن لهذه الأمّة بأنّ الخطر عليها في أيّ وقتٍ من الأوقات هو من حركة النّفاق، ومن النّاس الذين يقدّمون مصالحهم على مبادئهم، كما حصل أثناء الأزمة التي مرّ بها بلدنا الحبيب سورية. والّذين يتعاملون مع أعداء الوطن، وبعد ذلك يدّعون الشّرف والوطنيّة والإيمان والإسلام، فمن خان الوطن لا يستطيع أبداً أن يكون في أيّ وقتٍ من الأوقات وطنيّاً ومؤمناً؛ لأنّه خرج عن وطنه عندما استعدّ النّاس للدّفاع عن شرفهم ووجودهم أمام أعدائهم، وأمام التّطرّف، وأمام كلّ قوى الأرض التي حاربت سورية، وعندما انتصرت سورية بسبب صمودها وما قدّمته من شهداءَ، جاء المنافقون ليقحموا أنفسهم مع مَن صمد وقدّم وضحّى؟!! كلا، هذا بعيدٌ عنهم، فليس للمنافقين مكانٌ بيننا أبداً.

(الآية ٧٤) - ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾﴾:

جاءت هذه الآيات في سورة (النّساء) بعد الحديث عن النّفاق وما يتعلّق بحركة النّفاق في مجتمع المدينة المنوّرة، وماذا فعل اليهود مع رسول الله عليه الصّلاة والسّلام وكيف تحالفوا مع قريش والقبائل العربيّة.

وكان النّبيّ ﷺ في مكّة مضطهداً محاصراً ممنوعاً من تبليغ الدّعوة، وعندما هاجر إلى المدينة المنوّرة وبعد أن أُخذت وسُلبت الأموال والدّور وهُجّروا من بلدهم وديارهم، فإنّ الله سبحانه وتعالى أذن لهم بالقتال والدّفاع عن وطنهم وأعراضهم وأموالهم وأرضهم فقال: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾: يشري تختلف بالمعنى عن يشتري، يشري تأخذ معنى البيع وتأخذ معنى الشّراء، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [يوسف]، أي باعوه بثمنٍ بخسٍ. فالّذي يُقاتل في سبيل الله سبحانه وتعالى؛ أي أنّه يُقاتل في سبيل وطنه وأرضه وعرضه؛ لأنّ الإسلام لم يأت من أجل فرض الدّين، وإنّما جاء لحماية حريّة اختيار الدّين.

﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾: يبيعون الدّنيا من أجل الحصول على جنّات ونعيم الآخرة.

﴿وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾: إذا استُشهد في سبيل الله سبحانه وتعالى فسيكون منعّماً عنده، هذه البشرى للشّهداء

الّذين يدافعون عن أرضهم ووطنهم وعرضهم وحقوقهم، فالمقاتل في سبيل الله تعالى أمامه أحد احتمالين: إمّا أن يستشهد، وإمّا أن ينصره الله ﷻ، لذلك يؤتيه ﷻ أجراً عظيماً.

(الآية ٧٥) – ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾:

وهؤلاء الّذين لم يستطيعوا أن يهاجروا من مكّة –القرية الظّالم أهلها– إلى المدينة المنوّرة، عليكم أن تقاتلوا من أجل إخراجهم، فقد كانوا يدعون الله ﷻ: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾، هم يلجؤون إلى الله ﷻ، والله ﷻ كلّف الرّسول ﷺ والمؤمنين من الصّحابة رضوان الله عليهم بملاقاة جيش قريش في بدر وأُحُد والخندق، وفي هذه المعارك دافع المسلمون عن وطنهم وأرضهم وحقّهم.

(الآية ٧٦) – ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: الذين يقاتلون في سبيل الله ﷻ هم الّذين آمنوا، وقد بيّنا أنّ سبيل الله ﷻ هو ردّ الاعتداء عن الأوطان والنّاس، فحرمة الدّم والعرض والمال، هذا هو سبيل الله ﷻ، وليس كما يعتقد بعضهم أنّ سبيل الله هو أن تقاتل لتجبر النّاس على دينه ﷻ، فالدّين دين اختيارٍ لا إجبارٍ، ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: من الآية ٢٩].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾: الطّاغوت: من الطّغيان، ويتمثّل فيه الشّيطان، فالكافر يُقاتل عن الشّيطان والطّغيان، وعن البغي وتجاوز الحقوق والاعتداء على حياة النّاس وأموالهم وأعراضهم.

﴿فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: أولياء الشّيطان الذين جعلوا ولايتهم له، لكلّ عناصر الشّرّ في هذه الحياة الدّنيا، والشّيطان يمثّل الشّرّ. فهناك مخلوقاتٌ تسمّى الجنّ، والكافر منها يُسمّى شيطاناً، وتحدّثنا سابقاً عن تعريف الجنّ، وقلنا: إنّه ليس كلّ ما لا تراه العيون فهو غيرُ موجودٍ، والأدلّة في الكون واضحةٌ، منها البكتريا والجراثيم و... التي لا نراها، لذلك لا نستغرب وجود هذا الأمر علميّاً، فنحن نوقن أنّ الله ﷻ طالما قال فقد صدق.

﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾: الكيد: المكر والتّدبير بخفاء، وهذا الكيد للشّيطان ومهما كان فهو ضعيفٌ؛ لأنّه يستند إلى الطّغيان وإلى الباطل، ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء].

ولكن لا بدّ من الاستعانة بالصّبر والصّلاة والتّقوى، والتّمسّك بالمبادئ وتقديمها على المصالح، في أيّ مجتمعٍ من المجتمعات تبرز فيه حركة النّفاق، كما برزت في المدينة المنوّرة وقادها عبد الله بن أبيّ ابن سلول، وما فعله في غزوة تبوك من تخذيلٍ للنّاس عن القتال إلى جانب رسول الله ﷺ، فالمنافقون كما قال ﷻ: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النّساء: من الآية ١٤٣]، يضعون قدماً هنا وقدماً هناك، ويتعاملون مع أعداء الوطن كما تعاملوا مع أعداء الرّسول ﷺ في ذلك الوقت، نحن نرى مصداق الآيات القرآنيّة الآن، فلا بدّ في كلّ آيةٍ قرآنيّةٍ من إسقاط النّص على الواقع،

فالقرآن الكريم صالحٌ لكلّ زمانٍ ومكانٍ، ولا بدّ من عدم تسطيح العقل في فهمه وبيان هذا الأمر للنّاس.

الحديث هنا عن الرّسول ﷺ في المدينة المنوّرة وقريش في مكّة، والقتال الّذي جرى، والمستضعفين من الرّجال والنّساء والولدان الّذين لم يستطيعوا الخروج من مكّة إلى المدينة، صحيحٌ هذا سبب النّزول لكن خصوصيّة السّبب لا تُلغي عموميّة المعنى، فالقرآن الكريم له عموميّة معنى؛ لأنّه كلام الله ﷻ الّذي يستوعب الزّمان والمكان، لذلك عندما نقرأ آياته، كالآيات السّابقة المتعلّقة تحديداً بصفات المنافقين، كان واضحاً تماماً وكأنّ هذه الآيات تنزل الآن، ونرى مصداقها، هذا هو القرآن الكريم في كلّ آياته. وكلّما تطوّر العقل البشريّ أخذ من القرآن الكريم ما يناسب العصر الّذي يعيش فيه الإنسان، ويستند إلى سنن الله ﷻ في الكون وإلى ما جرى من عِبَر في القصص القرآنيّ، وما جرى مع النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، وخصوصاً تركيز القرآن الكريم على حركة النّفاق التي تكون الأخطر في ظلّ الانتصار. فكيد الشّيطان ضعيفٌ مهما كاد؛ لأنّه يمثّل الباطل.

(الآية ٧٧) – ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾:

﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾: أي لا تقاتلوا، ففي مكّة لم يكن هناك أذن للقتال، وإنّما سُمح لهم بعد أن هُجّروا وأُخرجوا من ديارهم بغير حقّ.

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ﴾: عندما أصبحوا في المدينة.

﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾: وهم المنافقون.

﴿يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾: هؤلاء لا يضعون الله ﷻ في حسابهم، هم المنافقون الّذين يتذبذبون حسب المصالح، ويخشون النّاس أشدّ خشيةً من الله ﷻ، وكما نرى الآن يخشون أمريكا وإسرائيل، والقوى التي تدعمهم، فأين الله تبارك وتعالى بالنّسبة لهم؟ هم يخشون النّاس أشدّ من خشيتهم له ﷻ.

﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ﴾؛ لأنّهم يخافون من الموت.

﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾: متاع الدّنيا متاع الغرور، ومهما كان، فهو قليلٌ؛ لأنّها دنيا أغيار، وهي زائلةٌ لا يمكن أن تدوم لأحدٍ، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزّمر]، هذا قانونٌ إلهيٌّ ما استطاع أحدٌ أن يتخلّف عنه منذ أن خلق الله ﷻ آدم عليه السلام إلى أن يرث الله تبارك وتعالى الأرض ومن عليها، فمهما كان متاع الدّنيا طالما أنّه زائلٌ فهو قليل، وطالما أنّك ستترك النّعمة أو أنّ النّعمة ستتركك فإذاً هو قليل.

﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾: والآخرة خيرٌ؛ لأنّ نعيم الآخرة دائمٌ، فلا موت في الآخرة ولا أغيار.

ولا يُظلم الإنسان عند الله ﷻ؛ لأنّه ﷻ هو العدلُ، وهو القائل: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝٤٧﴾ [الأنبياء].

(الآية ٧٨) - ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾:

الموت مخلوقٌ؛ فقد ورد في الحديث الصّحيح أنّه يموت في الآخرة، كيف ذلك؟ الموت له زمانٌ ومكانٌ، سرّه في الرّوح، فالرّوح فيها الحياة.

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾: هنا الحديث عن المكان؛ أي مهما تحصّنت في قصورٍ وبروجٍ وقلاعٍ... فإنّ الموت سيدركك، كلمة ﴿يُدْرِككُّمُ﴾ تشير في اللّغة العربيّة إلى أنّ الموت يلاحق الرّوح ملاحقةً فيدركها ويأخذها، وكأنّ الإنسان منذ ولادته أُطلق عليه سهم الموت مع روحه، وهو يلاحقه حتّى يصل إليه عند انتهاء أجله، كما يقول الإمام عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه: "الموت سهمٌ أُرسل إليك ويصل إليك بمقدار أجلك"، وكأنّ الإنسان في سباقٍ ما بين الرّوح وبين الموت؛ فالرّوح هي سرّ الحياة، وعندما تذهب الرّوح ترى الإنسان الذي كان مليئاً بالنّشاط والحركة، والأجهزة التي كانت تعمل، والدّم الذي كان يسيل، والقلب الذي كان ينبض، والشّرايين والأعصاب والمعدة والعضلات.. كلّ هذه الأمور تراها توقّفت في لحظةٍ واحدةٍ وأصبحت بعد ساعاتٍ جيفةً، وتحوّلت بعد ذلك إلى صلصالٍ، ثمّ إلى طينٍ، ثمّ إلى ترابٍ، فالسّرّ هو الرّوح، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء]، الله ﷻ لم يعطِ سرّ الرّوح لأحدٍ، ولا حتّى لنبيّه ﷺ، لكنّه ﷻ بيّن أنّ الموت يلاحق الرّوح منذ نفخها في

الجنين، لذلك يقول الشّاعر:

نَسِيْرُ إلى الآجالِ في كُلِّ لَحظةٍ وأَعْمَارُنا تُطوَى وَهُنّ مَراحلُ
ولم أَرَ مِثْلَ الموتِ حقّاً كَأنّما إذا مَا تَخطّته الأَمانيُّ باطلُ
ومَا أَصْعَبَ التّفريطَ في زَمَنِ الصّبا فَكَيفَ بهِ والشَّيْبُ للرّأْسِ شَاملُ
تَرَحَّلْ من الدّنيا بزادٍ مِنَ التُّقى فعمرُكَ أَيّامٌ وهنّ قَلائِلُ

كان سيّدنا الإمام عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه يقول: "مسكينٌ ابنُ آدَمَ، مَكتومُ الأجل، مَكنونُ العِلَل، محفوظ العمل، تؤلِمه البقَّة، وتقتله الشَّرْقَةُ، وَتُنتِنهُ العَرْقَة، عجبت كيف يفرح بالدّنيا مَن يومه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته، وسنته تهدم عمره، كيف يفرح بالدّنيا مَن تقوده حياته إلى موته ويقوده عمره إلى أجله".

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ﴾: والمنافقون يقولون: الله ﷻ أعطانا الحسنة، أمّا إن أصابهم شيءٌ فيقولون لرسول الله ﷺ: هذا من عندك، كما نرى المنافقين الآن إذا أخذوا، قالوا: هذا حقّنا، الله ﷻ أعطانا إيّاه، وإذا وجدوا سيئةً يقولون: فلانٌ وفلانٌ.

﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: هنا السّؤال الّذي يتوارد إلى الأذهان، هل أفعال العباد مخلوقةٌ لله ﷻ؟ هذا السّؤال حيّر العلماء، هل الحسنة من عندك والسّيّئة من عندك؟ أم الحسنة من عند الله ﷻ والسّيّئة من عندك؟ أم الحسنة والسّيّئة من عند الله ﷻ؟ الله ﷻ يقول في الآية الآتية: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ

حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾، وقبلها قال: ﴿قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ كيف ذلك؟ يجب علينا أن ننتبه إلى قضيّةٍ مهمّةٍ تتعلّق بالقوانين التي خلقها الله ﷻ للإنسان، نضرب مثلاً، ولله ﷻ المثل الأعلى، (ليس للتّشبيه وإنّما للتّقريب)، تضع الجامعة بقوانينها أنّ علامة النّجاح في مادّةٍ ما خمسون، وفي مادّةٍ أخرى سبعون، فهل القانون كان سبباً في نجاح الطّالب لأنّه ذكر ذلك؟ أو أنّ جهده هو الّذي أسهم في نجاحه؟ قانون الجامعة بيّن أنّ مَن أخذ خمسين فما فوق أو ستّين فما فوق ينجح، ولكن إن لم يدرس الطّالب يرسب، وإذا درس نجح، مثالٌ آخر: الله ﷻ خلق لك اليد وهي صالحةٌ لتعطيَ وتفعل وتعمل الخير، وهي صالحةٌ لتقتل وتضرب وتبطش، فعندما توجّه حركة اليد بالسّيّئة فستُحاسب على السّيّئة، تسأل ﴿كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾؟ لأنّ الله ﷻ لو لم يخلق لك هذه اليد لما استطعت أن تضرب أو تبطش فيها، ولو لم يخلق هذه اليد لما استطعت أن تكتب وتفعل الخير وتُعمّر الأرض فيها، فعندما يقول: ﴿قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾، فهذا أمرٌ طبيعيٌّ؛ لأنّ الله ﷻ أودع فيك هذه القوّة وترك لك الاختيار في توجيهها، فإذا قال: ﴿قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ الحسنة والسّيّئة فهذا صحيحٌ، وإن قال: السّيّئة من عندك فهذا صحيحٌ؛ لأنّك وجّهت الطّاقة التي خلقها فيك وترك لك الاختيار، فسيحاسبك على اختيارك وليس على الطّاقة التي أودعها فيك، فالله ﷻ أودع فيك الطّاقة وقال لك: هذا حلالٌ وهذا حرامٌ، وهذا صحيحٌ وهذا غير صحيحٍ، وهذا يجوز وهذا لا يجوز، لا تقتل، لا تزني، لا تكذب، لا تغتب، لا تنمّ، لا تفعل الفاحشة، لا

تشرب الخمر، لا تلعب القمار، لا تسرق، لا... بيّن لك إن فعلت السّيّئة فستحاسب عليها، ولو أرادك الله ﷻ طائعاً لخلق البشر كالملائكة: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التّحريم: من الآية ٦]، إذاً: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، ولكن سيحاسبك ﷻ على السّيّئة؛ لأنّك وجّهت الطّاقة التي خلقها فيك باتّجاه السّوء الّذي أمرك تبارك وتعالى بالابتعاد عنه.

(الآية ٧٩) – ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ۝٧٩﴾:

﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾؛ لأنّك وجّهت هذه الطّاقة باتّجاه الحرام.

﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ﴾: والرّسول عليه تبليغ الرّسالة.

(الآية ٨٠) – ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۝٨٠﴾:

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ﴾: قولٌ إلهيٌّ قاطعٌ، فلا تقل: إنّ علاقتي مع الله ﷻ وسأترك أحاديث رسول الله ﷺ وهديه وسنّته وسيرته وأمره ونهيه. ومن عظمة هذا الدّين أنّ الله ﷻ لم يجعل نصرة النّبيّ ﷺ من عشيرته وقبيلته قريش، وإنّما هم الّذين ناصبوه العَداء، وأخرجوه وقاتلوه. لماذا؟ لأنّ الله ﷻ لا يريد أن تكون النّصرة للإيمان بمحمّد عصبيّةً قبليّةً أو جاهليّةً، وإنّما الإيمان بمحمّد هو إيمانٌ بتلك العقيدة التي جاء بها محمّد ﷺ، والتي نزلت على قلبه عليه الصّلاة والسّلام، وبتلك الرّسالة العظيمة، رسالة

الإسلام، التي تجعل النّاس يحبّون النّبيّ ﷺ على مرّ الزّمن.

فلماذا هذا التّأكيد والتّركيز في كتاب الله ﷻ على طاعة سيّدنا رسول الله ﷺ؟ الطّاعة لرسول الله ﷺ هي جزءٌ لا يتجزّأ من الإيمان بالله ﷻ؛ لأنّه جلّ وعلا أنزل القرآن على قلب رسوله ﷺ، والرّسول ﷺ ليس مكلّفاً فقط بتبليغ الرّسالة وإنّما يشرّع بما أمر الله ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: من الآية ٧]، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران]، القرآن الكريم كلام الله ﷻ للبشر، جاء معجزاً شاملاً لكلّ قضايا البشر في كلّ الأزمان والأماكن، فالنّبيّ ﷺ كُلّف من قِبَل الله ﷻ عندما قال له ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النّحل: من الآية ٤٤]، ليشرح معاني القرآن الكريم، ويحدّد ويشرّع من خلال أوامره ﷺ، يقول عليه الصّلاة والسّلام: «**كلّ أمّتي يدخلون الجنّة إلّا من أبى**»، قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنّة، ومن عصاني فقد أبى**»[1]، فأنت لا يمكن أن تجد في القرآن الكريم مثلاً ما هو عدد الرّكعات في صلاة الظّهر أو العصر أو المغرب أو العشاء، ولا يمكن أن تجد نصاب الزّكاة، أو مناسك الحجّ، فالله تعالى فوّض إلى النّبيّ ﷺ التّشريع وبيان كثيرٍ من الأمور للنّاس، لذلك طاعة الرّسول ﷺ هي من طاعة الله ﷻ، فجاءت هذه الآيات المؤكّدة للمعنى:

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، الحديث رقم (٦٨٥١).

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾، ولو أنّ القضيّةَ رسالةٌ تُبلّغ للنّاس فقط، وبعد أن ينتقل الرّسول الكريم إلى الرّفيق الأعلى ينتهي كلّ شيءٍ لكان الأمر مختلفاً، ولكنّ رسول الله ﷺ معنا من خلال هديه وسنّته وسيرته وسلوكه وأمره ونهيه عليه الصّلاة والسّلام، قال ﷻ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾ [الحجرات: من الآية ٧]، ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب]، هذه قضيّةٌ مهمّةٌ، أكّد عليها كتاب الله ﷻ؛ لعلمه ﷻ بأنّه سيأتي أشخاصٌ في زمنٍ من الأزمان ويقولون: ما جاء في القرآن الكريم نأخذ به ونكتفي بذلك، ويدعون حديث وكلام النّبيّ ﷺ، فيشكّكون بكلّ أصول الدّين، ولا يمكن أن تكون أصول الدّين إلّا من خلال سيّدنا رسول الله ﷺ، فقد بيّن عليه الصّلاة والسّلام للنّاس كلّ الأحكام، وتفسير الآيات وشرحها من خلال تصرّفاته عليه الصّلاة والسّلام؛ لأنّ القرآن الكريم حمّال أوجه.

وأكبر دليلٍ على أنّ النّبيّ ﷺ كان ينظر إلى المستقبل عندما قال: «**ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عنّي وهو متّكئ على أريكته فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه حراماً حرّمناه، وإنّ ماحرّم رسول الله ﷺ كما حرّم الله**»[1]، كأنّ النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام معنا، وهو معنا؛ لأنّه ﷺ يتحدّث عن أشخاصٍ

(١) سنن التّرمذيّ: كتاب العلم، باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النّبيّ ﷺ، الحديث رقم (٢٦٦٤).

ينكرون أحاديثه ﷺ، فالإنسان يتّكأ على أريكته ويقول: بيننا وبينكم القرآن الكريم، ما وجدنا فيه من حلالٍ حلّلناه، وما وجدنا فيه من حرامٍ حرّمناه، والرّسول يردُّ عليهم بقوله ﷺ: «**وإنّ ماحرّم رسول الله ﷺ كما حرّم الله**»؛ لأنّه عليه الصّلاة والسّلام مكلّفٌ من قِبل الله ﷻ ببيان أحكام الدّين.

﴿وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾: أي من تولّى وأعرض عن حديثك وعن سيرتك وهديك وأخلاقك يا محمّد، ﴿فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾، انظر لدقّة القرآن الكريم في التّعبير عن طبيعة الرّسالة الإسلاميّة ردّاً على كلّ الذين يقولون: إنّ الإسلام هو دين قهرٍ وإجبارٍ، بينما هو دين خيرٍ واختيارٍ، وجاء لحريّة الاعتقاد ولا يجبر أحداً على الإطلاق، ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ﴾ فماذا ستفعل يا رسول الله؟

﴿فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾: الحفيظ: هو المهيمن والمسيطر. ما أرسلناك يا رسول الله عليهم مهيمناً ولا مسيطراً، عليك البلاغ فقط، وإنّك لن تُنصر بمن أُرسلت إليهم ولكنّك تُنصر بمن أرسلك، فالله ﷻ نصر رسوله، وأولئك النّاس الّذين يعرضون عن هديه ﷺ حسابهم عند الله ﷻ، فمنهج الإسلام كما جاء في القرآن الكريم تأكيداً لهذه الآية: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢﴾ [الغاشية]، ولا يأتي إنسانٌ أو جماعةٌ وتهيمن على النّاس وتفرض عليهم الأمر الدّينيّ؛ لأنّه لا يكون إلّا اختياراً، ولا يكون إلّا عن عقيدةٍ تُبحث في العقل أوّلاً، ومن ثمّ تستقرّ في القلب،

ولا يكون الإسلام بإكراه النّاس على الصّلاة والحجاب وأداء الأركان الإسلاميّة، وإنّما يجب أن يكون الإنسان مختاراً عن قناعةٍ وعقلٍ وتفكّرٍ وتدبّرٍ لهذا الأمر، وإلّا لما حاسب الله ﷻ النّاس؛ لأنّ الإنسان المجبر لا يُحاسب، وهو يُحاسب على اختياره وليس على ما أُجبِر عليه، وفي القرآن الكريم آياتٌ متعدّدةٌ حول هذا الأمر.

(الآية ٨١) – ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾:

يقول المنافقون: طاعةً، فإذا خرجوا من عند رسول الله ﷺ ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ﴾ والطّائفة هم المنافقون الذين يبيّتون الأمر ويقولون طاعةً، أي نطيعك يا رسول الله.

﴿فَإِذَا بَرَزُوا۟﴾: أي خرجوا، ﴿بَيَّتَ﴾ أي بالخفاء.

﴿غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ﴾: هذه من علائم النّفاق.

﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ﴾: الله ﷻ مطّلعٌ على السّرائر والعلانية، يعلم السّرّ وأخفى، ويكتب ليومٍ لا ينفع فيه مالٌ ولا بنونَ، إلّا من أتى الله بقلبٍ سليمٍ.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾: لم يقل: اقتلهم، ولم يقل: قاتلهم، بل قال تبارك وتعالى: أعرض عنهم وتوكل على الله ﷻ؛ لأنّنا قلنا: إنّك لن تنتصر بمن أُرسلت إليهم، وإنّما تنتصر بمن أرسلك، فإذاً أعرض عنهم وتوكّل

على الّذي ينصرك، وهذا أكبر دليلٍ من القرآن الكريم على حريّة الاختيار، فالإنسان لا يُجبر على دينه أبداً.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾: الإنسان يوكّل ليرتاح -مثلاً يوكّل محامياً ليدافع عنه- وعندما يوكّل اللهَ ﷻ ويتّكل عليه فالنّتيجة كما قال ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ [الطّلاق: من الآية ٣]، فالله ﷻ هو الكمال وهو القويّ الّذي لا يُغلب، والعزيز وهو الّذي يقول للشّيء: كن فيكون، ولا يستطيع أحدٌ أن يردّ حكمه ﷻ.

(الآية ٨٢) - ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾:

عندما بدأنا تفسير القرآن الكريم كانت هذه الآية عنواننا وشعارنا والأساس الذي بدأنا به تفسير القرآن الكريم وتدبّره. يقول ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمّد]، ويقول جلّ وعلا: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾[ص]، وردت أكثر من مرّةٍ وأكّد عليها المولى ﷻ هنا بقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾.

القرآن الكريم هو كلام الله ﷻ، وهو صفةٌ من صفاته ﷻ، وصفة الكامل الكمال، وعندما تتعامل مع القرآن الكريم مطلوبٌ منك أن تتدبّره، فكيف يكون ذلك؟ هناك مرحلتان في القرآن الكريم، المرحلة الأولى هي التّفكّر، والمرحلة الثّانية هي التّدبّر. فما هو الفارق بين التّفكّر أوّلاً، وبعده

التّدبّر؟ بالنّسبة للتّفكّر الله ﷻ جعل للإنسان آلةً فكريّةً، فيجب عليه أن يُعمل فكره في كتاب الله ﷻ ولا يسطّح عقله في فهم المراد من كلامه ﷻ، فالتّعمّقُ في القرآن الكريم يجعل عطاءَه ممتدّاً عبر الزّمان، فهو كتابٌ كريمٌ عطاؤه لا ينفد، وكلّما تطوّر العقل البشريّ استمدّ من القرآن الكريم ما يناسبه؛ لأنّ قائله هو الله ﷻ، وخالق العقل هو الله ﷻ، وهذا العقل هو آلة تفكيرٍ فعليك أن تتفكّر، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾﴾ [آل عمران]، وبعد أن تتّفكر تنظر في أدبار الأشياء، وفي مآل الأمور وخلفيّاتها وكأنّك تسمع من الله ﷻ، لذلك التّعامل مع القرآن الكريم لا يكون كالتّعامل مع أيّ كتابٍ آخر، فلا تستطيع أن تقترب من كتاب الله ﷻ إلّا إذا كنت طاهراً كما قال ﷻ: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة]، فالإنسان يجب أن يكون قد استعدّ جسديّاً وروحيّاً لملاقاة كلامه ﷻ، من أجل أن يستمدّ من أنواره ﷻ ومن عطائه المدد، ولا يُؤتى المدد إلّا لمستقبلٍ المدد، ولا تستطيع أن تستقبل المدد القرآنيّ إلّا إذا كنت مؤهّلاً له، فيجب أن تكون طاهراً متوضّئاً، وتقرأ القرآن الكريم كأنّك تسمعه من الله ﷻ فتلين الجلود والقلوب لذكره ﷻ، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرّعد]، إذاً له علاقةٌ بالرّوح، وعلاقةٌ بالقلب، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشّورى: من الآية ٥٢]، كذلك يقول المولى ﷻ:

﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشّعراء]، على قلب الإنسان يأتي رنين القرآن الكريم ويلامس شغافه وروحه، فإذا قرأت القرآن ككتابٍ عاديٍّ فلن تستطيعَ أن تستمدَّ منه شيئاً، لذلك تبدأ أوّلاً بأعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم حتّى تجعل بينك وبين هواجس ووساوس الشّيطان حاجزاً، فتستعيذ بربّك الّذي خلقك وخلق الجنّ، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النّحل].

وتدبّر القرآن الكريم له أمورٌ كثيرةٌ، فالقرآن الكريم يكشف حُجُب التّاريخ الماضي: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [آل عمران]، ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [القصص]، ويكشف حُجب المستقبل: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [القمر]، عن أنس أنّ عمر بن الخطّاب قال: لمّا نزلت: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ قلت: أيّ جمعٍ هذا؟ فلمّا كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ وبيده السّيف مصلتاً وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾[1]، وكذلك: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ

(١) المعجم الأوسط للطّبرانيّ: ج٤، من اسمه عليّ، الحديث رقم (٣٨٢٩).

﴿بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤﴾ [الرّوم]، كشف حُجُب المستقبل وحُجُب الماضي، وأخبرنا عن قصص الأنبياء وعمّا جرى، ولقد أثبت العلم التّجريبيّ دقّة ما جاء في القرآن الكريم، مثلاً: نعلم بأنّ كلّ حكّام مصر فراعنة، إلّا في عهد سيّدنا يوسف عليه السلام، فعندما تحدّث المولى سبحانه وتعالى في سورة (يوسف) قال: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ٥٠﴾ [يوسف]، أعطى إشارةً تاريخيّةً، وكان ذلك في وقت الهكسوس الذين طردوا الفراعنة. وهناك قضايا تاريخيّةٌ يتحدّث عنها القرآن الكريم ويكشفها، ولم يستطع العقل البشريّ أن يعرف عنها شيئاً إلّا بعد أن اكتشف الآثار، والأمثلة على ذلك كثيرةٌ، وقد تحدّثت باستفاضةٍ عن سفينة نوحٍ وفرعون تحوتمس عندما قال تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ٩٢﴾ [يونس]، هذه الأمور التّاريخيّة كشفها القرآن الكريم، وهو أيضاً يتعامل مع الواقع والحياة، فإذا أخذت أيّة آيةٍ في القرآن الكريم، وأنزلت النّصّ على الواقع لرأيت مصداق أنّ القرآن الكريم يعالج الواقع في كلّ زمانٍ، فالآن عندما نرى المنافقين –وقد تحدّثنا عنهم سابقاً– كيف تطول ألسنتهم وكيف يتحدّثون وأين كانوا...، نرى مصداق الآيات القرآنيّة، فلا بدَّ من تدبّر القرآن الكريم، ولا بدّ من التّفكّر، لذلك يقول المولى سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾، فمثلاً عندما يقول سيّدنا المسيح عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١١٨﴾[المائدة]، كلّ النّاس يعتقدون أنّ تذييل الآية: (إن

تعذّبهم فإنّهم عبادك وإن تغفر لهم فإنّك أنت الغفور الرّحيم)، بينما نحن نرى القرآن الكريم يقول: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، كيف نتدبّر هذا الأمر؟ السّيّد المسيح عليه السلام يخاطب المولى ﷻ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾، فلو قال: إنّك أنت الغفور الرّحيم، فكأنّ الإنسان إذا عذّبه الله ﷻ أو غفر له فهو يأخذ بصفة المغفرة والرّحمة، لكنّ الله ﷻ عندما يخاطبه نبيٌّ من الأنبياء ويقول: إن تعذّبهم فإنّهم عبادك؛ أي أنت عزيزٌ ومستغنٍ عن عبادة خلقك، وإن تغفر لهم، فأنت حكيمٌ، والحكيم هو الّذي يضع الشّيء في مكانه المناسب وهو عنده غاية الصّواب، فتأتي نهاية الآية دقيقةً.

وعندما يتحدّث المولى ﷻ عن السّرقة فيقول: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾[المائدة: من الآية ٣٨]، ولكن عندما يتحدّث عن الزّنى يقول: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾[النّور: من الآية ٢]، كلّ كلمةٍ جاذبةٌ لمعناها في كتاب الله ﷻ ولا بدّ من تدبّرها، فقوله ﷻ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾؛ لأنّه بالشّكل العامّ والأكثر عملاً بالسّرقة هم الذّكور، فيُقدّم هنا السّارق، أمّا في الزّنى فمؤهّلات ومقدّمات الزّنى تتعلّق بالمرأة لذلك قال ﷻ: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾، فعلينا أن ننتبه لكلّ كلمةٍ في كتاب الله ﷻ، ومثالٌ آخر، قوله ﷻ: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾ [الرّحمن]، عند تفسير الآية في وقت نزول القرآن الكريم، كانوا يعتقدون أنّ البرزخ من الغيوم، ولكن تبيّن بالأقمار الصّناعيّة أنّ هناك حاجزاً مائيّاً تختلف كثافته ووزنه ما بين البحر والنّهر، ويكون مختلفاً عن الاثنين سويّة، وقوله ﷻ: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن

﴿تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠﴾ [يس]، تبيّن بواسطة الأبحاث العلميّة أنّ القمر أسرع من الشّمس، والآيات التي تثبت حقائق علميّةً كثيرةً في القرآن الكريم، وذكرنا سابقاً أنّ القرآن الكريم ستّة آلاف ومئتان وستّ وثلاثون آيةً، منها خمسمئة آية أحكامٍ، فعلينا أن نتدبّر ونعرف عن قرآننا الكريم وعن سنّة نبيّنا ﷺ، كلّ العبادات والأحكام خمسمئة آية، وباقي الآيات تتعلّق بالسّنن الكونيّة والعلم، والسّنن الكونيّة هي القوانين التي نظّم الله ﷻ الكون عليها تاريخيّاً واقتصاديّاً واجتماعيّاً وعلميّاً، فنجد أنّ أكثر من ثلاثة أرباع القرآن الكريم للقصص القرآنيّ، وهي السّنن الكونيّة التي لا تتخلّف: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١﴾ [يوسف]، فعلينا الاعتبار بما قصّ الله ﷻ من الزّمن الماضي، وكذلك الآيات العلميّة آياتٌ كثيرةٌ جدّاً، فالتّدبّر مطلوبٌ؛ لأنّك كلّما تطوّرت علميّاً استطعت أن تستنتج من كلام الله ﷻ ما يناسب التّطوّر العلميّ، وقد تحدّثنا عن مدّة خلق الأرض، وعن مراحل تطوّر الجنين: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾ [المؤمنون]، وعندما تطوّر علم الأجنّة أثبت مراحل التّطوّر كلّها، ومن ثمَّ المراحل المتعلّقة بحياة الإنسان أو الموت أو التّراب أو الصّلصال.. كلّ هذه الأمور موجودةٌ

ومكتنزةٌ في كتاب الله ﷻ، وعندما نقول مكتنزةٌ؛ أي بحاجةٍ لمن يبحث عن الكنز، والتّدبّر مطلوبٌ، وهو مطلوبٌ في القرآن الكريم وفي اللّغة العربيّة أيضاً، فإذا لم تكن ضليعاً باللّغة العربيّة فلن تعرف عن كتاب الله ﷻ وعن مراد كلامه ﷻ شيئاً، مثلاً في قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: من الآية ١٥١]، وفي آيةٍ أخرى يقول فيها ﷻ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الإسراء]، يختلف العجز في كلّ آيةٍ من الآيتين، وعندما يختلف العجز في الآيتين ماذا نقول؟ عندما يقول ﷻ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ أي أنّ الفقر واقعٌ فعلاً، فالرّزق لك أوّلاً، أمّا عندما قال ﷻ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ فلا يوجد فقرٌ، لكنّكم تخافون منه، فتأتي: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾، فكلّ كلمةٍ في القرآن الكريم جاذبةٌ لمعناها، ودقيقةُ المعنى، فيجب علينا أن ننتبه إلى التّدبّر في كتاب الله ﷻ، وكنّا قد تحدّثنا عن الأحرف المقطّعة في أوائل السّور وقلنا: جاءت في القرآن الكريم بدءاً من سورة (البقرة): ﴿الٓمٓ﴾، ﴿الٓمٓصٓ﴾، ﴿الٓرٰ﴾، ﴿الٓمٓرٰ﴾، ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، ﴿طه﴾، ﴿طسٓمٓ﴾، ﴿طسٓ﴾، ﴿يسٓ﴾، ﴿صٓ﴾، ﴿حمٓ﴾، ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾، ﴿قٓ﴾، ﴿نٓ﴾، وكلّها موجودةٌ في حروف الهجاء التي يبلغ عددها في لغتنا العربيّة ثمانيةً وعشرين حرفاً، وعدد الحروف التي تأتي مقطّعةً في فواتح السّور أربعةَ عشر حرفاً، أي نصف الحروف الأبجديّة، وهذا ليس أمراً عشوائيّاً، فكيف تمّ اختيارها بشكلٍ دقيقٍ وترتيبٍ

مذهلٍ؟ فإذا جمعنا هذه الحروف تُعطينا عبارة: (**نصّ حكيم له سرّ قاطع**)، هذه الأمور كلّها مطلوبٌ فيها تدبّر كتاب الله ﷻ، وقد تحدّى ﷻ الجنّ والإنس بهذا القرآن الكريم فقال جلّ وعلا: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء]، فإن اجتمعوا كلّهم، وأيّدوا بعضهم بعضاً لكي يأتوا بمثل هذا القرآن الكريم لا يمكن لهم أن يأتوا بمثله، مع أنّ القرآنَ الكريمَ ليس كتابَ فيزياءٍ أو فضاءٍ أو كيمياءٍ وإنّما هو كتاب هدايةٍ للبشريّة، فيه من الأسرار العلميّة والرّوحيّة والعطاءات القرآنيّة ما لا يمكن حصره؛ لأنّ صفةَ التّامّ التّمامُ، وصفةَ الكاملِ الكمالُ، وهو صفةٌ من صفات الله ﷻ، يقول عليه الصّلاة والسّلام: «**إنّ فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه**»[1]، وشتّان ما بين كلام البشر وما بين كلام ربّ البشر تبارك وتعالى، لذلك علينا أن نتدبّر القرآن الكريم، وأن نعيه ونتفكّر فيه، ويجب أن يكون لنا وردٌ يوميٌّ منه؛ أي حصّةٌ من عطاء القرآن الكريم من قراءةٍ وتدبّرٍ وتفكّرٍ فيه.

فالأمر مهمٌّ جدّاً فيما يتعلّق بطبيعة التّعامل مع كتاب الله ﷻ، ومع هذه النّصوص القرآنيّة التي هي أقدس مقدّسات المسلمين، وهي كلام ربّ العالمين الّذي نزل على قلب نبيّنا محمّد ﷺ، والتي يدين بها أكثر من ملياريّ إنسانٍ على وجه الأرض.

---

(١) كنز العمّال: ج١، ص ٥٢٧، الحديث رقم (٢٣٦٠).

(الآية ٨٣) - ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾:

هناك فئةٌ من المنافقين الّذين إن جاءهم أمرٌ يتعلّق بالأمن والانتصار أو جاءهم الخوف من شيءٍ أخبروا عنه وأشاعوه.

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾: الاستنباط: من نبط، ومعناها في اللّغة العربيّة ظهور الشّيء بعد خفائه، وما يتعلّق بكتاب الله ﷻ وردّ الأمور إلى رسول الله ﷺ، وجاء في آيةٍ سابقةٍ قوله ﷻ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾، هنا نواجه قضيّةً مهمّةً وخطرةً جدّاً في العالم العربيّ والإسلاميّ، وهي تصدّي الجهلة لتفسير آيات القرآن الكريم وتحريفه، والقرآن الكريم لا يُحرّف بكلامه ولا بسطوره؛ لأنّ الله ﷻ قد ضمن حفظه عندما قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر]، القرآن الكريم محفوظٌ من التّحريف، لكنَّ هناك من يحرّف معانيه في فهمٍ سقيمٍ أو بمحاولاتٍ مريضةٍ منذ عصر الخوارج الأوائل الذين أخذوا وأسقطوا ووضعوا أحكاماً ما أرادها الله ﷻ وفسّروا القرآن الكريم على حسب أهوائهم، منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا، ونحن نرى محاولاتٍ متكرّرةً متعدّدةً لتحريف معاني القرآن الكريم وتسطيح العقل البشريّ في فهم آياتهِ والتّعامل معه، ولو ردّوه إلى الرّسول أي إلى فعله ﷺ، وإلى ما أمر به وما نهى عنه، وإلى فعل

صحابته لكان الأمر مختلفاً تماماً عن الانحرافات التي تمّت عبر الزّمان منذ الخوارج وحتّى الآن، كالحركات التّكفيريّة والإرهابيّة التي جاءت بتفسيرٍ مبتورٍ ومريضٍ للقرآن الكريم، وصولاً إلى من يحاول أن يطوّر الفكر الدّينيّ ويُخرج القرآن الكريم عن سياقه، وقد حدّد القرآن الكريم هذه الأمور بشكلٍ واضحٍ، وهي طاعة الرّسول ﷺ والاستنباط من أولي الأمر، وإخراج المعاني الصّحيحة، وهنا تقع البلاد العربيّة والإسلاميّة بين طرفي نقيضٍ:

الطّرف الأوّل: هو الطّرف التّكفيريّ المتطرّف الذي حرّف المعاني ولم يستطع أبداً أن يلامس حقيقةَ الآياتِ القرآنيّةِ؛ لأنّ الفكر المريض لا يستنتج إلّا من خلال المرض، ولو كانوا علماءَ أو دعاةً حقيقيّين لما ساروا في هذا النّهج الإجراميّ التّكفيريّ الإرهابيّ القاتل الّذي أخرج كلّ مقاصد الشّريعة الإسلاميّة عن مضمونها الحقيقيّ.

والطّرف الثّاني: من يدّعي تجديد الخطاب الدّينيّ، فهو إن لم يكن قد أخذ بحقيقة التّجديد الّذي أمر به الإسلام، وخرج عن السّياق فهو يعمل أيضاً على زيادة أعداد المتطرّفين في العالم، ولا يستطيع أبداً أن يغيّر من حقيقة الأمور الدّينيّة وحقيقة الأمور الإسلاميّة التي جاءت في كتاب الله، فموضوع التّدبّر والاستنباط هو موضوعٌ محكومٌ بقواعد، هذه القواعد تسمّى (علم أصول الفقه)، وهذه القواعد هي التي يستطيع بها الإنسان أن يستخرج الأحكام من خلال الآياتِ القرآنيّة، فلا تستطيع أن تأتي إلى كتاب الله ﷻ وتضرب بعرض الحائط سنّة رسول الله ﷺ، وشرحه وتطبيقه وبفعل الصّحابة رضوان الله عليهم، وعلم أصول الفقه اجتهد به كبار

الفقهاء والعلماء عبر التّاريخ، ووضعوا القواعد والأصول التي تستطيع أن تُخرج الحكم الشرعيّ الصّحيح حتّى لا تقع ما بين التّطرّف والتّشدّد والخروج عن تعاليم الإسلام كلّها، أو أن تميّع كلّ حقائق الإسلام فتزيد من حالة التّطرّف، نحن أمام قضيّةٍ مهمّةٍ فيما يتعلّق بتدبّر القرآن الكريم، فهو لا يتمّ إلّا ضمن القواعد والأصول التي حدّدها رسول الله ﷺ والتي أمر بها القرآن الكريم، وهذه الآيات دليلٌ قاطعٌ على ذلك: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾، فهناك بعض الذين يدّعون التّجديد، وهم لا علاقة لهم بالدّين ولا بالتّجديد ولا بأيّ أمرٍ من هذه الأمور. يقولون: نأخذ من معاني القرآن الكريم التي وردت مباشرةً، كيف ذلك؟ سنضرب هذه الأمثلة لتبيّن وتفضح كلّ هذه الدّعوات الكاذبة فيما تدَّعي، ولن تصل أبداً إلى حقيقة تطوير الخطاب الدّينيّ ولا الفكر الدّينيّ ولا كلّ هذه الأمور، يقولون إن أخذنا من القرآن الكريم نأخذ بالمعنى اللّغويّ، مثلاً: الله ﷻ يقول: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ﴾[المائدة: من الآية ٦]، معنى فاطّهروا في اللّغة العربيّة من طهر؛ أي النّظافة، فهل معنى فاطّهروا في هذه الآية هو المعنى اللّغويّ ذاته، الّذي هو النّظافة؟ أو أنّ المقصود بالطّهارة المعنى الاصطلاحيَّ، الّذي هو الغسل من الجنابة المعروف فقهيّاً؟ فعلم أصول الفقه وضع المعنى اللّغويّ مع المعنى الاصطلاحيّ وربط بينهما، فمن لا يعرف هذه القواعد ليس بإمكانه أن يستخرج أيّ تفسيرٍ أو أيّ حكمٍ من أحكام القرآن الكريم، يقول الله ﷻ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[البقرة: من الآية ٤٣]، فإن استخرجت من كتاب الله ﷻ الأحكام، وضربت بعرض الحائط سنّة

رسول الله ﷺ كلّها، وعلم أصول الفقه، وكلّ قواعد التّفسير، والفقهاء الذين سبقوا بهذه الأمور، فقرأت: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ومعنى الصّلاة في اللّغة الدّعاء والصّلة مع الله ﷻ، فهل الأمر في قوله: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بالمعنى اللّغويّ للصّلاة؟ أو أنّها بالمعنى الاصطلاحيّ، لها أركانها وشروطها وفرائضها وسننها؟! وكذلك قوله ﷻ: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[البقرة: من الآية ٤٣]، معنى الزّكاة باللّغة العربيّة النّماء، فهذا الكلام عارٍ عن الصّحّة، يقول النّبيّ ﷺ: «**خذوا عنّي مناسككم**»[1] فلا تستطيع أن تتعامل مع كتاب الله ﷻ من خلف رسول الله ﷺ، فتقول: أقبل بهذا الحديث ولا أقبل بهذا، أقبل بهذه الرّواية ولا أقبل بهذه الرّواية، يجب علينا أن نتعامل باحترامٍ مع النّصوص القرآنيّة، وذلك من خلال تدبّر القرآن الكريم وفهم آياته وفق القواعد التي أمر الله ﷻ بها وبيّنها رسول الله ﷺ، فكثيرٌ من الآيات تتعلّق بحدثٍ معيّنٍ بيّن رسول الله ﷺ كيفيّة تطبيق هذا الحدث، فمثلاً: الآيات المتعلّقة بالمشركين وبالقتال الّذي حدث معهم في كثيرٍ من الأوقات، مَن الّذي حدّد طبيعة هذا القتال، وطبيعة العلاقة بين المسلم والمشرك؟ الّذي حدّده هو فعل الرّسول، الّذي لم يقتل مشركاً لإشراكه، وإنّما قاتل المعتدين من المشركين؛ لأنّه ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾[البقرة: من الآية ٢٥٦]، هذا واضحٌ من خلال فعلِ الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، لذلك يقول الله ﷻ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾، هنا أولي الأمر الّذين يعلمون.

---

(١) سنن البيهقي الكبرى: كتاب الحجّ، باب الإيضاع في وادي محسر، الحديث رقم (٩٣٠٧).

وبموضوع التّجديد في الفكر الدّينيّ، هل أستطيع أن أقفز فوق كلّ العلوم والأصول والقواعد وسنّة النّبيّ ﷺ، وأقول: إنّني أريد أن أجدّد؟! فبهذه الطّريقة من التّجديد سأسقط الميراث والأحكام، ولن يكون هناك دينٌ، فتطوير الخطاب الدّينيّ أمر مهمٌّ ومطلوبٌ، ومحاربة التّطرّف أمرٌ ضروريٌّ، ولكنّ محاربة التّطرّف لا تكون بالمزايدة في هذه القضيّة، فهي لا تحتمل المزايدات، ولا يمكن أن تحقّق أيّة نتائج من خلال المزايدة في تعاليم الدّين، وأحكام الشّرع الإسلاميّ، وادّعاء العلم والمعرفة، والفصل بين المقاصد والشّعائر، وفعل ما يحلو لي، فعلينا أن نتعامل باحترامٍ مع النّصوص القرآنيّة، هذا هو كلام الله ﷻ، فعندما يقول النّبيّ ﷺ حديثاً ما، أو يُطلق قولاً ما، فالجاهل والمتطرّف والتّكفيريّ والقاتل والمجرم من خلال جهله ومرضه وجرائمه فإنّه يستخدم الآيات القرآنيّة بغير الطّريق الّذي أنزله الله تعالى، وحديث النّبيّ ﷺ بغير ما جاء، وقد ضربنا مثلاً عدّة مرّاتٍ بحديث النّبيّ ﷺ: «**أمرتُ أن أقاتل النّاس حتّى يشهدوا أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله، ويُقيموا الصّلاة، ويؤتوا الزّكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا منّي دماءهم وأموالهم إلّا بحقّ الإسلام، وحسابهم على الله**»[1]، ظاهر الحديث يتناقض مع مقاصد الشّريعة، ومع صريح نصّ القرآن الكريم، ومع فعل الرّسول ﷺ نفسه، فكيف يقول ﷺ: «**أمرتُ أن أقاتل النّاس**

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الإيمان، باب ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡ﴾، الحديث رقم (٢٥).

حتّى يشهدوا أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله»، والله ﷻ يقول: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾[البقرة: من الآية ٢٥٦]؟ كيف يقول: «أمرتُ أن أقاتل النّاس» وعندما دخل مكّة فاتحاً وصعد على ظهر الكعبة قال: «اذهبوا فأنتم الطّلقاء»[1]، ولم يقاتلهم وهم مشركون؟ معنى هذا أنّني لم أستطع أن أفهم حديث النّبيّ ﷺ ولا سياقه ولا مناسبته ولا الأجواء التي قيل بها، عندما قال النّبيّ ﷺ: «أمرتُ أن أقاتل النّاس» لم يقصد بالنّاس البشر، بل كان يقصد الفئة التي اعتدت على رسول الله ﷺ بعد صلح الحديبية بعد أن نقضت الصّلح، والدّليل على ذلك أنّ القرآن الكريم يستخدم كلمة النّاس وهو يقصد فئةً معيّنةً وليس كلّ النّاس، كقوله ﷻ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢﴾[النّصر]، هل دخل النّاس جميعاً في دين الله ﷻ أفواجاً؟ المقصود بالنّاس فئةٌ معيّنةٌ، وكما قال النّبيّ ﷺ: «أمرتُ أن أقاتل النّاس»، يقصد فئةً معيّنةً أشار إليها النّبيّ ﷺ، وهي الفئة الباغية التي اعتدت ونقضت صلح الحديبية، الأمر الشّرعيّ ليس بالمزايدات، وتقول: هذا الحديث لا أقبله؛ لأنّه يقول كذا، أنت لم تقبله؛ لأنّك لم تفهمه، هناك فارقٌ بين أنّك لا تفهم الحديث وبين أنّك غير مطلّعٍ على علوم مصطلح الحديث وأصول الحديث وصحاحه، ويجب التّعامل باحترامٍ مع النّصوص الشّرعيّة، فالمشكلة في الفهم وليست في النّصّ، وفي تطبيق النّص على الواقع وليس في صحّة النّصّ أو قبوله أو رفضه، وبطريقة

(١) انظر: سيرة ابن هشام، ج٤، ص ٣٢.

استنباط حقيقة هذه النّصوص، وثلاثة أرباع مساحة القرآن الكريم تتعلّق بالقصص القرآنيّ، وهو سننٌ كونيّةٌ أي قوانينُ وضعها الله ﷻ لتكون عبرةً للبشر، فأين نحن من تدبّر القرآن الكريم؟! عندما يقول الله ﷻ: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡ﴾ [إبراهيم: من الآية ٣٢]، لماذا أنزل الله من السّماء ماء فأخرج به من الثّمرات؟ ألم يكن قادراً على أن يقول: ﴿كُن﴾ فيخرج النّبات من دون ماء؟ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٤٨﴾ [الرّوم]، كلّ هذه الأسباب حتّى يُنزل الماء؟ ألا يستطيع أن يقول ﴿كُن﴾ فينزل الماء من السّماء بلا أسبابٍ؟ تتبخّر مياه البحر، ثمّ تصعد للسّماء، ثمّ تأتي طبقة هواءٍ باردٍ، وبعدها يتكثّف، كلّ ذلك لينزل المطر؟! ومثالٌ آخر نقرأ في سورة (يوسف) يقول الله ﷻ عن سيّدنا يوسف عليه السلام عندما راودته امرأت العزيز عن نفسه: ﴿۞وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٠ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ٣١ قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۦۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ٣٢﴾ [يوسف]، أتت بكلّ هؤلاء النّساء وحاولن عندها مراودة يوسف عن نفسه، وجرحن أيديهنّ عندما رأينه، فدعا يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾

[يوسف: من الآية ٣٣]، فاستجاب له الله ﷻ: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٤﴾ [يوسف]، ويقول الله ﷻ بعدها: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ٣٥﴾ [يوسف]، هل استجاب الله ﷻ الدّعاء أو أنّهم رأوا الآيات وسجنوه؟ ألا تريد أن تتدبّر القرآن الكريم؟ الله ﷻ يقول: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ عندما دعا: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾، بينما بعدها بآيةٍ واحدةٍ يقول: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ٣٥﴾، بعد أن رأوا الأدلّة والإثباتات سيضعونه في السّجن، إنّ الله ﷻ يرتّب الأسباب على الأقدار، هذه سنّةٌ من السّنن الكونيّة، ألم نفهم هذا عن الله ﷻ؟ ألم تفهم الأمّة العربيّة الإسلاميّة بأنّنا تركنا الأسباب وتركنا العلم ونريد أن نقفز إلى الأقدار مباشرةً، وتقول: قدري كذا! من قال لك هذا؟ تترتّب الأسباب على أقدار الله ﷻ، هو يستطيع بقدره أن يقول للشّيء: كن فيكون، هو استجاب ليوسف عليه السلام، لكنّه جعلهم يأتون بالأدلّة ويضعونه في السّجن بالأسباب، هكذا يكون التّدبّر القرآنيّ، لا يكون تدبّر القرآن الكريم بالمزايدة، وبأن أستنبط وأُخرج الحكم الّذي أراه، وأمّا الّذي لا أراه فأضرب به عرض الحائط، وأنا أريد أن أُرضي فلاناً أو فئةً أو مجموعةً أو دولةً، القرآن الكريم لا يُتعامل معه إلّا من خلال قواعده وأصوله التي بيّنها رسول الله ﷺ وأخذ العلماء منها قواعد أصول الفقه حتّى تستطيع أن تستنبط هذه الأحكام، وكذلك الكثير من الآيات الكونيّة التي وردت في كتاب الله ﷻ والآيات العلميّة وغير ذلك، نحن مدعوون لتدبّر آيات القرآن الكريم، وإلى الفهم عن الله ﷻ، واستنباط الأحكام الشّرعيّة بشكلٍ

صحيحٍ وسليمٍ، وبشكلٍ ينفي تحريف وتطرّف المتطرّفين والإرهابيّين والقتلة والمجرمين الّذين أرادوا أن يحرّفوا القرآن بتفسيرهم، لكن ليس هذا معناه أنّنا نأتي إلى القرآن الكريم مباشرةً، وإلى الأحكام الشرعيّة ونقول بها برأينا، لقول النّبيّ ﷺ: «**ومن قال في القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النّار**»[1]؛ لأنّ هذا الأمر يعود إلى رسول الله ﷺ وإلى فعله وإلى القواعد التي تحكم الاستنباط والأحكام من النّصوص الشّرعيّة.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: نحن نعيش بفضل الله ﷻ وبرحمته، ولولا فضله ﷻ ورحمته التي تتولّانا، ولطفه الخفيّ ﷻ لكان الإنسان يسير على حبال الشّيطان الّذي يُغوي الإنسان ويوسوس له بما يناسب شهواته، ويحرّك فيه نوازع الشّرّ الموجودة داخل نفسه البشريّة، لذلك كانت الآيات: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

(الآية ٨٤) - ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾﴾:

يخاطب الله ﷻ الرّسول ﷺ: عليك أن تحرّض المؤمنين وتشجّعهم على قتال مشركي مكّة، وذلك عندما أراد رسول الله ﷺ أن يسير باتّجاه فتحها، ولكنّ الله ﷻ مع ذلك يقول: ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ عليك فقط أن تحرّضهم وتشجّعهم على الخروج لقتال المشركين في مكّة من أجل فتحها،

(١) سنن التّرمذيّ: كتاب تفسير القرآن، باب الذي يُفسّر القرآن برأيه، الحديث رقم (٢٩٥١).

ولكن ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ فعليك نفسك يا محمّد؛ لأنّك لن تُنصر بهم، أنت منصورٌ من الله ﷻ، وهذه الأمّة تُنصر بمحمّد ﷺ، فلذلك حتّى يطمئنّ قلب الرّسول ﷺ قال له: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ فالله ﷻ أدخل النّبيّ ﷺ بفضله وبرحمته إلى مكّة فاتحاً من دون قتال، كما نعرف القصّة، وترك المشركين على شركهم قائلاً لهم: «**يا معشر قريش، ما ترون أنّي فاعل فيكم؟**»، قالوا: خيراً، أخٌ كريمٌ وابن أخٍ كريمٍ، ثمّ قال: «**اذهبوا فأنتم الطّلقاء**»[1].

(الآية ٨٥) - ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾:

يُقال بالعرف: فلانٌ أخذ الأرض بالشّفعة؛ أي أنّه بعد أن كان يملك قطعة واحدة من الأرض، اشترى قطعة الأرض المجاورة لتنضمّ لأرضه.

أمّا الشّفاعة: فهي أن يتعدّى أثر مواهب الخير التي لديك إلى الغير، فتنضمّ إلى غيرك.

هنا يقول المولى ﷻ: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ هذه دعوة الخير للغير.

﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾: هناك فارقٌ ما بين التّعبير بالكِفْل والتّعبير بالنّصيب، سنوّضح ذلك باللّغة العربيّة، وسيتّضح المعنى

---

(١) عيون الأثر: ج٢، ص ١٩٩.

الّذي أراده الله ﷻ، دائماً دعوة الإسلام هي إشاعة الخير والاصطفاء الخيريّ في المجتمع، على عكس ما يعتقد بعض النّاس أو يروّجون، وإن كانت هناك بعض الممارسات عبر التّاريخ لا تعبّر عن حقيقة الدّين ولا عن حقيقة مفهوم الفكر الإسلاميّ المستمدّ من المصدر الأساسيّ للإسلام وهو كتاب الله ﷻ وسنّة سيّدنا رسول الله ﷺ الصّحيحة، والأسباب في ذلك هي بُعد النّاس عن تدبّر القرآن الكريم وتتبّع أوامر النّبيّ ﷺ وسيرته وتطبيقاته، وهنا عندما نقول: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً﴾ ويقول النّبيّ ﷺ: «**الخلق عيال الله، وأحبّ عباد الله إلى الله أنفعهم لعياله**»[1]، عندما نتوقّف عند هذا الحديث الشّريف، هل هناك حجّةٌ لأحدٍ أن يتحدّث عن فكرٍ متعصّبٍ أو فئويّ أو فكرٍ يطرح التّشدّد والإرهاب والتّكفير والقتل ومصادرة الآراء لصالح الفكر الدّينيّ؟! لا شكَّ أنَّ عدم الفهم إضافةً إلى ممارساتٍ معيّنةٍ عبر الزّمن هو الّذي أدّى إلى ذلك، وليس حقيقة ما في كتاب الله ﷻ وسنّة رسوله ﷺ، الخلق كلّهم عيال الله، كلّ النّاس هم عياله ﷻ، وأحبّهم إليه تعالى مَن يُجري النّفع والخير للنّاس على يديه، «**وأحبّ عباد الله إلى الله أنفعهم لعياله**»، هذا الحديث يؤكّد معنى هذه الآية الكريمة، من يشفع شفاعةً حسنةً ويتعدّ بخيره إلى غيره يكن له نصيبٌ، والنّصيب هو الخير الكثير، مثلاً يقال: هذا المال لك نصيبٌ منه، أي جزءٌ كبيرٌ، أمّا من يشفع شفاعةً سيّئةً؛ أي يقابل السّيّئة أو عمل الشّرّ مع النّاس، فله كِفْلٌ؛ لأنّ

(١) شعب الإيمان: باب في طاعة أولي الأمر، الحديث رقم (٧٤٤٥).

الحسنةَ بعشر أمثالها، أمّا السّيّئة فلا يُجزى إلّا مثلها، هنا يتبيّن الفارق بين الكفل وهو الجزء اليسير وبين النّصيب وهو الجزء الكبير.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتًا﴾: المعنى اللّغويّ منح القوتِ، مقيتاً أي مانح القوت، وقال العلماء أيضاً: معناها الحسيب، وقالوا أيضاً: الحفيظ، والرّقيب، فهو يرقب ويراقب ويُحاسب ويحفظ، فتتعدّى هذه الكلمة إلى كلّ هذه المعاني، ﴿وَكَانَ﴾ كان فعلٌ ماضٍ ناقص، أكان الله ﷻ بالماضي؟ والآن ماذا؟ والمستقبل؟ هذا الملحظ للزّمن هو للبشر فقط، لا ينطبق على ربّ البشر؛ لأنّ البشرَ هم عالم أغيارٍ، حسب الزّمن تتبدّل أحوالهم، اليوم صغيرٌ وغداً كبيرٌ، اليوم قويٌّ وغداً ضعيفٌ، اليوم صحيحٌ وغداً مريضٌ، اليوم حيٌّ وغداً ميّتٌ، هذه التّبدّلات لا تنطبق على المولى ﷻ؛ لأنّه قويٌّ في الماضي والحاضر والمستقبل، وهو حيٌّ في الماضي والحاضر والمستقبل، وعظيمٌ في الماضي والحاضر والمستقبل، وغفورٌ في الماضي والحاضر والمستقبل، فعندما يستخدم المولى ﷻ: ﴿وَكَانَ﴾ فلا يذهب ذهنك إلى الماضي، هذا لعالم الأغيار، للبشر فقط، أمّا لربّ البشر فهو خالق الزّمان والمكان. فهو كان وما زال وسيبقى؛ لأنّه ﷻ لا يعتريه التّبديل ولا التّغيير، وإنّما هو الكمال.

(الآية ٨٦) - ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ٨٦﴾:

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ﴾: كان العرب قبل الإسلام تحيّتهم هي: حيّاك الله، فاستبدل الإسلام هذه التّحيّة: ﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞ﴾ [الأحزاب: من الآية

٤٤]، أصبحت تحيّة الإسلام: (السّلام عليكم) هنا الكلمة لها معنى، عندما يطلب منك المولى ﷻ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ﴾ فالمطلوب إشاعة السّلام بين النّاس، وانتقال دائرة هذه الكلمة من القول إلى الفعل، السّلام هو الأمن والاطمئنان، فعندما تلقي السّلام على غيرك فإنّك تلقي الأمن والاطمئنان، وتضمن أن ينالَ الغيرَ الخير، وألّا ينال منك الشّرّ، تحجز عنه شرّك وتعطيه من خيرك، فكلّ قاتلٍ وكلّ زانٍ وكلّ سارقٍ وكلّ منتهكٍ للأعراض وكلّ مجرمٍ وكلّ مغتابٍ لم يلقِ السّلام؛ لأنّه عندما يكذب أو يسرق أو.. فإنّه ينقل دائرة الشّرّ إلى الغير وليس دائرة الخير، فأين هو السّلام؟ وأين هي إشاعته؟ فالمعنى المجمل والعامّ للإسلام هو السّلام، وكلمة إسلام مشتقّةٌ من السّلام. جاء رجلٌ فسلّم على رسول الله ﷺ فقال: السّلام عليكم يا رسول الله، قال: «**وعليك السّلام ورحمة الله**»، ثمّ جاء آخر فقال: السّلام عليك يا رسول الله ورحمة الله، قال: «**وعليك السّلام ورحمة الله وبركاته**»، ثمّ جاء آخر فقال: السّلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فقال له رسول الله ﷺ: «**وعليك**»، فقال الرّجل: يا رسول الله، أتاك فلان وفلان فحييتهما بأفضل ممّا حييتني، فقال رسول الله ﷺ: «**إنّك لن –أو لم– تدع شيئاً، قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ﴾، فرددت عليك التّحية**»[1].

(١) المعجم الكبير للطّبرانيّ: باب السّين، سهيل بن حنظلة، الحديث رقم (٦١١٤).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا﴾: إنّ الله ﷻ يُحاسب على الكلمة، وعلى الكبيرة والصّغيرة، وكان حسيباً لرقابته للنّاس.

(الآية ٨٧) - ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾:

﴿ٱللَّهُ﴾: وهو الاسم الجامع لكلّ صفات الله ﷻ، كان من الممكن أن يقول المولى ﷻ: الرّحمن لا إله إلّا هو، أو: الكريم لا إله إلّا هو، أو: الغفور لا إله إلّا هو، لكن عندما يقول: ﴿ٱللَّهُ﴾ فهي تجمع صفات الجلال والجمال، وعندما يقول: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾ فهذا إثباتٌ لتوحيد الله ﷻ، ولقدرته جلّ وعلا، ولوجوده ﷻ، قد يقول قائل كيف ذلك؟ الجواب: أنّه يوجد فيها إثباتٌ ونفيٌ، هنا النّفي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾ ليست (إلّا) هنا أداة استثناءٍ، ولكن معناها الله لا إله غيره، ونقول: إنّها إثبات وحدانيّة الله تبارك وتعالى وأنّه لا إله إلّا الله؛ لأنّ الله ﷻ يقول: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾ وهو خالق السّماوات والأرض والإنسان، وهو حيٌّ لا يموت، فعندما يقول: لا إله إلّا هو، فلو كان هناك إلهٌ آخر لقال: أنا موجودٌ، ولقال هذا الإله الآخر: إنّني أنا خلقت السّماوات والأرض، طالما أنّه لا يوجد من ادّعى بأنّه لا إله غيره، وأنّه هو الّذي خلق السّماوات والأرض، وخلق النّاس، وسيحاسبهم، فإذاً يبقى هذا الإثبات فيها.

إثباتُ غيرِك شِركٌ في عقيدَتنا محو السّوى ديننا يا قرّةَ العَينِ

فكلّ ما سوى الله ﷻ لا يمكن له أن يكون فعّالٌ لما يريد، والله ﷻ

هو الفعّال لما يريد، فعندما يقول جلّ وعلا: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾ أي يحشركم يوم القيامة، ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ﴾ لا شكّ فيه، أنتم تشكّون في يوم القيامة والله ﷻ يقول: ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾ أتستطيع أن تُثبتْ بأنّ هناك خالقاً غير الله ﷻ وتشكّ بعد ذلك بيوم القيامة، أم أنّك لن تستطيع أن تثبت ذلك أبداً؟ وكنّا ذكرنا سابقاً النّقاش العقليّ والعلميّ للدّليل على وجود الله ﷻ وأنّه هو الخالق؛ والبارئ؛ والمحيي؛ والمميت ...، يوجد قضيّتان لا يراهما الإنسان ويجب أن يؤمن بهما غيباً، الحشر ويوم القيامة؛ لأنّك ترى موت غيرك، تراه وكأنّه قد نام وبعدها يصبح تحت التّراب، ولا تعرف عنه شيئاً، ولم يقم أحدٌ من قبره وأخبر النّاس بما جرى، فالله ﷻ يقول: هناك أمران؛ الأمر الأوّل: ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾ والجمع هو حشر وقيام النّاس، ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ﴾ يوم الحساب، القضيّتان الأساسيّتان هما: بعث من في القبور، وبعد ذلك حسابهم يوم القيامة، وهو مناط الإيمان بالله ﷻ؛ لأنّه هو الّذي أخبر عن ذلك، وقدّم بلا إله إلّا هو؛ أي لا إله إلّا الله، لذلك كان النّبيّ ﷺ يقول: «**أفضل ما قلت أنا والنّبيّون من قبلي: لا إله إلّا الله**»[1]؛ لأنّ فيها إثبات وجود الله ﷻ، وقد ضربنا مثلاً في السّابق، ولله الأعلى، فإن كنّا في المسجد ووُجِدت محفظةٌ، والنّاس كُثر وأخذتَ المحفظة وقلتَ: هذه لي، تصبح مُلكك حتّى يأتي مَن ينازعنك في ملكيّتها.

﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾: جواب الاستفهام: لا أحد أصدق من

(١) روضة المحدّثين: ج١٠، ص ٢٨٦، الحديث رقم (٤٧١١).

الله ﷻ حديثاً. أي يكفي أنّ الله ﷻ قال: إنّه سيجمعكم، وهناك يوم قيامة، وسيبعث النّاس من قبورهم وسيحاسبهم، لذلك يجب عليك أن تؤمن بهذا القول.

(الآية ٨٨) - ﴿* فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾﴾:

هذه الآية جاءت بعد التّذكير بالحساب ويوم القيامة؛ لأنّ هناك فئةً خطرةً جدّاً في المجتمع هي فئة المنافقين، وهي أخطر الفئات على بنيان المجتمع، وذكرنا سابقاً عندما مرّت آيات النّفاق أنّ القرآن الكريم في معظم الآيات يأتي بحديثٍ عن المنافقين لتنبيه المؤمنين وتنبيه المجتمعات من خطر النّفاق؛ لأنّ المنافق عدوٌّ باطنٌ وليس عدوّاً ظاهراً للإنسان، وهو المخرّب والمفسد الأساسيّ في المجتمع، والإنسان الظّاهر الّذي يبدي ما يكتم يمكن التّعامل معه، أمّا الّذي يغيّر من جلده ولونه ومواقفه ومبادئه فهذا لا يمكن التّعامل معه؛ لأنّهم كما قال تبارك وتعالى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النّساء: من الآية ١٤٣].

﴿* فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾: قضيّةٌ استفهاميّةٌ، وهنا إنكارٌ وتوبيخٌ، كانت هذه القضيّة تتعلّق بالمجتمع في المدينة المنوّرة، بعضهم قال: نسايرهم، وبعضهم قال غير ذلك، كما نرى في كلّ زمانٍ، فالله ﷻ يقول:

﴿* فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾: أي يجب أن تكونوا فئةً واحدةً على رأيٍ واحدٍ تجاه المنافقين، ولا يجوز أبداً أن يقف

المجتمع مكتوف الأيدي أمامهم، بل يجب عليه محاربة النّفاق وإظهاره، وألّا يكون فيه فئتان، فئةٌ تُسايرهم وفئةٌ لا تسايرهم، ويجب أن يكون الكلّ بصوتٍ واحدٍ ضدّ النّفاق في المجتمع.

(الآية ٨٩) - ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ٨٩﴾:

هنا الآيات الكريمة تتعلّق بساحة القتال، ويجب أن أتوقّف قليلاً في تفسيرها لعدّة أسباب:

- السّبب الأوّل والأساس في ذلك أنّني أمام أمرين: إمّا الجهل، وإمّا القصد للتّآمر على دين الإسلام من خلال أعدائه: الصّهاينة أوّلاً، وبعد ذلك أعداء الأمّة جميعاً، يأخذون الآياتِ مبتورةً من السّياق، ومن أسباب النّزول، ولا يردّون الآياتِ المتشابهة إلى المحكمة، ولا يردّون الأمورَ إلى مقاصد التّشريع الإسلاميّ، وإلى الأسس التي جاءت فيها الشّريعة الإسلاميّة، فيقع الإنسان من خلال إمّا الجهل وإمّا القصد.

يوجد إشكالاتٌ كثيرةٌ ومنها تفسير هذه الآيات، مثلاً: الإنسان الّذي لا يطّلع على حقيقة التّفسير، وعلى حقيقة الشّريعة الإسلاميّة، ويأخذ الأمور بسطحيّةٍ في فهم كتاب الله ﷻ، فإنّه يقف أمام هذه الآيات ويبتر جزءاً منها ويقول: إنّ هذا الدّين يحضّ على قتل الكافر والمشرك، وهذا الكلام غير صحيحٍ، فمن خلال تفسيرنا السّابق لكتاب الله ﷻ بيّنّا معنى

الكفر في القرآن الكريم وفي اللّغة العربيّة، فالكفر هو السّتر، وأثبتنا ذلك من خلال الآيات الكثيرة، ثانياً: عندما تكون أسباب نزول الآيات متعلّقةً بمعركةٍ من المعارك فالسّاحة المقصودة هي ساحة القتال، فأنا أمام مجموعةٍ من الآيات المتتالية التي لا يمكن أن أقصّ جزءاً منها، وأتابع مسير الآيات القرآنيّة بتدرّجها وتسلسلها المنطقيّ والعقليّ؛ لأنّ القرآن الكريم ومناط التّكليف جاء للعقل وللتّفكير، وديننا دين تفكيرٍ، فلا يمكن أن نأخذ معاني هذه الآيات على غير ما أراده الله ﷻ وفي غير سياقها الّذي جاءت فيه، فهذه الآيات تتعلّق بالمعارك التي وقعت بين مشركي مكّة ومن معهم من قبائل الجزيرة العربيّة وتحالفهم مع اليهود، وبين النّبيّ ﷺ وفئة المؤمنين، لذلك فهي تتعلّق بساحةٍ محدّدةٍ هي ساحة القتال، والدّليل سيكون من خلال هذه الآيات التي يستخدمها بعضهم لغرض الإرهاب والتّطرّف والتّكفير وقتل النّاس وارتكاب أبشع الجرائم تحت عناوين إسلاميّةٍ تحريفاً لما أنزله الله تعالى، صحيحٌ أنّ القرآن الكريم لا يُحرَّف؛ لأنّ الله ﷻ قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر]، لكنَّ تفسير القرآن الكريم وانحرافات العقل البشريّ وتآمر المتآمرين على دين الله ﷻ قد يؤدّي إلى تحريف المعنى الذي أراده القرآن الكريم من البشر.

﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾: يعود ضمير ﴿وَدُّواْ﴾ على المنافقين؛ لأنّ الآية التي سبقت كانت: ﴿۞فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْ﴾. ودّوا: أي أرادوا، ودادة القلب محبّةٌ من القلب

لتكون أنت في صفّهم، ويكون المؤمنون في صفّ المشركين الذين يقاتلون ويعتدون على المؤمنين.

﴿فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾: لا يمكن لك عندما تقاتل عدوّك وأنت في ساحة المعركة أن يكون هناك ولايةٌ بينك وبين هذا العدوّ؛ فهذا الإنسان وحتّى المنافق الّذي يدّعي أنّه معك ويُقاتل في صفّ المشركين لا يمكن أن تتولّاه، حتّى لا يُقال: إنّه معك، لكنّه اضطرّ اضطراراً فجاء مع قريش ومع المشركين.

﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: حدّد النّبيّ ﷺ الهجرة في سبيل الله في الحديث الصّحيح: عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّما الأعمال بالنّيّات، وإنّما لامرىءٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوّجها فهجرته إلى ما هاجر إليه**»[1]، الهجرة إلى الله ﷻ؛ أي أن تهجر كلّ ما نهى الله ﷻ عنه، هذا هو المعنى العميق للهجرة، فكما قال ﷺ: «**لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهادٌ ونيّةٌ**»[2]، لا يمكن أن تتولّاهم وتكون بينكم وبينهم ولايةٌ إلّا بعد أن يهاجروا إلى ما أمر الله جلّ وعلا، يهاجروا إليه ﷻ ويبتعدوا عن ما نهى عنه.

---

(١) سنن أبي داود: كتاب الطّلاق، باب فيما عني به الطّلاق والنّيّات، الحديث رقم (٢٢٠١).

(٢) صحيح البخاريّ: كتاب الجهاد والسّير، باب وجوب النّفير وما يجب من الجهاد والنّيّة، الحديث رقم (٢٦٧٠).

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾: فخذوهم واقتلوهم في ساحة القتال، وهنا اعتداءٌ منهم، هل فئة النّبيّ ﷺ (فئة المؤمنين) هي التي بدأت بالقتال؟ هم يردّون على اعتداءٍ، فمن الطّبيعيّ أن يردّوا عليه بالقتال، وليس خذوهم واقتلوهم كما يودّ بعضهم أن يحرّف في تفسير كتاب الله ﷻ، فيقولون إنّ أيّ إنسانٍ مشركٍ أو كافرٍ بما تؤمن به تأخذه وتقتله حيثما تجده، هنا التّحريف في فهم كتاب الله ﷻ، وهنا ساحة الجهل وساحة القصد، ففي ساحة الجهل قد لا يفهم الإنسان معنى هذه الآيات ويبترها من سياقها ويقول: خذوهم واقتلوهم.

(الآية ٩٠) - ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ۝٩٠﴾:

لا تستطيعون من حيث أنتم مؤمنون إلّا أن تقاتلوا المعتدين الّذين اعتدوا عليكم وقاتلوكم، إلّا إذا لجؤوا إلى قومٍ بينكم وبينهم ميثاقٌ، فانظر لاحترام العهود والمواثيق، فالإرهابيّ لا عهد له ولا ميثاق، أمّا في الدّين الإسلاميّ فحتّى المعتدي إذا لجأ إلى قومٍ بينك وبينهم ميثاقٌ فإنّك تقف عن القتال.

﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ﴾: أي: لا نقاتلكم ولا نقاتل قومنا الذين أتينا معهم.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ﴾: هذا الدّليل معقولٌ.

﴿فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾: لم يقوموا بالاعتداء عليكم ولا بقتالكم، ﴿وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾: سلامٌ لا قتالٌ.

﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا﴾: لا يقبل الله ﷻ أن يكون لكم عليهم سبيلٌ، لا لقتلهم ولا لأذيّتهم ولا لأيّ شيءٍ من الاعتداء عليهم، هذه قوانين حربٍ وساحة حربٍ، ولكنّها قوانينٌ عادلةٌ، وسلميّةٌ أيضاً، فإنّها أوّلاً تستثني من يلجؤون إلى من بينكم وبينهم عهودٌ أو مواثيقُ، وتستثني أيضاً من يقول كلمة السّلام ويلقي السّلم، ﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا﴾.

(الآية ٩١) - ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ٩١﴾:

﴿أُرۡكِسُواْ فِيهَا﴾: فشلوا فيها، هؤلاء قومٌ من غطفان كانوا على مشارف المدينة المنوّرة، يريدون أن يكونوا مع قومهم ويقولون لكم: إنّهم معكم في الوقت ذاته، ﴿فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾ في ساحة القتال والحرب.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا﴾: أولئك الذين يأتون ويقاتلون، وكلّما ردّوا إلى الفتنة فشلوا، ولم يعتزلوكم ولم يلقوا إليكم السّلام، ولم يكفّوا أيديهم؛ أي هم يعتدون عليكم ويقاتلونكم عندئذٍ: ﴿فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا﴾ عندما يقول

القرآن الكريم: ﴿سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا﴾ فالسّلطان هو القوّة، إمّا أن تكون قوّة القتال وإمّا أن تكون قوّة الإقناع، ولم يسمح القرآن الكريم بالقتال إلّا في حالة الاعتداء على المؤمنين، أمّا السّلطان فهو سلطان الحجّة والبرهان والبلاغ، هذا هو السّلطان وهذه هي قوّة الدّين، هي بإقناع النّاس بهذا الدّين وبرسالة الخير للغير من الدّين، ورسالة المحبّة والسّلام والأمن والاطمئنان لكلّ إنسان. يتابع المولى ﷻ مبيّناً خطورة قتل النّفس البشريّة وهذا أمرٌ مهمٌّ، وهذه الآيات تبيّن المعنى بشكلٍ واضحٍ:

(الآية ٩٢) - ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٩٢﴾:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ﴾: لا يمكن أن يكون القتل عن سابق إصرارٍ وقصدٍ على الإطلاق، فعمليّة القتل تكون خطأً، مثلاً: أن يرميَ إنسانٌ حجراً على شجرةٍ فتقع على إنسانٍ آخر فيُقتل، هذا يسمّى القتل الخطأ، أو يدعس أحدهم بالسّيّارة فيُقتل، هذا القتل غير المتعمّد، أو قتل الخطأ.

ستردّ عليّ الآن بأنّ الآية تقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ هل يمكن قتل الكافر قصداً؟ هل هذا هو المعنى؟ لا، لكن عندما يتحدّث القرآن الكريم عن فئة المؤمنين، وهناك قتالٌ مع فئة الكافرين ومشركي مكّة وشبه الجزيرة العربيّة وغيرها، فإنّ القرآن الكريم يعطي مساحةً كافيةً للأحكام الشّرعيّة، أوّلاً يقول القرآن الكريم: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: من الآية ٣٢]، من قتل نفساً لم يقل: مؤمناً، فالحديث هنا من أجل الدّيَة، لا يجوز قتل حتّى الهرّة فكيف بالنّفس البشريّة؟ هنا آيةٌ محكمةٌ، يقول النّبيّ ﷺ: «**فإنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، إلى يوم تلقون ربّكم، ألا هل بلّغت**»[1]، حرمة الدّم والقتل قطعيّةٌ في كتاب الله ﷻ بالنّصِّ القطعيّ الّذي لا اجتهاد فيه ولا تأويل، هنا الحكم من أجل الدّيَة ومن أجل القتل الخطأ. وفئة المؤمنين تتعلّق بهم أحكامٌ شرعيّةٌ، إذا حدث قتلٌ بالخطأ ما هو العمل؟ ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾؛ لأنّ في تحرير الرّقبة مصرفاً لعتق الرّقاب وتحرير العبيد؛ لأنّ العبوديّة كانت موجودةً في ذلك الزّمن، ولا بدّ من إيجاد مصارف من أجل الإنهاء والقضاء عليها تدريجياً، أوّلاً تحرير رقبةٍ مؤمنةٍ، ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ﴾ أي بدلٌ نقديٌّ مادّيٌّ، والدّيَة لها تفاصيلُ بالأحكامِ الفقهيّةِ لسنا بصدد تفصيلِها على آراء العلماء والفقهاء كافّةً.

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الحجّ، باب الخطبة أيّام مِنى، الحديث رقم (١٦٥٤).

﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ﴾: بعض النّاس لا يريدون الدّيَة، اعتبرها الله ﷻ وكأنّها صدقةٌ، لا تأخذ الدّيَة عن الميّت الذي قُتل بشكلٍ خاطئ.

﴿فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾: فإن كان مؤمناً مع قومٍ هم الأعداء الذين يقاتلوكم، وقُتل بالخطأ، فتحرير رقبةٍ مؤمنةٍ من دون ديَة.

﴿وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾: في حال وجود اتّفاقٍ، سواء أكانوا مسلمين أم لا، المهمّ يوجد اتّفاقيّات تعاون وعهود ومواثيق، ولا يقاتلونكم.

﴿تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: تكفيرٌ عن الخطأ.

(الآية ٩٣) - ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ٩٣﴾:

القتل المتعمّد جزاؤه جهنم، وهذا تشديدٌ وتغليظٌ هائلٌ في العقوبة الأخرويّة، والجزاء لمن يقتل بشكلٍ متعمّدٍ، لماذا قال هنا: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا﴾؟ إن كان هناك قتالٌ فالأمر يختلف ما بين ساحة القتال وما بين السّاحة العاديّة، لكن لنرَ تتابع الآيات حتّى لا نقطع الآيات من سياقها ونأخذ آيةً ونقول: إنّ القرآن الكريم يقول كذا، أو يُحرّض على القتل، والقرآن يقول: ﴿مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ [المائدة: من الآية ٣٢]، لم يعدّ قتلك شخصاً نفساً واحدةً، وإنّما كأنّك قتلت البشريّة جمعاء، وهذا غير موجودٍ في أيّ تشريعٍ آخر.

(الآية ٩٤) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾﴾:

﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: إن كان في تجارةٍ أو عملٍ أو جهادٍ.

﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾: وفي قراءة أخرى (فتثبّتوا).

﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾: لا يجوز لك أن تقول عن أيّ إنسانٍ: إنّه ليس مؤمناً إذا ألقى إليك السّلام، هل هناك تشريعٌ في الأمم المتّحدة، أو حقوق الإنسان، أو في كلّ الدّول التي تدّعي محبّة السّلام، ما يحضّ على السّلام أكثر وأعظم من هذه الآية؟!

﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: من أجل مغانم.

وهذه الآية من أعظم الآيات التي نتشبّث بها لنثبت لكلّ العالم بأنّنا ندعو إلى السّلام، وأنّ الإسلام لا يمكن أن يكون إلّا مصدر ومنبع خيرٍ للبشريّة، ولكلّ الموجودات في الحياة من إنسانٍ ونباتٍ وحيوانٍ وجمادٍ.

﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾: وردت كلمة (تبيّنوا) في هذه الآية مرّتين حتّى يمتنع من التّسرّع في الحكم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾: وكثرة العلم تؤدّي إلى الخبرة، والله ﷻ عليمٌ وخبيرٌ يعلم القصد والنّيّة، قال رسول الله ﷺ: «إنّما

الأعمال بالنّيات، وإنّما لكلّ امرىء ما نوى»[1].

(الآية ٩٥) - ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾:

نتابع الآياتِ التي تتعلّق بساحات المعارك ما بين فئة المؤمنين؛ الرّسول عليه الصّلاة والسّلام والصّحابة، وبين مشركي مكّة، وما جرى بينهم من جولاتٍ في غزوة بدرٍ أو أُحُدٍ أو الخندق وبقيّة المعارك، وما يتعلّق بهجرة النّبيّ ﷺ من مكّة إلى المدينة، وبعدها فتح مكّة.

وكلمة الجهاد أثير حولها الكثير من الشّكوك والشّبهات لدى أعداء الإسلام، الّذين أرادوا أن يزرعوا كلّ فتنةٍ وقتلٍ وإرهابٍ في ثنايا وتعاليم الدّين الإسلاميّ، هذا الكلام غير صحيحٍ، فالجهاد هو: بذل الجهد. يقول تبارك وتعالى: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان: من الآية ٥٢]؛ أي بكلام الله ﷻ، بالقرآن الكريم، ولا يُقصَد دائماً بالجهاد الجهاد القتاليّ، فالجهاد القتاليّ هو دفاعٌ عن الوطن والأرض والعرض، وليس اعتداءً على الآخرين أو إرغاماً لهم على عقيدة الإسلام.

﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾: الإسلام ليس كلمةً تُقال، ولا شعاراً يُطلق، وليس عظةً أو عبرةً

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، الحديث رقم (١).

تقال، وإنّما هو عملٌ وجهدٌ وجهادٌ وبذلٌ، وليس الجهاد القتال فقط إنّما هو بذل أقصى الجهد في سبيل الخير وزرع الرّحمة بين النّاس.

﴿غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾: الضّرر؛ الّذي يفسد الشّيء، كالمرض مثلاً يفسد الصّحّة. لا يستوي القاعد مع المجاهد في سبيل الله ﷻ إن كان بالمال أو النّفس.

﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾: أكّد أنّ هذه الدّرجة هي أجرٌ عظيمٌ لمن يبذل نفسه في سبيل وطنه، للشّهداء الّذين ضحّوا ودافعوا عن الوطن وعن كرامته ووحدة ترابه فهذه الأمور لا يمكن أن تقاس بالدّرجة ذاتها، وعندما تعلو نقول: درجاتٍ وعندما تنخفض نقول: دركاتٍ، وفي اللّغة العربيّة والتّعبير القرآنيّ تحديداً، يجب علينا أن نبيّن أمراً مهمّاً وهو أنّ النّاس أخذت عُرفاً بأنّ المتكلّم عن الإسلام والقرآن وسنّة الرّسول ﷺ يتكلّم دائماً في مجال العبرة والعظة والوعظ والإرشاد، كلّه جيّدٌ، لكنّه كلامٌ، والله ﷻ لا يريد كلاماً من دون أفعالٍ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢﴾ [الصّفّ]، جزءٌ يسيرٌ من الإسلام هو أن تعرّف وتعظ النّاس، والجزء الأكبر هو أن تفعل الخير حتّى يرى النّاس أثر الإسلام عليك وعلى سلوكك، لذلك قال ﷻ: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ۝٢١﴾ [الأحزاب]، الأسوة السّلوكيّة هي الأساس.

ففي الدّرجات لا يستوي القاعد مع المجاهد، إن كان بماله أو نفسه، أو الإنسان الذي يبذل الجهد في العلم، أو العمل، أو التّقنيّة، أو في مصلحةٍ

تحمل الخير للنّاس، أو في بناء المجتمع، لا يمكن أن تكون الدّرجة واحدة.

(الآية ٩٦) - ﴿دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾:

هذه الدّرجات هي من الله ﷻ ارتقاءٌ في الآخرة؛ لأنّها مغفرةٌ ورحمةٌ.

المغفرة: أن يغفر الله ﷻ الذّنوب. والرّحمة: أنّ الله ﷻ لا يعامل الإنسان بالعدل، وإنّما بالفضل، والرّحمة هي أوسع ما يكون، لذلك يصف الله ﷻ ذاته العليّة بالرّحمن الرّحيم، وتبدأ كلّ سورةٍ في القرآن الكريم بـ بسم الله الرّحمن الرّحيم، وليس القويّ العزيز، أو التّواب الحكيم، أو العليم العزيز.

(الآية ٩٧) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: من الذي يتوفّى؟ ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزّمر: من الآية ٤٢]، ولكن مرّةً يقول الله تعالى: ﴿*قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السّجدة]، ومرّةً يقول: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾ [الزّمر: من الآية ٤٢]، ومرّةً أخرى تأتي هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، الله ﷻ هو الّذي يعطي الأمر وبيده الأجل، فهو الّذي يتوفّى الأنفس، وقد وكّل ملك الموت بذلك، ويساعده الملائكة الّذين يقومون بقبض الأرواح.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ﴾: توفّيت أي قبضت، يقول الإنسان: توفّيت دَيني، أي قبضته مستوفياً.

﴿ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ﴾: الإنسان قد يظلم غيره ويظلم نفسه، وظلم النّاس هو أشدّ الظّلمات على الإنسان، ففي الحديث القدسيّ: «**يا عبادي إنّي حرّمت الظّلم على نفسي وجعلته بينكم محرّماً فلا تظالموا**»[1]، ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله ﷻ حجابٌ، قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا تردّ دعوتهم؛ الصّائم حتّى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السّماء، ويقول الربّ: وعزّتي لأنصرنّك ولو بعد حين**»[2]، لكنّ الإنسان الّذي يظلم نفسه هو الّذي يقدّم شهوةً عاجلةً على نعيمٍ دائمٍ، مثلاً: يقرّر إنسانٌ أن يزني أو يسرق، فهو يقدّم شهوةً، وهذه الشّهوة تعقبها ندامة وحسرة وعقاب في الآخرة، فأنت ظلمت نفسك ولم تعطِ نفسك؛ لأنّك حرمتها من نعيمٍ مقيمٍ ودائمٍ إلى فترةٍ بسيطةٍ وقليلةٍ من المتعة أو الشّهوة.

﴿قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾: هنا ورد موضوع الهجرة، الهجرة أوّلاً: بدأت من مكّة إلى الحبشة، وثانياً: من مكّة إلى المدينة المنوّرة، وسبب الهجرة الحقيقيّ هو تعرّض المسلمين في مكّة إلى أشدّ أنواع التّنكيل والعذاب والقسوة والإرهاب والقهر، حتّى كانوا يُسحلون على رمال الصّحراء، (سيّدنا بلال، والسيّدة سميّة، وسيّدنا عمّار بن ياسر، وغيرهم من الصّحابة الكرام ﷺ)، وحوصر النّبيّ ﷺ في شعب عمّه أبي طالب، وقُطع

(١) صحيح مسلم: كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب تحريم الظّلم، الحديث رقم (٢٥٧٧).

(٢) سنن التّرمذيّ: كتاب الدّعوات، باب في العفو والعافية، الحديث رقم (٣٥٩٨).

عنه الماء والطّعام، فأُذن للمؤمنين والمسلمين أن يهاجروا، ولم يؤذن لهم أن يقاتلوا، فكيف يقولون: إنّ هذا الدّين هو دين السّيف، إلى من كانت الهجرة؟ أمر النّبيّ ﷺ أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، وأعطى العلّة في ذلك فقال ﷺ: «**لو خرجتم إلى أرضِ الحبشة، فإنّ بها مَلِكاً لا يُظلَمُ عنده أحدٌ**»[1]، هو النّجاشيّ، وكان نصرانيّاً، فأوّل مَن لجأ إليه المسلمون عندما حوصروا ملك الحبشة النّجاشيّ، الّذي رحّب بهم وحماهم من بطش قريش ومشركي العرب في ذلك الوقت.

كانت الهجرة الأولى إلى الحبشة، والهجرة الثّانية إلى المدينة المنوّرة، وكان الانتقال الحضاريّ، حيث بدأ المجتمع والحضارة الإسلاميّة يتكوّنان نتيجة الهجرة من مكّة إلى المدينة المنوّرة، وكان النّبيّ ﷺ يضع القواعد والأسس العامّة لبناء المجتمع المتكاتف المتضامن الموحّد، الّذي لا يعتريه المرض، فلا طائفيّةَ ولا عرقيّةَ ولا نزعاتٍ دينيّة، فجعل عليه الصّلاة والسّلام وثيقة المدينة المعروفة، وكان اليهود والمشركون وأهل الكتاب في المدينة المنوّرة، يداً واحدةً على من سواهم، لكنّ اليهود هم الّذين غدروا ونقضوا المواثيق والعهود.

الهجرة كانت مطلوبةً في ذلك الوقت، والمقصود بقوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾ الذين خافوا ورفضوا أن يهاجروا حفاظاً على أموالهم، فأولئك: ﴿مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾.

---

(١) الرّوض الأنف: ج٢، ص ٩٠.

(الآية ٩٨) - ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾﴾:

وهذا استثناءٌ ممّا سبق، الذين ليس لهم طريقٌ للهجرة إلى المدينة المنوّرة أو إلى الحبشة، هم من المستضعفين إمّا الرّجال الكبار في السّنّ، أو المرضى، أو النّساء، أو الولدان الصّغار.

(الآية ٩٩) - ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾:

الإنسان عندما يقول: عسى أن أفعل ذلك، أي قد أفعل وقد لا أفعل، لكن عند القول: عسى الله ﷻ أو لعلّ الله ﷻ فعسى أو لعلّ بالنّسبة لله ﷻ تعني أنّ الأمر سيتحقّق، فالله ﷻ يعفو ويغفر، بسبب ضعفهم الّذي منعهم من الهجرة مع المسلمين إلى الحبشة أو المدينة المنوّرة.

(الآية ١٠٠) - ﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾:

المُـرَاغَمُ: مذهبٌ ومهربٌ وملجأٌ، أي موضعٌ يُذهب إليه للإقامة؛ مكانٌ لهجرته يكون فيه متّسع ممّا يكون فيه من ضيق.

﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾: أمر الله ﷻ بالهجرة، وهي معلَمٌ أساسيٌّ من معالم الإسلام، فالتّأريخ الإسلاميّ يبدأ مع الهجرة، لكن هل الهجرة بعد الفتح هي الهجرة ذاتها قبل الفتح؟ هل معنى الهجرة عندما أُمر النّبيّ ﷺ أن يُهاجِر من مكّة إلى المدينة

المنوّرة، وخرج في ذلك اليوم متخفيّاً في جُنح الظّلام مع الصّدّيق ﷺ، وبات الإمام عليّ كرّم الله وجهه في فراشه ليفتديه، وذهب إلى غار ثور حيث نسج العنكبوت وباض الحمام؟ هل هذه الهجرة التي يتحدّث القرآن الكريم عنها؟ هل هي باقيةٌ بعد أن هاجر النّبيّ ﷺ؟ لا، حدّد النّبيّ ﷺ: «**لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهادٌ ونيّةٌ**»[1]، معنى جهاد أي بذل الجهد في سبيل الحضارة، وفي سبيل التّقدّم، وفي سبيل نشر رواق الرّحمة والعلم بين شعوب الأرض، لاحظوا البُعد الحضاريّ الّذي يجب علينا أن نتمسّك به دائماً، ولنعلّم النّاس الإسلام كما أنزله الله ﷻ بعيداً عن إسقاطات وانحرافات البشر، وعن اعتقادات أعداء سيّد البشر ﷺ، والأمراض التي يتوهّمها الآخرون، يقول النّبيّ ﷺ: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ، وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ**»[2].

تعريف المسلم: هو الّذي يشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله، ويقيم الصّلاة، ويؤتي الزّكاة، ويصوم رمضان، ويحجّ البيت إن استطاع إليه سبيلاً. أمّا تعريف المؤمن: فهو الّذي يؤمن بالله ﷻ وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشرّه.

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الجهاد والسّير، باب وجوب النّفير وما يجب من الجهاد والنّيّة، الحديث رقم (٢٦٧٠).

(٢) مسند البزّار: المجلّد الثّاني، مسند فضالة بن عبيد، الحديث رقم (٣٧٥٢).

والمهاجر: هو من هاجر من مكّة إلى المدينة المنوّرة، أو الّذي ينتقل من مكان إقامته إلى مكانٍ آخر كما انتقل المسلمون من مكّة إلى الحبشة، أو من مكّة إلى المدينة المنوّرة، لكنّ النّبيّ ﷺ أعطى البُعد الحضاريّ والمطلوب الّذي يحقّقه الإسلام والإيمان والهجرة، فالإسلام يحقّق السّلام والأمن والاطمئنان للنّاس، وأن يسلم النّاس من شرّك، «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**»، فلا يجوز أن تكذب، أو تغتاب، أو تنمّ على أحدٍ، ولا أن تؤذي بلسانك، وكذلك الفعل بالنّسبة لليد من سرقةٍ وزنا وغير ذلك... فالمقصود باللّسان القول، وباليد الفعل. والمؤمن صحيحٌ أنّه مَن آمن بالله ﷻ، ولكنّه أيضاً مَن يأمنه النّاس على أموالهم وأعراضهم، فكيف على دمائهم؟ وكيف على وجودهم؟ وكيف على مستقبلهم؟ وكيف على حاضرهم؟ وكيف على وطنهم؟ هذا تعريف الإسلام والإيمان، وكذلك تعريف الهجرة بعد الفتح: أن يهجر الإنسان ما نهى الله ﷻ عنه، لذلك كانت الهجرة بمعانيها الحضاريّة، وبمفهومها وامتدادها وبُعدها، ليس فقط العمق في الزّمن، بل العمق في الفكر، لذلك كان ملك عُمان يقول عن النّبي ﷺ: إنّه ما رأى مثله، كان إذا أمر أصحابه بشيء كان أوّل آخذٍ به، وإذا نهاهم عن شيء كان أوّل منتهٍ عنه، إذاً المعوّل على الأفعال وليس الأقوال، وعلّة دعاة الدّين الآن هي كثرة الأقوال والمواعظ وإطالة الخطب والإقلال من ترجمة الأقوال إلى أعمالٍ، هذه الأعمال هي التي تعطي الإسلام جوهره، وهي التي جعلت المسلمين في قمّة الحضارة البشريّة، فكان

الإنسان يعلم أنّه إذا نفّس كربةً عن مؤمنٍ نفّس الله ﷻ عنه كربةً من كُربات يوم القيامة، وإذا مشى في حاجة أخيه كان خيراً له من اعتكافٍ في مسجد النّبيّ ﷺ أربعين يوماً، كان المفهوم الإسلاميّ مفهوم الخيريّة والرّحمة والمحبّة والتّوادّ والتّعاضد، يختلف تماماً عن المفهوم بعد مرور هذا الزّمن أكثر من ألفٍ وأربعمئة عامٍ على الإسلام، يقول النّبيّ ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسّهر والحمّى**»[1]، هذه القيم والفضائل الأخلاقيّة التي زرعها النّبيّ ﷺ في نفوس الصّحابة والمسلمين ترجمةً لما جاء في كتاب الله، ولما أمره به ﷻ من دعوة الخير للغير، هي التي أوصلت وجعلت الحضارة والأمن والاطمئنان والسّلام عبر الزّمان منذ دعوة النّبيّ محمّد ﷺ. فعندما هاجر النّبيّ ﷺ من مكّة إلى المدينة المنوّرة، هذا الانتقال لم يكن المقصود فيه الانتقال الجغرافيّ ولا الزّمانيّ ولا المكانيّ، وإنّما هو نقلةٌ حضاريّةٌ، فبماذا نحن مطالبون اليوم؟ نحن بحاجةٍ للاستفادة من العظات والعبر والدّروس التي تركتها هجرة النّبيّ ﷺ، والتي دفعت بسيّدنا عمر بن الخطّاب ﷺ أن يعلن تاريخ الهجرة هو مبدأ التّأريخ الإسلاميّ، هذه هي الدّروس والعبر التي نحتاجها اليوم حتّى نكون أمناء على دين الإسلام، وحتّى نستطيع أن نعطي الصّورة المشرقة، ويجب علينا أن نرتفع لمستوى الإسلام وليس أن نجذب

(١) صحيح مسلم: كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، الحديث رقم (٢٥٨٦).

الإسلام إلى مستوى التّخلّف، فلا يمكن لمتخلّفٍ عقليّاً أو حضاريّاً أو علميّاً إعطاء صورةٍ مشرقةٍ عن هذا الدّين العظيم، فالّذي يعطي صورةً مشرقةً عن هذا الدّين العظيم، والّذي يطبّق الإسلام والقرآن الكريم وسنّة النّبيّ ﷺ، يجب أن يكون هو مصدر العلم والخير والحضارة للبشريّة.

وعندما نفسّر كتاب الله ﷻ ونتدبّره يجب أن نرفع من مستوى عقولنا -وخصوصاً الدّعاة الذين يعملون في الحقل الدّينيّ- إلى مستوى عطاء كتاب الله ﷻ، حتّى نستمدّ الإشراقات والأنوار، وحتّى نصل بالعلم والمعرفة والحضارة والفكر إلى قمّة البشريّة.

(الآية ١٠١) - ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿١٠١﴾﴾:

بعد هذه الآية هناك آيةٌ أخرى تتعلّق بصلاة القصر والخوف، ومن الملاحظ في هذه الآيات تكرار كلمة الصّلاة أكثر من ستّ مرّات، هذا نسمّيه باللّغة الإطناب، وهو دليلٌ على أهميّة الصّلاة.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾: صلاة القصر في السّفر وفي الخوف؛ أي صلاتان في هذه الآية.

لنأتي إلى الصّلاة، لماذا فيها صلاة خوفٍ وصلاة قصرٍ في السّفر، وما هي أهمّيتها حتّى كرّر المولى ﷻ كلمة الصّلاة أكثر من ستّ مرّاتٍ في هذه الآية والتي تليها؟ الصّلاة هي ركنٌ من أركان الإسلام الخمسة، وهي ليست فقط ركنٌ من أركان الإسلام، إنّما هي عماد الدّين، من أقامها فقد أقام

الدّين، ومن هدمها فقد هدم الدّين، وكان النّبيّ ﷺ إذا فزع أو أحزبه أمرٌ أو اهتمّ أو اغتمّ يقول: «**يا بلال، أقم الصّلاة، أرحنا بها**»[1]، كلّ أركان الإسلام باستثناء الشّهادتين يمكن أن تكون هناك حالاتٌ تسقط فيها عن الإنسان باستثناء الصّلاة، إن لم تستطع الصّلاة قائماً تصلّي قاعداً، وإن لم تستطع قاعداً تصلّي مضجعاً، وإن لم تستطع مضجعاً فمستلقياً حتّى أن يُخطر الإنسان أركان الصّلاة في ذهنه فلا تسقط عنه الصّلاة، والسّبب في ذلك أنّ الصّلاة هي صلةٌ مع الخالق ﷻ، وأخلاقٌ مع الخَلْق، فإن لم تحقّق المعادلة بطرفيها فأنت لم تُقمِ الصّلاة، وإنّما تكون قد أدّيت الصّلاة أو أنّك ركعت وسجدت فقط، فالصّلاة لها جانبان؛ الجانب الأوّل: الصّلة مع الخالق ﷻ، والجانب الثّاني: هو الأخلاق مع الخلق، فإذا باشر الإنسان صلاته ولم يستشعر عظمة من يقف بين يديه لم يُحقِّق الصّلة، وتعريف الصّلاة في اللّغة الدّعاء، وطالما أنّها لا تسقط فالطّريقة التي فرض بها الله ﷻ الصّلاةَ على المسلمين كانت مختلفةً عن بقيّة الأركانِ، في العادة يأتي سيّدنا جبريل عليه السلام ويبلّغ النّبيّ ﷺ بالأمر الإلهيّ، وهكذا كان بالنّسبة لكلّ الأركان باستثناء الصّلاة، فقد استدعى الله ﷻ النّبيّ ﷺ إلى حضرته الشّريفة وكلّفه بالصّلاة مباشرةً من دون واسطة جبريل عليه السلام، كي تكون رسالةً للمصلّين بأنّ الإنسان عندما يصلّي يقف بين يديّ الله ﷻ، لذلك جزءٌ من الصّلاة ما جرى في ذلك الموقف العظيم عندما عُرِج بالنّبيّ ﷺ

(١) سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة، الحديث رقم (٤٩٨٥).

فأصبح عند سدرة المنتهى، وغشيته الأنوار الإلهيّة فقال: «**التّحيات لله والصّلوات والطّيّبات**»، فأجاب الله ﷻ: «**السّلام عليك أيّها النّبيّ ورحمة الله وبركاته**»، فأجابت الملائكة: «**السّلام علينا وعلى عباد الله الصّالحين، نشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله**»، وهذه جزءٌ من الصّلاة، إذاً مكانة الصّلاة كبرى للصّلة وللإصلاح، وهي لا تسقط عن المؤمن، إضافةً إلى ذلك عندما تريد أن تؤدّي الصّلاة وتقوم بها فلها شروطٌ حتّى تصحّ، فإن أردت الصّلاة يجب عليك أن تستحضر عظمة الوقوف بين يديّ الله ﷻ، ولا بدّ أن تكون طاهراً فتتوضّأ، وتستر العورة، وتستقبل القبلة، وأن تبدأ بتكبيرة الإحرام، وتقرأ من القرآن الكريم، ولا بدّ أن تركع تعظيماً لله ﷻ، وأن تسجد بين يديه ﷻ كما فعل النّبيّ ﷺ في سدرة المنتهى، ولا بدّ من أن تقول: التّحيّات التي قالها النّبيّ ﷺ في ذلك اللّقاء العظيم مع ربّه ﷻ، كلّ ما يتعلّق بشروط صحّة الصّلاة وواجباتها وأركانها وسننها هي فقط سببٌ لاستحضار عظمة الله ﷻ؛ لأنّك تتصل به، وقد جعلها الله ﷻ بين يديك، فمتى تريد أن تلقى الله ﷻ فعليك القيام بهذه الأمور؛ تتوضّأ وتستقبل القبلة وتستر العورة وتبدأ بتكبيرة الإحرام وتقرأ من القرآن وتركع وتسجد وتتشّهد فأنت أصبحت بين يديه ﷻ، قال ﷻ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون]، خاشعون؛ لأنّهم مستحضرون لعظمة من يقفون ببابه وعلى أعتابه، فهذا هو الجزء الأوّل، وهو الصّلة مع الله ﷻ، وإذا أحسنت الصّلة أثناء الصّلاة فستُدرك

أنّ الصّلاة راحةٌ لك، كما قال ﷺ: «**يا بلال، أقم الصّلاة، أرحنا بها**»[1]، بينما النّاس الآن نتيجة هذه الحياة وأكدارها ومشكلاتها أصبحوا يستعجلون في الصّلاة، ويقفون فيها وأذهانهم خارجها، فلا يستحضرون عظمة الخالق، ولا يحقّقون الصّلة معه، ففقدوا بذلك عطاء الصّلاة وقوّتها ورحمتها، والمولى تبارك وتعالى يقول: استعينوا على حياتكم، وعلى الابتلاءات التي تتعرّضون لها، وعلى كلّ المشكلات بالصّلة بي، فأنا لن أُخيّب ظنّكم: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة]، أمّا أن تذهب إلى الصّلاة وأنت لاهٍ وقلبك غافلٌ فما حقّقت هذه الصّلة، هذا طرف المعادلة الأوّل، أمّا طرف المعادلة الثّاني فهو الأخلاق مع الخَلْق، فإذا لم تؤدّ الصّلاة بعد أن اتّصلت به إلى الاستقامة فإنّك لم تؤدّ الصّلاة، ففي كلّ صلاةٍ لا تستطيع أن تصلّي إلّا وأن تقول: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة].

كيف تحقّق الصّلاة الاستقامة؟ أثر الصّلاة مع بقيّة البشر، فإن كنت أصلّي وأغتاب فأنا أُسيء للنّاس، أصلّي وأكذب أسيء للنّاس، أصلّي وأسرق أسيء للنّاس، أصلّي وأزني أعتدي على أعراض النّاس، أصلّي وأنمّ أسيء للنّاس، أصلّي وأؤذي إلى جيراني أسيء للنّاس، أصلّي وأفعل الموبقات أسيء للنّاس، أصلّي ولا أميط الأذى عن الطّرقات أسيء للنّاس، أصلّي ولا أعطي الخير للغير أسيء للنّاس، لذلك قال النّبيّ ﷺ: «**من لم تنهه صلاته**

(١) سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة، الحديث رقم (٤٩٨٥).

عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلّا بُعداً»[1]، الفحشاء والمنكر هي عناوين لكلّ فسادٍ أخلاقيّ، الصّلاة هي صلةٌ وأخلاقٌ مع الخلق.

والصّلاة هي الوحيدة بين الأركان الإسلاميّة الخمسة التي تحوي كلّ أركان الإسلام، ففي الصّلاة تتشهّد فأنت حققّت الرّكن الأوّل، وفيها تأخذ جزءاً من الحجّ فتتّجه إلى الكعبة، وأنت فيها صائمٌ؛ لأنّه يفسدها الأكل أو الشّرب، ولست صائماً عن الطّعام والشّراب فقط؛ وإنّما عن الكلام مع الآخرين أيضاً، وفي الصّلاة زكاةٌ؛ لأنّ الزّكاة هي اقتطاعُ جزءٍ من المال، وأصل المال العمل، وأصل العمل جزءٌ من وقتك تحدّده للعمل، وأنت قد اقتطعت جزءاً من الوقت لتؤدّي فيه الصّلاة، فأنت إذاً تزكّي في الصّلاة.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: سافرتم، أو سرتم، الضّرب: أي السّير بقوّةٍ، يمكن أن يكون جهاداً أو سفراً.

﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾: جناحٌ: تضييقٌ.

﴿أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾: صلاةُ القصرِ.

﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾: هناك تفصيلٌ بكلّ المذاهب الإسلاميّة بالنّسبة لموضوع القصر، والقصر يكون لصلاة الظّهر والعصر والعشاء، أمّا صلاة المغرب فلا تُقصَر، فلا يصحّ أن تكون ركعةً ونصف، وصلاة الفجر لا تُقصَر؛ لأنّه لا يصحّ أن تكون ركعةً.

﴿أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يقتلونكم أو يضربونكم أثناء الجهاد.

---

(١) المعجم الكبير للطّبرانيّ: باب العين، أحاديث عبد الله بن العبّاس، الحديث رقم (١١٠٤٧).

(الآية ١٠٢) - ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ ۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾:

هذه صلاة الخوف، فإن كنتم بالمعركة وأمامكم الأعداء، فليصلِّ قسمٌ معك ومعهم أسلحتهم.

﴿فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ﴾: من وراء هذا الصّفّ هناك صفٌّ لا يصلّي.

﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ﴾: فقالوا -على اختلافٍ بالرّواية كيف تتمّ-: إنّ النّبيّ ﷺ يصلّي إماماً، ويصلّي الصّفّ الأوّل معه، والصّفّ الثّاني يرقُب الأعداء من أجل ألّا يميلوا ميلةً واحدةً عليهم، فعندما تنتهي الرّكعة الأولى يقوم القسم الثّاني بالرّكعة الثّانية فيكون القسم الأوّل حضر من صلاة النّبيّ ﷺ تكبيرة الإحرام، ويكون القسم الثّاني حضر الصّلاة، فيأخذون عظمة ما في هذه الصّلاة، وخصوصاً أنّهم صلّوا وراء النّبيّ ﷺ.

هناك تعدّدٌ في الطّريقة ثلاثُ طرقٍ أو أربعة موجودة بالنّسبة لصلاة الخوف.

لكن السّؤال هنا لماذا يأخذون أسلحتهم؟ هل تخلّى الله ﷻ عنهم وهو القائل: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ﴾ [آل عمران: من الآية ١٦٠]، ورسول الله ﷺ يصلّي إماماً فيهم، ومع ذلك قال جلّ وعلا: ﴿وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡ﴾، والله ﷻ موجودٌ فلماذا يأخذون حذرهم وأسلحتهم؟ الجواب: أنّ الله ﷻ وضع في هذا الكون سننه في خلقه، وجعل لهذه الحياة أسباباً، ورتّب الأسباب على الأقدار، فإذا تخلّفت عن السّبب فلا تقل: قدري هكذا، أنت لا تعرف قدرك، مثلاً سيّارةٌ تسير بسرعةٍ فرميت بنفسك أمامها فدعستك، السّبب أنّك ألقيت بنفسك أمام السّيّارة المسرعة فقتلتك، لكن مكتوبٌ في القدر أنّك ستموت لأجلك، وليس السّبب هو الّذي أنهى حياتك، ذلك أنّ الله ﷻ يرتّب الأسباب، ويُطالب الإنسان بالأسباب، ولا يُكلّف أحداً بالقدر، فهو من اختصاص الله ﷻ، ولا تستطيع أن تصل إلى معرفته، لكنّه ربط الأسباب بالمسبّبات وقال لك: خذ بالأسباب في الحياة، بدليل أنّه ﷻ يقول لهم في صلاة الخوف ومعهم النّبيّ ﷺ: خذوا أسلحتكم وحذركم، حتّى يعلّم النّاس ألّا يغفلوا عن الأسباب التي خلقها وأراد منّا أن نلتزم بها، لماذا لا تقول: يا ربّ أنا عطشان وتكتفي بذلك؟ لماذا تجلب الماء وتضعه في الكوب وتأخذ الكوب وتشرب؟! ألم نأخذ بالأسباب؟! لماذا نأخذ بالأسباب بهذه الأمور ولا نقول: قدر؟!

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ﴾: أمرك الله ﷻ أن تأخذ بالأسباب، ورخّص لك الأمر.

(الآية ١٠٣) - ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾:

الآية السّابقة يوجد فيها قصرٌ بالسّفر، وفيها قصرٌ بصلاة الخوف، والّذي يريد تفاصيل القصر في صلاة السّفر على تعدّد المذاهب فهي موجودةٌ في كتب الفقه، لكن المعنى العامّ أنّ الإنسان عندما يسافر يستطيع القصر من صلاة الظّهر والعصر والعشاء، وصلاة الخوف هي أيضاً صلاة قصرٍ، فهي ركعتان مع النّبيّ ﷺ بالشّكل المذكور بالآية الكريمة، أن يؤدّوا ويأخذوا بالأسباب والحذر، فإذا قضيتم الصّلاة وأنتم بحالة القلق أو الخوف، فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم.

﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: ألم يكونوا يقيمون الصّلاة؟ كانت هذه صلاة القصر، هنا ذكر العامّ وهو يقصد الخاصّ، قال: صلاةً وهو يقصد صلاة القصر، فنتيجة الخوف والقلق إمّا من قطّاع طرقٍ أو مشركين أو من قتالٍ فدائماً وبكلّ الأحوال كونوا على اتّصالٍ مع الله ﷻ بالذّكر؛ لأنّكم لا تستطيعون تأديّة الصّلاة بشكلها الكامل.

﴿قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ في أيّة حالٍ من الأحوال، وهو أمرٌ عامٌّ لكلّ المسلمين، وإن كان هنا خاصٌّ فيما يتعلّق بصلاة القصر.

الذّكر هو ضدّ النّسيان؛ أي اذكروا الله ﷻ في كلّ حالةٍ من حالاتكم، واجعلوا ذكره ﷻ عمدةً بالنّسبة لكم.

فإذا انتهى الخوف أو السّفر، فأقيموا الصّلاة؛ لأنّ الصّلاة كتابٌ مفروضٌ موقوتٌ لزمنٍ معيّنٍ وبأزمنةٍ معيّنةٍ، فلا يمكن أن تصلّي الظّهر والعصر معاً.

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾: إعلان ولاءٍ واستدامة ولاءٍ لله ﷻ خمس مرّات في اليوم، فجرٌ وظهرٌ وعصرٌ ومغربٌ وعشاءٌ، في وقتها وبتمامها وكمالها.

(الآية ١٠٤) - ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٠٤﴾:

﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ﴾: لا تضعفوا في مواجهة أعدائكم، فهناك معادلة: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ﴾، لكن في طرف المعادلة من جانبكم: ﴿وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ﴾ هذه هي المعادلة الإيمانيّة العظيمة، ساوى الله ﷻ بين النّاس بالنّسبة للأسباب، فإذا أخذت بأسباب الله ﷻ حقّقت النّتائج المطلوبة؛ لذلك لا بدّ من تطبيق قوله ﷻ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ [الأنفال: من الآية ٦٠]، ترهبون ليس المقصود بالإرهاب الّذي يقولون عنه، وإنّما هو منع الاعتداءِ، وهو توازنٌ استراتيجيٌّ، توازن القوّة، ولا بدّ للحقّ من قوّةٍ تحميه، وأيّ دولةٍ من الدّول لا بدّ من أن تكون لها قوّةٌ حتّى تحمي الوطن من أيّ اعتداءٍ يحصل عليه، المعادلة هنا تساوي النّاس بشكلٍ

عامٍّ في الألم والمشقّة والابتلاء والمصائب، بغضّ النّظر عن ساحة المعارك والقتال، صحيحٌ أنّ هناك خصوصيّة سببٍ بالنّسبة للمواجهة بين رسول الله وبين ومشركي مكّة في معركة بدر وأُحُد والخندق وغيرها، لكن هنا خصوصيّة اللّفظ وعموميّة المعنى، المعادلة: ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾، لكن الفارق بين المؤمن وغير المؤمن أنّه يرجو من الله ﷻ، لنضرب مثالاً على ذلك فيما يتعلّق بأمور الحياة بالنّسبة للمصائب؛ لو أنّنا أمام شخصٍ غير مؤمنٍ تعرّض لابتلاءٍ شديدٍ بفقد صحّته، أو أحبّ النّاس إليه، بالموت أو المرض أو المال أو أيّ شيءٍ من الأشياء، كيفيّة المعادلة هنا في مواجهة هذه المصائب، المصائب تصيب الجميع: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [البقرة]، والإنسان موجودٌ في الحياة الدّنيا من أجل الامتحان والابتلاء والاختبار، قال ﷻ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك]، فلو أنّ الإنسان الّذي تعرّض للمصاب لم يكن مؤمناً فإنّه يتساوى مع الإنسان المؤمن في التّعرّض للمصائب؛ لأنّ المصائب على الجميع، ولا تستثني المؤمن من غير المؤمن، لكنّ الفارق بينهما أنّ المؤمن يرجو من الله ﷻ الأجر والثّواب على هذا الابتلاء، ويعلم أنّه في كلّ أمرٍ يُصاب به فإنّه يُرفع به درجة وتُحطُّ عنه خطيئةٌ، فهو يعلم تماماً معنى هذه الآية: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ﴾، وقد ورد في صحيح مسلم عن السّيّدة عائشة رضي الله عنها أنّ النّبيّ ﷺ

كان يقول: «**ما يصيب المؤمن من شوكةٍ فما فوقها إلّا رفعه الله بها درجة، أو حطّ عنه خطيئة**»[1]، هذا معنى المعادلة: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ﴾، الله ﷻ يعلم أين يكون الإيمان، في الصّبر على الابتلاءات على المحن، وفي مواجهة الشّدائد، فالإنسان الصّابر هو إنسانٌ مؤمنٌ؛ لأنّه يصبر، ويعلم بأنّ هناك أجراً من هذا الصّبر على الابتلاء، ويرجو من الله ﷻ الشّفاء، والرّحمة لميّته، والعوض عليه بماله، دائماً هناك تسليةٌ لقلبِ المؤمن بإيمانه بربّه، فلا تستهن بهذا الفارق بالمعادلة فهو فارقٌ كبيرٌ جدّاً ولا يشعر به إلّا أصحاب الإيمان.

(الآية ١٠٥) - ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥﴾:

هذه الآيات تبيّن أنّ الإنسان الّذي يلتزم بشرع الله ﷻ وبكتابه لا بدّ له من أن يكون عادلاً مع النّاس جميعاً، بغضّ النّظر عن كونهم مؤمنين أم لا، مسلمين أم لا، النّظرة شاملةٌ لكلّ النّاس، بدليل قوله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ﴾: الضّمير المتّصل (نا) يدلّ على الجماعة، وهو يأتي للتّعظيم والتّفخيم، يقول ﷻ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر]، ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ ٤٣﴾ [ق]، ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ

---

(١) صحيح مسلم: كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتّى الشوكة يشاكها، الحديث رقم (٢٥٧٢).

﴿بِٱلۡحَقِّۖ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢﴾ [الزّمر]، ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢﴾ [يوسف]، في كلّ الآيات المتعلّقة بفعلٍ من أفعال الله ﷻ تأتي (نا) الدّالة على الجماعة للتّعظيم، أمّا عندما يتعلّق الأمر بشأنٍ توحيديّ فإنّها تأتي مفردة: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [طه]، لم يقل: إنّني نحن الله؛ لأنّها توحيد لله ﷻ.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ هناك آياتٌ يقول فيها جلّ وعلا: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الزّمر: من الآية ٤١]، ما الفارق بينهما؟

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ بالتّكاليف، و﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ﴾ بالرّحمة والفضل والعطاء، فتنزّل القرآن الكريم إمّا هو تكليف البشر افعل ولا تفعل، هذا حلالٌ وهذا حرامٌ، وإمّا أن يكون فضلاً ورحمةً، قال ﷻ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢﴾ [الإسراء].

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾: الحقّ: هو الشّيء الثّابت الّذي لا يأتي شيءٌ في الكون أو واقعٌ ينقضه، والقرآن الكريم نزل بالحقّ، يقول ﷻ: ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ﴾ [الإسراء: من الآية ١٠٥]، لا يمكن أن يأتي أيّ واقعٍ من وقائع الحياة الدّنيا أو أيّة قضيّةٍ لتناقض ما جاء في كتاب الله ﷻ، هذا هو معنى الحقّ، ولا توجد آيةٌ في القرآن الكريم تتناقض مع أيّ اكتشافٍ علميّ حتّى الآن، فالأمور المكتشفة نجدها في كتاب الله تبارك وتعالى، لكن لم يكن العقل البشريّ يدركها؛ لأنّه لم يكن مستعدّاً في وقتها لتقبّلها.

﴿لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾: لا يمكن أن تحابي مسلماً على غير

مسلمٍ، وأن تفرّق بين مسلمٍ وغير مسلمٍ لا في الحقوق ولا الواجبات، يقول تعالى: ﴿*إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ [النّساء: من الآية ٥٨]، لم يقل: وإذا حكمتم بين المسلمين.

سبب النّزول:

وذلك أنّ رجلاً من الأنصار يُقال له: طعمة بن أُبيرق، أحد بني ظفر ابن الحارث، سرق دِرعاً من جارٍ له يُقال له: قتادة بن النّعمان، وكانت الدّرع في جرابٍ فيه دقيقٌ، فجعل الدّقيق ينتثر من خرقٍ في الجراب، حتّى انتهى إلى الدّار وفيها أثر الدّقيق، ثمّ خبّأها عند رجلٍ من اليهود يُقال له: زيد بن السّمين، فالتمست الدرّع عند طعمة فلم توجد عنده، وحلف لهم: والله ما أخذها وما له بها من علمٍ، فقال أصحاب الدّرع: بلى والله، قد أدلج علينا فأخذها، وطلبنا أثره حتّى دخل داره، فرأينا أثر الدّقيق. فلمّا أن حلف تركوه واتّبعوا أثر الدّقيق حتّى انتهوا إلى منزل اليهوديّ، فأخذوه فقال: دفعها إليّ طعمة بن أُبيرق، وشهد له أناسٌ من اليهود على ذلك، فقالت بنو ظفر –وهم قوم طعمة–: انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ، فكلّموه في ذلك، وسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا: إن لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهوديّ، فهَمّ رسول الله ﷺ أن يفعل ويعاقب اليهوديّ، حتّى أنزل الله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥﴾.

﴿خَصِيمًا﴾: أي لا تخاصم وتجادل وتدافع عمّن كان خائناً للأمانة

بالسّرقة، فلا يمكن اتّهام اليهوديّ وهو بريءٌ وتبرئة المسلم؛ لأنّه مسلمٌ، فهذه ليست المعايير التي يقبلها الإسلام، المعايير التي يقبلها هي القيم والأخلاق والصّدق والأمانة والحقّ والعدل والخير، هذا هو دين الإسلام، فحَكَم النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام بالبراءة لليهوديّ وأدان المسلم طعمة بن أُبيرق من ظُفر، الّذي ذهب إلى مكّة بعد ذلك والتحق بالمشركين، وسقط عليه حائطٌ عندما كان يسرق أحد الدّور، ومات في مكّة المكرمة. والنّبيّ ﷺ لم يكن ليتسامح في الحكم بالعدل بين النّاس، وهذه قضيّةٌ مهمّةٌ لمن يحاول إلصاق تهمة عدم قبول الآخر من قبل المسلمين، ولمن يريد أن يُلصق تهمة الإرهاب وإلغاء الآخر بالمسلمين، ولمن يريد أن يلصق بالإسلام الإجبار وإكراه النّاس على الدّين، فهذه الآيات أكبر دليلٍ، فقد حكم النّبيّ ﷺ على المسلم وبرّأَ اليهوديّ؛ لأنّ الأوامر من الله ﷻ العدل بين النّاس. وتعاليم الإسلام الرّاقية والعظيمة، وقيم العدل والخير والمساواة بين النّاس وعدم التّفريق بينهم على أساس الدّين طُبّقت ليس فقط من قبل النّبيّ ﷺ، وإنّما تعلّمها أصحابه ﷺ وأتباعه، فإذا حدث خللٌ فليس بالتّعليمات والتّعاليم، وإنّما بعدم الاتّباع والاقتداء.

(الآية ١٠٦) - ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٦﴾:

الاستغفار أمرٌ مطلوبٌ من الإنسان في كلّ لحظةٍ، ففي كلّ وقتٍ يمكن أن يرتكب الإنسانُ ذنباً أو إثماً، حتّى تقصيره في عبادته يُعَدّ ذنباً.

ويأتي الأمر للقدوة والأسوة والمعلّم النّبيّ ﷺ حتّى يكون لكلّ أمّته من

بعده: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٦﴾؛ لأنّ الآياتِ التي تليها قال فيها ﷻ: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ﴾، فقد اعترض بعضهم وحاول التّدخّل بحكم النّبيّ ﷺ باتّهامه للمسلم وتبرئة اليهوديّ، وقالوا: هذه سمعةٌ غير جيّدةٍ، فمعنى ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ﴾؛ أي واطلب ممّن قال هذا القول أو فكّر بهذا القول أن يستغفر الله ﷻ؛ لأنّ هذا أمرٌ غير مقبولٍ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾: كان ولا يزال ويبقى؛ لأنّه ﷻ لا تعتريه الأغيار، ولا يتبدّل، كان فعلٌ ماضٍ ينطبق على البشر وليس على ربّ البشر.

(الآية ١٠٧) - ﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ١٠٧﴾:

الجدل: هو الفتل والنّقاش.

﴿يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ﴾: يخونون أنفسهم.

في الآية السّابقة وردت كلمة: الخائنين، أمّا هنا ﴿يَخۡتَانُونَ﴾ أي الّذين يكرّرون الخيانة مرّةً بعد مرّةٍ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا﴾: خوّاناً وليس خائناً؛ لأنّ (خائناً) قد يخون مرّةً ويتوب، أمّا (الخوّان) فهو الّذي يخون باستمرار، واعتاد عدم الأمانة، فأصبحت عنده هيّنةً، فليس من صفات المؤمن ولا المسلم ولا الإنسان المستقيم على الإطلاق، أن يخون الأمانة وأن يجادل في قضيّةٍ فيها

خيانةٌ، هذا الرّجل سرق، وطالما أنّه سرق فقد خان الأمانة والتّعاليم، وبعد ذلك يريد أن يتنصّل من فعلته ويرميها على بريءٍ وإن كان يهوديّاً.

(الآية ١٠٨) - ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾:

المقصود أنّهم يخافون من النّاس أن يقولوا: مسلمٌ سرق واليهوديّ لم يسرق، والأولى أن يخافوا من الله ﷻ.

﴿وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾: التّبييت هو التّدبير بالخفاء، أي ذهب لبيته ليلاً وبيّت أمراً.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾: الله ﷻ محيطٌ وعالمٌ بكلّ الأسرار، فهم اتّفقوا وبيّتوا الأمر ودبّروا بخفاءٍ أن يجعلوا هذا الدّرع ببيت اليهوديّ حتّى يُتّهم اليهوديّ ويُبرّئ المسلم من السّرقة.

(الآية ١٠٩) - ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾﴾:

أتيتم وجادلتم النّبيّ ﷺ وتحاولون إقناعه بألّا يحكم على المسلم ويحكم على اليهوديّ، هذا في الحياة الدّنيا.

﴿فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾: من سيقف يوم القيامة ويجادل عنهم وعمّن كان خوّاناً وآثماً، ومن كان سارقاً ومعتدياً... من سيكون وكيلاً يدافع عنهم يوم القيامة؟ أنتم الآن تجرّأتم في هذه الدّنيا بمجرّد طلبكم من رسول الله بأن يحكم للمسلم على اليهوديّ.

(الآية ١١٠) - ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾:

أليس السّوء هو ظلمٌ للنّفس؟ السّوء هو سوءٌ مع الغير، وصحيحٌ أنّ السّوء مع الغير هو ظلمٌ للنّفس، لكنّ ظلم النّفس يكون كقتل النّفس.

﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: طالما استغفر الإنسان، وكانت التّوبة صادقةً ونصوحةً على ألّا يكرّر الخطأ فسيجد الله ﷻ توّاباً رحيماً، فالله ﷻ في الآخرة هو التّوّاب الرّحيم، يتوب عن السّيّئات ويغفر الذّنوب.

(الآية ١١١) - ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾﴾:

﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا﴾: سمّاه كسباً؛ لأنّه أصبح باعتقاده أنّ هذا الإثم إلى صالحه، فإن سرق فهو يرى أنّه استفاد من هذه السّرقة.

﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾: على نفسه وليس من نفسه.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾: بنيّته وبفعله.

(الآية ١١٢) - ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾:

ما الفرق بين الخطيئة والإثم؟ الإثم الإصرار على المعصيّة، فهو مخطئٌ ومصرٌّ على الخطأ ويكرّره، أمّا الخطيئة قد يخطئ ويعود عنها؛ أي عصى لكن هذا خطأ.

﴿ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا﴾: ليس فقط سرق وارتكب الإثم، بل يريد أن يرميَ به بريئاً وهو اليهوديّ.

﴿فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ﴾: حمل بغير إرادته.

﴿بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾: البهتان: هو الافتراء، وفوق الافتراء الإثم المبين والواضح في جريمته باتّهام بريءٍ وبسرقته.

(الآية ١١٣) - ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣﴾:

هذه الآية الكريمة متابعةٌ للآيات السّابقة التي تتعلق بحادثة طعمة بن أبيرق من بني ظُفر الّذي سرق الدّرع، وجاء القوم لعند رسول الله ﷺ من أجل الحديث معه حتّى لا يحكم عليه، وإنّما يحكم على اليهوديّ، لكنّ الرّسول ﷺ كان قد حكم بالعدل بينهما، وكان مصرّاً على هذا الحكم، وهي تتعلّق بالمكانة العظيمة لسيّدنا رسول الله ﷺ ولعصمة النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام؛ لأنّ الله ﷻ هو الّذي كرّمه وتفضّل عليه، فالنّبيّ ﷺ معصومٌ من الخطأ بتسديد الوحيّ لكلّ خطوةٍ ولكلّ أمرٍ منه ﷺ.

﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾: فضل الله ﷻ وعطاؤه ورحمته التي أحاطها بنبيّه المصطفى ﷺ، فكان مصدر خيرٍ ورحمةٍ للعالمين جميعاً.

﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ﴾: الهمّ نوعان: إمّا همّ إنفاذ، وإمّا همّ تزيين، وعندما

يقول المولى ﷻ: ﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ﴾ فهذا همّ تزيين، فهم يحاولون أن يزيّنوا الباطل ويُعتّموا على الحقيقة، ويضعوا النّبيّ ﷺ بصورةٍ غير صحيحةٍ، ولكنّ فضل الله ﷻ على رسوله الكريم ورحمته ﷻ به منعت ذلك، فقد همّت طائفةٌ منهم أن يزيّنوا للنّبيّ ﷺ بألّا يحكم على المسلم وبأن يقول: إنّ اليهوديّ هو السّارق، معتقدين بذلك أنّهم يستطيعون أن يضلّوا النّبيّ ﷺ، وأن يزيّنوا له الباطل الّذي في أذهانهم، وتكفّل الله تبارك وتعالى بفضله ورحمته بالنّبيّ ﷺ فهم يضلّون أنفسهم ولا يضلّونه، فلا يستطيع أحدٌ أن يضلّه عليه الصّلاة والسّلام.

﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ﴾: هذا الهمّ بتزيين الباطل، إنّما المقصود منه الضّرر؛ لأنّ أيّ إنسانٍ يسير في طريق الباطل فالنّتيجة هي الضّرر المتحقّق عليه إن كان في الدّنيا أو في الآخرة، هم حاولوا تزيين الباطل وتغيير الحقائق باتّهام بريءٍ وعدم نسبة السّرقة لولدهم، ولكنّ النّبيّ ﷺ معصومٌ من الله تبارك وتعالى فحكم بما أنزل الله ﷻ إليه.

﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾: أنزل الله تعالى على نبيّه ﷺ العطاء الإلهيّ، وفضل الله ﷻ الأعظم على رسوله ﷺ هو إنزال القرآن الكريم الّذي هو هدايةٌ للبشريّة، وهو النّور المبين والرّوح والشّفاء لما في الصّدور وما في القلوب، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء]، لكن لننتبه هنا بأنّ الله ﷻ قال: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾، عندما نزل

جبريل عليه السلام على قلب المصطفى ﷺ في الغار قال له: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ وهي أوّل آيةٍ من آيات القرآن الكريم: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق]، مبتدأ الدّين هو العلم، ولا مكان للجهل في صفوف المؤمنين بدين الإسلام، ومناط التّكليف هو العقل، لذلك كانت دائماً الحجّة والبرهان والدّليل العقليّ هي الطّريق الّذي استخدمه النّبيّ ﷺ في دعوته إلى الله ﷻ، ولم يستخدم القوّة ولا البطش ولا السّيف ولا الإرهاب ولا التّكفير ولا الإلغاء، وإنّما استخدم الحجّة والبرهان والدّليل، وفي أوّل دعوته ﷺ خرج حتّى صعد الصّفا فهتف: «**يا صباحاه**»، فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمّد، فاجتمعوا إليه فقال: «**يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب**»، فاجتمعوا إليه فقال: «**أرأيتكم لو أخبرتكم أنّ خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدّقيّ؟**»[1]، قاس لهم الأمر بشكلٍ عقليٍّ ومنطقيٍّ، إذاً الفضل الأعظم هو إنزال الكتاب على رسول الله ﷺ وما فيه من العلم، يقول جبريل للنّبيّ ﷺ: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾، فيُجيب النّبيّ ﷺ إجابةً طبيعيّةً: «**ما أنا بقارئ**»؛ لأنّ الإنسان إذا طُلب منه أن يقرأ إمّا أن يقرأ من شيءٍ أمامه، وإمّا أن يكون حافظاً لشيءٍ يقرؤه، فكرّر جبريل عليه السلام على النّبيّ ﷺ أن يقرأ، وأدخل الله ﷻ العلم إلى قلب وفؤاد المصطفى ﷺ،

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ۝٢١٤﴾، الحديث رقم (٢٠٨).

فعلّم البشريّة، فكان ذلك فضل الله العظيم الّذي تحدّثت عنه الآية، ولكن لم يكتف المولى ﷻ بقول: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ قال: ﴿وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾: وهي سنّة النّبيّ ﷺ، وكلّ ما جاء في الحديث النّبويّ الشّريف، وكلّ ما أقرّه النّبيّ ﷺ، وكلّ ما نهى عنه.

﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ﴾: فكان ﷺ أمّيّاً، فكلّ علم رسول الله ﷺ: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥﴾ [النّجم]، سواء كان من القرآن أو من الحكمة التي هي سنّة النّبيّ ﷺ من أقواله وأفعاله وإقراره ونهيه عليه الصّلاة والسّلام.

﴿وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾: يعتقد بعضهم أنّ هناك تكراراً؛ لأنّ الآية بدأت بفضل الله ﷻ على رسوله ﷺ، وانتهت بفضله ﷻ على رسوله، لكن لكلٍّ معنى: ففي بداية الآية: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ فضل الله ﷻ هنا بأنّه منع عن رسول الله ﷺ أن يكذبوا عليه ويزيّنوا له الحكم على البريء، أمّا فضل الله ﷻ في نهاية الآية: ﴿وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾ بأنّه أنزل عليه الكتاب والحكمة وعلّمه مالم يكن يعلم.

عندما أنزل الله ﷻ القرآن على رسول الله ﷺ لم ينزله جملةً واحدةً، لماذا؟ لأنّ الله ﷻ أراد أن تحدث الأحداث فتنزل الأحكام، يقول ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢﴾ [الفرقان]، أي مقسّماً، فكان ينزل القرآن الكريم على حسب ما يجري من النّوازل، فعند نزول القرآن الكريم لحادثةٍ حدثت يكون

أدعى للأحكام بأن تترسّخ في الأذهان، فلا يمكن للأحكام أن تترسّخ إذا نزلت جملةً واحدةً، فلو أنّ القرآن الكريم نزل كاملاً من أوّل لحظةٍ في الغار على قلب رسول الله ﷺ ما كان ليترسّخ في الأذهان كما نزل منجّماً مفرقاً، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ﴾ هكذا قال مشركو مكّة، ولكنّ الله ﷻ نزّله مفرّقاً ليثبّت به فؤاد النّبيّ ﷺ، وليكون أدعى للأذهان والأفهام عندما تنزل الأحكام حسب النّوازل التي تجري مع البشر.

(الآية ١١٤) - ﴿۞لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١١٤﴾:

النّجوى هي أن يتناجى النّاس بالسّرّ، تبييتاً للإضلال، لكنّ الله ﷻ لم يذمّ كلّ تبييتٍ، فقد استثنى منه: ﴿إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ التّبييت بخير، كمن يريد أن يأمر بصدقةٍ ويبيّت لها ويخفيها حتّى لا تدري شماله ما أنفقت يمينه، أو معروفٌ يريد أن يفعله الإنسان سرّاً أو يكون مبيّتاً، أو إصلاحٌ بين النّاس.

هل هناك في أيّ مجتمعٍ من المجتمعات يكون الحثّ في الدّين على الإصلاح بين النّاس، وعلى العدل والمعروف والصّدقة في السّرّ حتّى لا يتأذّى الفقير؟ هذه بعض تعاليم الإسلام، لذلك من هذه الآيات عندما تولّى سيّدنا عمر بن الخطّاب القضاء في عهد سيّدنا أبي بكر رضي الله عنهما، طلب الإعفاء من القضاء، فقال له أبو بكر رضي الله عنه: "يا عمر، أمن مشقّة القضاء

تطلب الإعفاء؟"، فقال سيّدنا عمر: "يا أبا بكر، لا حاجة لي بقومٍ عرف كلّ منهم حدّه فوقف عنده، إذا مرض أحدهم عادوه، وإذا افتقر أغنوه، فلا حاجة لي بأناسٍ دينهم النّصيحة، وخُلُقهم القرآن". فلا تحدث خصوماتٌ ولا تناقضٌ بين البشر، هذا هو دين الإسلام.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾: من يُسرّ النّجوى من أجل الصّدقة، والمعروف، والإصلاح بين النّاس، ومن أجل فعل الخير للغير، فأجره سيكون عند الله ﷻ مع مرضاته ﷻ وجنّاتٍ في نعيمٍ مقيمٍ.

(الآية ١١٥) - ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾:

﴿وَمَن يُشَاقِقِ﴾: أي يشقّ، ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾ أي يخالف نهجه، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ الهدى هو الطّريق الموصل إلى الغاية، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: من الآية ١٥٣]، فإذاً: من يشاقق الرّسول ﷺ من بعد أن تبيّن له الصراط المستقيم، الطّريق الموصل إلى الغاية وإلى مرضاة الله ﷻ، وهو كتاب الله ﷻ وسنّة سيّدنا رسول الله ﷺ بأوامره وأفعاله وأخلاقه، ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ فستكون ولايته لما تولّاه من ضلالٍ وإضلالٍ.

﴿وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾: سيكون المصير مصير السّوء في يوم الحساب، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشّعراء].

(الآية ١١٦) - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾: فتح ﷻ باب التّوبة فهو يغفر كلّ الذّنوب بدليل هذه الآية، وأطلق مشيئته ﷻ.

﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾: إذاً هو يغفر كلّ الذّنوب باستثناء الإشراك بالله ﷻ، قد يقول قائلٌ: إنّ الله ﷻ يقول في آيةٍ أخرى: ﴿۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزّمر]، فكيف يقول: إنّه يغفر الذّنوب جميعاً، وهنا يقول: إنّه لا يغفر أن يشرك به؟ يجب أن نتبيّن أنّ الإشراك بالله ﷻ ليس ذنباً، فالذّنب هو أن تعصي وأنت تعلم أنّ هناك إلهاً، أمّا أن تنكر وجود الله فهذا إشراكٌ وليس ذنباً، فلا تناقض بين الآيتين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾؛ لأنّه لا تستقيم الأمور أنّ يغفر الله لمن لا يؤمن به، فهو يغفر لمن يؤمن به ويرتكب الذّنوب ومن ثمّ يتوب، والله تعالى يغفر لمن يشاء كما جاءت هذه الآية، وقد فتح ﷻ باب التّوبة.

(الآية ١١٧) - ﴿إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ١١٧﴾:

﴿إِن يَدۡعُونَ﴾: إن هنا ليست أداة شرط، بل بمعنى (ما)، أي ما يدعون من دونه إلّا إناثاً؛ لأنّهم كانوا يقولون عن الملائكة: هم بنات الله جلّ وعلا، ويعبدونهم من دونه ﷻ.

﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾: الحقيقة ما يدعون إلّا شيطاناً مريداً، كلمة المريد أي ملمسه أملس؛ فهو يتهرّب من كلّ أمرٍ من الأمور، المريد: الأملس الّذي لا تستطيع أن تحصل عليه ولا أن تمسك به، ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم]، إذاً هو فقط يعد النّاس وعداً، وهذا الوعد مريدٌ؛ لأنّه لا يُمسَك من مكان.

(الآية ١١٨) - ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾﴾:

﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ﴾: أي طرده الله ﷻ من رحمته؛ لأنّه ردّ الحُكم على الله تعالى، الفارق بين معصية آدم عليه السلام وما بين معصية إبليس بأنّ إبليس كان من الجنّ وفسق عن أمر ربّه، فقد كان موجوداً في جمع الملائكة ولكنّه خرج عن أمر الله ﷻ، عندما أمرهم ﷻ بالسّجود لآدم عليه السلام فسجدوا إلّا هو أبى واستكبر وقال: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾ [الإسراء: من الآية ٦١]، ردّ الحُكم على الله ﷻ واستكبر عليه وأشرك به وكفر فلعنه الله ﷻ وطرده من رحمته، أمّا آدم عليه السلام: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه: من الآية ١٢١، والآية ١٢٢]، سيّدنا آدم عليه السلام عصى الله ﷻ لكنّه تاب واعترف بذنبه.

﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾: نصيباً؛ أي قسماً مفروضاً، أي مقسومٌ لي هذا النّصيب، جرى هذا عندما هبط إبليس بأمر الله ﷻ إلى الدّنيا وقال: ﴿أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الأعراف: من الآية ١٤]؛ أي أمهلني، و: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [ص]، أقسم بعزّة الله تبارك وتعالى أي باستغناء الله ﷻ عن عبادة خلقه، فلعنه الله ﷻ.

(الآية ١١٩) – ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾:

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾: الطّريق الّذي سأسير فيه هو عمليّة الإضلال، وهو إبعاد النّاس عن الطّريق والصّراط المستقيم، وعن الوسيلة التي توصل إلى الغاية التي جاء بها الأنبياء والمرسلون عليهم السلام.

﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾: أي أعدهم بالأماني، فالإنسان عندما يعيش في الأماني التي لا تتحقّق، تكون من صنع وسوسة الشّيطان.

﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ﴾: الأنعام؛ أي الإبل والبقر والغنم، يبتّكون؛ أي يقطّعون آذان الإبل والبقر والغنم، كناية عن الأنعام التي كانت تنذر لتُذبح عند الأصنام، فالأنعام التي تكون مقصوصةً أذنها تُعرَفُ أنّها نَذْرٌ للصّنم، فإبليس –لعنه الله– عمله الإضلال والأمانيّ، وجعل النّاس تعمل النّذور للأصنام التي تُعبد من دون الله ﷻ.

﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ﴾: تغيير خلق الله ﷻ، تغيير فطرة

الله ﷻ التي فطر النّاس عليها، كالذّكر يتحوّل إلى أنثى، أو الأنثى تتحوّل إلى ذكر، عندما يقول الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ [الزّمر]، هو يخلق من عدم، أمّا أنت فتقول بأنّك صنعت آلة أو.... هذه الصّنيعة لا بدّ لها من مقدّماتٍ حتّى تستطيعَ أن تصنعها، ولا يمكنك القول: إنّك خلقت النّظارة، فهل استطعت إيجادها من العدم بقول: كوني نظّارة فكانت؟! لا، وإنّما كان لا بدّ من أن تأتي بالحديد والزّجاج، أن تأتي بمقدّماتٍ تعمل عليها لتصل إلى النّتائج، وهذا لا يسمّى خلقاً، فالخلق هو إيجادٌ من عدم، وهذا لا يقدر عليه إلّا الله ﷻ.

﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا﴾: لماذا؟ لأنّ الشّيطان سيقول يوم القيامة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ﴾ [إبراهيم: من الآية ٢٢]، فمن يتّخذ الشّيطان وليّاً من دون الله ﷻ فقد خسر خسراناً مبيناً، وسيطرده الله ﷻ من رحمته، وسيكون له جهنّم وبئس المصير.

(الآية ١٢٠) - ﴿يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ١٢٠﴾:

﴿يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ﴾: يعدهم ويُخلف وعده، لذلك على الإنسان دائماً أن يتّبع الطّريق الّذي هداه الله ﷻ إليه في القرآن الكريم: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠﴾ [الأعراف]، حتّى لو

كنت في الصّلاة وأنت تقرأ وجالت بك الأمور خارج الصّلاة وإلى هموم الدّنيا فقل: أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم ثمّ تابع القراءة، لتقول للشّيطان: إنّك منتبهٌ وأنّه لن يستطيع أن يمنّيك وأن يعدك وأن يوسوس لك.

﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾: الغرور: أنّ يغترّ الإنسانُ ويتوهّمَ الأمور، وهي في النّتيجة لا تكون على ما تصوّره ذهنه، فالشّيطان لا يعد الإنسان إلّا غروراً، وفي حقيقة الأمر سيقوده إلى الخسران المبين.

(الآية ١٢١) - ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنۡهَا مَحِيصٗا ١٢١﴾:

من يتّبع الشّيطان وسبيل الشّيطان فمأواه المكان الّذي سيأوي إليه الشّيطان، جهنّم وبئس المصير، ولن يستطيع عنها محيصاً، والله ﷻ عندما يتحدّث عن جهنّم يتحدّث مباشرةً عن الجنّة حتّى يكون الإنسان بين الترغيب والتّرهيب، بين الرّحمة والعقاب، وهذا أمرٌ سلوكيٌّ، فلا يمكن أن تتّكل على رحمة الله ﷻ وأنت تعصيه:

تعصي الإلهَ وأنتَ تظهرُ حبّـهُ هذا لعمري في القياسِ بَديعُ
لو كَان حُبّك صَـادقاً لأطعْتَـه إنَّ المحـبَّ لمـنْ يحبُّ مُطِيـعُ

(الآية ١٢٢) - ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢﴾:

الإيمان من دون عملٍ لا يكفي؛ لأنّ الإيمان ما وقر في القلب وصدّقه

العمل، وهو العمل الصّالح، الّذي فيه خيرٌ للنّاس وللبشريّة جمعاء، فإذا أمل الناس في خيرنا وأمنوا من شرورنا عندها نكون نعمل صالحاً.

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾: الصّدق هو مطابقة الكلام للواقع، وليس أصدق من الله ﷻ قيلاً، فهو الخالق والرّازق والمحيي والمميت، هذا وعد الله ﷻ للنّاس.

والجنّة هي أمرٌ غيبيٌّ، وصفها رسول الله ﷺ بقوله: «**قال الله تعالى: أعددتُ لعبادي الصّالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشرٍ**»[1]، وعندما يصف الله ﷻ لنا الجنّة يسبقها بكلمة: (مَثَل): ﴿۞مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ [الرّعد]؛ لأنّ الحديث عن غيبٍ يقرّبه ﷻ إلى أذهاننا، فمثلاً الجنّة فيها خمرٌ، ولكن ليس هو كالخمر المعروف في الدّنيا.

فيما يتعلّق بالأمور الغيبيّة فمن أصدق من الله ﷻ قيلاً؟ طالما أنّك آمنت بالله ﷻ عقليّاً -وعندما أردت الإيمان فأنت حرٌّ تؤمن أو لا تؤمن- فيجب أن تؤمن بما أخبر ﷻ، وأن تؤمن أوّلاً بربّ القرآن، وأنّ القرآن من عند الله ﷻ، وأن سيّدنا محمّد ﷺ هو رسولٌ من عند الله ﷻ، وأنّ سيّدنا المسيح عليه السلام هو رسولٌ من عند الله ﷻ، وأن سيّدنا موسى عليه السلام رسولٌ

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنّة وأنّها مخلوقة، الحديث رقم (٣٠٧٢).

من عند الله ﷻ، وسيّدنا آدم وإبراهيم والأنبياء جميعاً عليهم السلام. ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة]، لم يقولوا: سمعنا وعصينا، اليهود هم من قال ذلك، نحن بعد الإيمان نقول: سمعنا وأطعنا، فالإيمان بما أخبر الله ﷻ به من المغيّبيات جزءٌ لا يتجزّأ من الإيمان بالله ﷻ، فالإيمان بالله ﷻ وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر كلّه غيبيّ.

(الآية ١٢٣) - ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٢٣﴾:

القضيّة ليست بأمانينا ولا بأمانيّ أهل الكتاب؛ أي ليس بأمانيّ كلّ الأديان، ليست القضيّة أمانيّ، مثلاً أنا أتمنّى أن يكون مصيري إلى الجنّة، لا، فالقضيّة واحدةٌ، ﴿مَن يَعۡمَلۡ﴾ القصّة فيها عملٌ، وبالإيمان لا يوجد أمانيّ لا منّا ولا من أهل الكتاب ولا من كلّ الأديان.

المعادلة الأساسيّة التي جاءت بها كلّ الأديان السّماويّة على الإطلاق بيّنها الله ﷻ هنا بشكلٍ لا يقبل اللّبس أبداً: من يعمل سوءاً سيكون جزاؤه على السّوء، فالقضيّة هي ما بين أن تعمل صالحاً أو سيّئاً، هذه دعوة الأديان، فكيف تقول: إنّ دين الإسلام أو أيّ دينٍ من الأديان يدعو إلى الكراهية أو إلغاء الآخر أو القتل أو التّطرّف والتّشدّد؟!

﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾:

من يعمل السّوء كائناً من كَان، لا بأمانينا ولا بأمانيّ أهل الكتاب.

(الآية ١٢٤) – ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾:

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾: لا يوجد تفرقة في الدّين بين الذّكر والأنثى، هناك تكاملٌ بين الرّجل والمرأة، والحقوق التي أعطاها الإسلام للمرأة لم تعط في كلّ الشّرائع لا الوضعيّة ولا الإنسانيّة ولا السّماويّة منذ أن نزل آدم وحواء إلى هذه اللّحظة.

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾: يجب أن يعمل الصّالحات وهو مؤمنٌ، وليس مشركاً؛ لأنّه ردّ الحكم على الله ﷻ.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾: هذه هي المعادلة الإيمانيّة، معادلة أهل الإيمان جميعاً، وهي قول الله ﷻ: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾.

والنّقرة: هي الشّيء الصّغير جدّاً.

(الآية ١٢٥) – ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾:

الدّين الّذي يدين به الإنسان لله ﷻ هو أن يستسلم له ﷻ فيما أمر وفيما نهى، وأن يلتزم بأوامره ﷻ، وإسلام الوجه لله ﷻ هو أن يجعل

الإنسان من نفسه سالمةً لله ﷻ، لا تعرف لها ربّاً ولا معبوداً سواه.

﴿وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ فلا يكفي الصّلاة والصّيام والقيام وأداء العبادات من دون أن تؤشّر إلى ذلك بالإحسان، والإحسان هو أن تعبد الله ﷻ كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك، والإحسان يكون في كلّ شيءٍ، الإحسان في خلق الله ﷻ وقبل كلّ شيء: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [النّساء: من الآية ٣٦]، للوالدين والأقربين والأرحام والجيران والمجتمع والنّاس والإنس والطّير والحيوان والنّبات.. ولكلّ خلق الله ﷻ، فذلك هو دين الإسلام، هو دين الإحسان، فهو يدعو إلى الإحسان في كلّ شيءٍ: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾ [فصّلت].

﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ﴾: الحنيف: هو المائل عن الشّرك؛ فالأمور كلّها في زمن سيّدنا إبراهيم عليه السلام كانت إشراكاً بالله ﷻ وعبادةً للأصنام والأوثان. ملّة إبراهيم: جاء الأنبياء من لدن إبراهيم عليه السلام، إسحق وإسماعيل، ومن إسحاق جاء يعقوب، ومن يعقوب جاء الأسباط ويوسف وبعدها الأنبياء موسى وعيسى وداود وسليمان وزكريّا ويحيى عليهم السلام، وإسماعيل أتى منه النّبيّ ﷺ، فجدّ الأنبياء إبراهيم عليه السلام.

﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾: أعطى الله ﷻ الخلّة لإبراهيم عليه السلام، لذلك نطلق عليه (إبراهيم الخليل)، والسّبب في ذلك كثرة الابتلاءات التي

تعرّض لها سيّدنا إبراهيم الخليل، فأوّل هذه الابتلاءات كما ورد في سورة (البقرة): ﴿* وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة]، تعرّض للابتلاء عندما ألقاه النّمرود بالمنجنيق في النّيران، وعندما جاءه جبريل عليه السلام قال: ألك حاجة يا إبراهيم، قال: أمّا لك فلا، وأمّا لربّي فعلمه بحالي يكفي عن سؤالي، فهذا اليقين والإيمان العميق من أبي الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام جعله يتبوّأ هذه المكانة، خليل الرّحمن، وكذلك الابتلاء بما يتعلّق بالسّيّدة هاجر عندما قال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم]، حيث أمره الله سبحانه وتعالى بتركها والرّضيع إسماعيل بوادٍ غير ذي زرعٍ، لا نبات فيه ولا حيوان ولا وحش ولا طير في ذلك الوقت، فامتثل لأمر الله سبحانه وتعالى، وقالت هاجر: لن يضيّعنا الله، وبعد ذلك عندما أُبتلي بابنه إسماعيل الذّبيح: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾ [الصّافّات]، أسلما: أي انقادا واستسلما، من هذه الابتلاءات المتعدّدة أصبح إبراهيم عليه السلام خليلاً للرّحمن.

(الآية ١٢٦) – ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾:

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾: يبيّن الله سبحانه وتعالى أنّ ملكيّة ما في

السّماوات وما في الأرض لله ﷻ وحده، وهو المتصرّف بملكه ﷻ، فيطمئن بذلك خلقه؛ لأنّه المتصرّف بخلقه.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطًا﴾: بكلّ شيءٍ، أيّ شيءٍ الله ﷻ لديه الإحاطة به بعلمه وقدرته، لذلك نتّكل على علم الله جلّ وعلا وقدرته.

(الآية ١٢٧) - ﴿وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا ١٢٧﴾:

هناك جملتان تردان في كتاب الله ﷻ:

- الأولى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ﴾.
- والثّانية: ﴿وَيَسۡتَفۡتُونَكَ﴾.

ما هو الفارق بينهما؟ يسألونك عن حكمٍ لم ينزل به شرعٌ من الله تبارك وتعالى، كقوله ﷻ: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِ﴾ [البقرة: من الآية ٢٢٢]، فيأتي الجواب: ﴿قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾ [البقرة: من الآية ٢٢٢]، ﴿۞يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّ﴾ [البقرة: من الآية ١٨٩]، ﴿۞يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ٢١٩﴾ [البقرة].

أمّا ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾ فهو السّؤال عن حكمٍ قد نزل وهو موجودٌ، ولكنّهم يريدون أن يستوضحوا عن هذا الحكم، ويعلموا عنه بالتّفصيل، فالفارق بين يسأل ويستفتي أنّ السّؤال هو عن أمرٍ لم يرد، أمّا الاستفتاء أو الفُتية تكون في بيانٍ لحكمٍ نازلٍ، لذلك عندما يقال: إنَّ أحدهم أفتى بأمرٍ، يكون قد بيّن حكم الله ﷻ في قضيّةٍ ما، والحكم موجودٌ مُسبقاً.

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ﴾: يسألون عن موضوع النّساء بشكلٍ عامٍّ.

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾: يبيّن ويوضّح لكم ويرشدكم فيهنّ.

﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾: في بداية سورة (النّساء) كان السّؤال عن النّساء، عن الميراث والزّواج والحلال والحرام، ومن المعلوم أنّه عندما جاء الإسلام، كانت المرأة متاعاً في كلّ أصقاع العالم، وزينةً وأداةً، وكانوا يئدون البنات، والمرأة لا حقوق لديها، فأعطى الإسلام المرأة حقوقها. وفي هذه الآيات سؤال فتيةٍ عن النّساء فأجاب الله ﷻ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ ما جاءكم في الكتاب أي في أوّل سورة (النّساء) في يتامى النّساء، لماذا في يتامى النّساء؟ جاء الله ﷻ بالعنصر الضّعيف، ضعف اليتم: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ۝٣﴾ [النّساء]، حتّى موضوع التّعدّد الّذي ورد في بداية سورة (النّساء) بدأ بموضوع اليتامى؛ لأنّ المحافظة على حقوق اليتيمات هو أولويّةٌ، فاليتم فيه طمعٌ وضعفٌ؛ لأنّ اليتيمة قد فقدت السّند المعيل والمعين ألا وهو

الأب؛ ولأنّ من يريد أن يتزوّج هذه اليتيمة قد يكون هو الوليّ، فقد كان الوليّ في الجاهليّة إمّا أن يتزوّج البنت ويأخذ أموالها أو يزوّجها ويمنعها من المال، فجاء الإسلام ليصّحح ويعطي المرأة حقوقها، فأوّل حقٍّ لفت النّظر إلى حقوق اليتيمات في قوله ﷻ: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ أي تأخذوا الميراث؛ لأنّ اليتيمة لها وصيٌّ أو وليٌّ يأخذ المال، أو يتزوّجها من أجل أن يأخذ مالها.

﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ﴾: ضعف اليتم، فبالنّسبة للأطفال هناك أوصياء يحاولون أن يستغلّوا هذه الوصاية والولاية من أجل أموالهم، فضعف اليتم وضعف البنت في ذلك الوقت، ومحاولة الحصول على ميراثها والزّواج منها من أجل أكل مالها بالباطل، هذا ما نهى عنه الإسلام وبيّنه في بداية سورة (النّساء).

﴿وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾: أي بالعدل، فيجب على المجتمع أن يكون قائماً على العدل لليتامى، يقول النّبيّ ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم في الجنّة هكذا**»، وأشار بالسّبابة والوسطى، وفرّج بينهما شيئاً[1]، وكان ﷺ يمسح على رأس اليتيم ويعدّ المسح على رأسه سبباً لدخول الجنّة. فتطبيق النّاس للعدل مع اليتامى يكون بالمحافظة على أموالهم وحقوقهم، ومنع الاعتداء عليهم، ومنع الزّواج من اليتيمات من أجل الاعتداء على أموالهنّ.

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الطّلاق، باب اللّعان، الحديث رقم (٤٩٩٨).

﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾: يكفي أنّ فعل الخير يعلمه ﷻ، فلا تجعل فعل الخير من أجل الثّناء والمديح من قِبل البشر، وإنّما يجب عليك أن تضع في نفسك وعقلك وقلبك ربّ البشر، وكفى بالله تعالى عليماً، وألّا تلتفت إلى غيره إن كنت تسير على طريق الخير، وقلنا: إنّ دعوة الدّين ودعوة الإسلام هي دعوةٌ للخير، مع أنّ بعض النّاس في هذا العصر يحاولون أن يلبسوا الدّين مالم يقله الله ﷻ ولا رسوله ولا الأديان جميعها، فالأديان جاءت رحمةً للعالمين، ومن أجل خير الإنسان.

ويجب على الإنسان أن يجعل نيّته خالصةً لله ﷻ. وليقل كلّ إنسانٍ ما يشاء، فالمهمّ أن تكون القناعة أنّ الإنسان يفعل الخير للغير، وهو مصدرٌ للخير في المجتمع، وبعد ذلك فلتكن النّيّة أن تأخذ الأجر من الله ﷻ:

فإذا نَطَقَ السَّفيْهُ فَلا تُجِبْه فخيرٌ مِنْ إِجَابَتِهِ السّكُوتُ

فلا تلتفت لمن يقول أو من يدّعي أو من يمدح... وإنّما التفت إلى فعل الخير، وإلى الجزاء ممّن كان هو به عليماً.

(الآية ١٢٨) - ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾:

يعالج القرآن الكريم الآن دخائل النّفس والعلاقة الزّوجيّة بين الزّوج والزّوجة، والإسلام وضع عنواناً للزّواج هو من أرقى العناوين التي لا يعرفها الغرب المتبجّح الّذي يتحدّث عن حقوق الإنسان، وأولئك الذين يحاولون

أن يتهجّموا على الدّين بحجّة أنّ الدّين هو التّخلّف والإرهاب ومصدر التّطرّف وكلّ الشّرور حسب زعمهم، والحقيقة تختلف تماماً، الإسلام مصدر الخير والأديان جاءت من أجل مصلحة الإنسان، وهنا يضع ضوابط للعلاقة الزّوجيّة بين المرأة والرّجل: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الرّوم]، جعل المودّة في بداية الزّواج وهي الحبّ ووداد القلب، وبعد مرور عدّة سنواتٍ على الزّواج عندما تكبر المرأة وتحمل وتلد وتُرضع وتعمل وتفني نفسها في سبيل زوجها وأولادها، فالرّحمة يجب أن تكون عنواناً للعلاقة الزّوجيّة، والرّحمة هي منطلق كلّ خيرٍ بين الرّجل والمرأة، أن تكون المرأة رحيمةً بزوجها والزّوج رحيماً بزوجته، لذلك وضع الإسلام عدّة قواعد للعلاقة بين الرّجل والمرأة ومنها هذه القاعدة: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾، والنّشوز: هو الخروج عن الأمر المألوف، النّفور؛ أي نفور الرّجل من المرأة، ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾: أعرض عنها، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾: بداية للتّفرقة أو الطّلاق أو لنشوز الرّجل عن المرأة أو لإعراض الرّجل عن المرأة أهمّ شيءٍ هو الصّلح.

﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾: دائماً الإسلام يدعو إلى الإصلاح، وإلى إصلاح ذات البين، قال ﷺ: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصّيام والصّلاة والصّدقة؟**»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**إصلاح ذات البين، وفساد**

ذات البين الحالقة»[1]، أوّل الإصلاح يكون بين الرّجل وزوجته ووضع الحلول المناسبة لمشكلات الحياة التي تعترض العلاقة الزّوجيّة، فلذلك قال المولى ﷻ: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ﴾، إنَّ الأنفس بطبيعتها فيها شحٌّ؛ أي بخلٌ، فتكون المرأة حريصةً على المهر وعلى المال، ويكون الرّجل حريصاً على النّفقةِ، فكلّ ما يتعلّق بالأمور المادّية التي هي بطبيعة النّفوس فيها شحٌّ، يجب أن تُبعد وألّا تحضر في مجال الصّلح، فالصّلح خيرٌ.

﴿وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾: والنّتيجة هي ﴿وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾ لا يوجد تقوى من دون إحسان، الإحسان في كلّ شيءٍ، كتب الله ﷻ على نفسه الرّحمة، وجعل العلاقة علاقة إحسانٍ، فمن الطّبيعيّ أن تكون العلاقة الزّوجيّة هي إحسانٌ من الرّجل لزوجته، ومن الزّوجة لزوجها. يروى أنّ رجلاً صالحاً من كبار العلماء، كانت له زوجةٌ سيّئة الخلق، وقد كان يحاول دائماً أن يحسّن من خُلُقها، فطلب منها مرّةً الحضور لمجلس الدّرس الّذي يعطيه في المسجد لترى النّاس كيف ينصتون ويستمعون له ويتلقّون مواعظه ودروسه فتحترمه، وبعد أن حضرت وسمعت وعادت إلى البيت، سألها كيف رأيت؟ فأجابت لقد رأيت النّاس جميعاً في هدوءٍ وسكينةٍ ووقارٍ، وأنت الوحيد كالمجانين تشطّ وتنطّ ...إلخ، فقال: لا حول ولا قوّة إلّا بالله، وصبر عليها، وكان عطاؤه كبيراً، وبعد فترةٍ من الزّمن

(١) سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب في إصلاح ذات البين، الحديث رقم (٤٩١٩).

تردّت دروس هذا الشّيخ وأصبحت أقلّ أهميّة، فسأله النّاس ما لك؟ – وكانت قد ماتت زوجته– فأجاب ماتت من كان ربّي يكرمني من أجلها، فلقد كانت نظرته إلى الأمر بأنّ الله ﷻ كان يكرمه بصبره على زوجةٍ سيّئة الخُلُق معه. وكذلك الأمر إذا صبرت المرأة على زوجها، ولا بدّ من اعتراكٍ في مجال الحياة، والزّواج هو عقدٌ بين رجلٍ وامرأةٍ، وهو شراكة عمرٍ وشراكة حياةٍ، وتربية أولادٍ، همومٌ وآمالٌ وأحلامٌ ومستقبلٌ، فلا بدّ بطبيعة الحياةِ أن تحدث خلافاتٌ، لذلك الصّلح خيرٌ، وألّا يحضر الشّحّ والبخل في العلاقة بين الرّجل والمرأة، وألّا يكون للعلاقة المادّية أثرٌ، وإنّما لعلاقة السّكن والمودّة والرّحمة والألفة والمحبّة، ويجب على الإنسان أن يبني العلاقة الزّوجيّة على الاحترام والمحبّة المتبادلة والودّ والسّكن الّذي تحدّثت عنه الآية الكريمة: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الرّوم: من الآية ٢١].

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾: يكفي أنّ الله ﷻ خبيرٌ بما تعملون.

(الآية ١٢٩) – ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾:

كانت الآيات في بداية سورة (النّساء): ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ

﴿أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ۝٣﴾ [النّساء]، وقد فسّرت هذه الآيات بأنّه يجب علينا ألّا نأخذ إباحةً وندع إلزاماً في الدّين، فمعظم المشكلات التي نقع فيها في تعاملنا مع ديننا بأنّنا نأخذ إباحةً وندع إلزاماً، فالله ﷻ أباح لك الميراث لكنّه ألزمك بالمساواة والوصاية وغيرها...، وموضوع التّعدّد جاء ضمن حلٍّ لمشكلةٍ كانت قائمةً، وكان التّعدّد كبيراً وتحدّثنا عنه، وهنا يقول ﷻ: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ﴾ وهذا العدل هو الميل القلبيّ والدّليل على ذلك تتمّة الآية: ﴿فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ﴾ تميلوا ميل قلبٍ، كما كان يقول ﷺ: «**اللّهمّ هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك**»[1]. بالنّسبة للتّعدّد، المطلوب هو العدل، ﴿فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ﴾ أي أن يميل الإنسان كلّ الميل باتّجاه زوجةٍ ويترك الأخرى وهي معلّقةٌ من غير أن يطلّقها.

﴿وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: نلاحظ التّأكيد وتكرار كلمتين اثنتين وهما تصلحوا وتتّقوا، الإصلاح والتّقوى، التّقوى جماع كلّ خيرٍ، والإصلاح هو رأب ما فسد وإعادة الأمور إلى نصابها ومجراها، فإذاً لا يطلب الدّين من الإنسان العنف وإنّما يطلب منه اللّطف.

(الآية ١٣٠) - ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ۝١٣٠﴾:

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾: هنا ترك المجال، فعندما تسدّ كلّ النّوافذ والأبواب ولا

(١) سنن أبي داود: كتاب النّكاح، باب في القسم بين النّساء، الحديث رقم (٢١٣٤).

يمكن الإصلاح فيكون عندها التّسريح بإحسانٍ وهو الطّلاق، وهو أبغض الحلال عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾: وسعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تسع النّاس جميعاً، فقد يتزوّج الرّجل بامرأةٍ أخرى، أو هي تتزوّج بزوجٍ غيره، وكذلك بالنّسبة لحالة الرّزق والعطاء الإلهيّ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾: يوسّع للنّاس ولا يضيّق، فلا تضيّقوا واسعاً، فالدّين دين رحمةٍ ودين سعةٍ يسع الخلق جميعاً.

(الآية ١٣١) - ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ١٣١﴾:

يكرّر المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأنّك أيّها الإنسان يجب أن تكون مطمئنّاً بأنّ لله وحده ما في السّماوات والأرض وما بينهما، وهو المتصرّف الوحيد في ملكه.

(الآية ١٣٢) - ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ١٣٢﴾:

نلاحظ ملحظاً مهمّاً أنّه في هذه الآية والتي سبقتها ذُكِرَ الأمر ثلاث مرّات، والقرآن الكريم لا يكرّر إلّا للترسيخ في الأذهان، لأسرارٍ متعدّدةٍ ومعانٍ متعدّدةٍ وتذييل الآيات يبيّن هذه المعاني، وللمرّة الثّالثة يطمئن الله تعالى الإنسان أنّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يضمن ويحفظ مقوّمات الحياة عندما يقول لك: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾ فلن تتمرّد الشّمس على أن تشرق، ولن يتمرّد الهواء على أن يهبّ، ولا الماء على أن ينزل، ولن تتمرّد الأرض على

أن تنبت الزّرع، ولن تتمرّد كلّ مقوّمات حياة الإنسان عن أوامر الله ﷻ، وله ﷻ ما في السّماوات وما في الأرض.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾: إنَّ الله ﷻ خلق الإنسان وتوكّل بكلّ مقوّمات حياته -فاطمئن أيّها الإنسان- وهو ﷻ قيّومٌ على خلقه، ووكيلٌ للإنسان الّذي يتوكّل عليه، فقد أمدّه وأعطاه من قبل أن يولد.

(الآية ١٣٣) - ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾﴾:

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ﴾: فالله ﷻ رحيمٌ بالنّاس وبضعفهم، وهو الخالق، العليم بخلقه، وهو اللّطيف بهم، فلا تضيّقوا واسعاً فرحمته وسعت كلّ شيءٍ، ولو شاء لأذهَبَنا وأتى بآخرين، لكنّه ﷻ يريد ويحبّ من العبد أن يكون توّاباً، كلّما أذنب عاد وتاب واستغفر من ذنبه.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾: أي أنّ الإنسان عندما خلقه الله ﷻ لم يتركه كما يقول بعضهم، فنم؛ لأنّه لا ينام، واسترح فإنّه ﷻ هو الوكيل طالما أخذت بأوامره ﷻ.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: قام رسول الله ﷺ في صلاةٍ وقمنا معه، فقال أعرابي وهو في الصّلاة: "اللّهمّ ارحمني ومحمّداً ولا ترحم معنا أحداً"، فلمّا سلّم النّبيّ ﷺ قال للأعرابي: «**لقد حجّرت واسعاً**»[1]، يريد رحمة الله ﷻ، فرحمته ﷻ هي لكلّ خلقه، وله مئة رحمةٍ أنزل منها رحمةً واحدةً بها يتراحم

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الأدب، باب رحمة النّاس والبهائم، الحديث رقم (٥٦٦٤).

الخلق جميعاً، والطّيور والبهائم والحيوانات، وادّخر الله ﷻ تسعاً وتسعين رحمةً للآخرة.

(الآية ١٣٤) - ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾:

الثّواب: هو الجزاء على العمل، والله ﷻ يقول لك: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۚ﴾.

ثواب الدّنيا: ما يعطيه ﷻ للإنسان من صحّةٍ ومالٍ وعطاءٍ ورزقٍ.

ثواب الآخرة: رضوان الله ﷻ وجنّات النّعيم.

فمن كان يريد ثواب الدّنيا فليعمل عملاً صالحاً، فالله ﷻ خلق أشياء تنفعل لك، وأشياء تنفعل بك، فمن الأشياء التي تنفعل لك: الشّمس والقمر والهواء واللّيل والنّهار والأرض والغيوم والمطر والحيوانات والنّبات وغيرها.. هذه الأشياء جعلها الله ﷻ تنفعل لك أيّها الإنسان، وهي للمؤمن ولغير المؤمن، فلا يمكن للشّمس أن تطلع على المؤمنين وتقول: سأحجب نوري وضوئي عن الكافرين، والهواء لا يمكن أن يتنفس منه المؤمن ويحجبه الله ﷻ عن غير المؤمن، والماء لا ينزل للمؤمن ويترك الكافر، والأرض لا تنبت للمؤمن وتترك الكافر.. فإذاً هناك أشياء تنفعل لك بإرادة الله ﷻ، وهناك أشياء أخرى تنفعل بحركتك، وهذا هو مناط التّقدّم والنّهضة والحضارة والعطاء، فصحيحٌ أنّ الله ﷻ خلق الشّمس وهي تعطيك الضّوء والدّفء، لكن إذا تحرّكت، إذا درست، وإذا تعلّمت الفيزياء وتخصّصت،

وبُنِيَت المعامل فيمكنك استخدامها كمصدرٍ لتوليد الطّاقة الكهربائيّة، إذاً هناك أشياء تنفعل بحركتك وأشياء تنفعل لك خلقها الله ﷻ، وطلب من الإنسان أن يأخذ بالأسباب في هذه الحياة الدّنيا، فمن يأخذ بالأشياء التي تنفعل له ويتحرّك معها يعطيه المولى ﷻ بغضّ النّظر إن كان مؤمناً أم غير مؤمنٍ. مثلاً: تقول: لماذا الدّول الغربيّة هي الدّول المتقدّمة وهم لا يؤمنون وهم...، لماذا تنفعل لهم الأشياء التي خلقها الله ﷻ؟ تنفعل لهم من جرّاء حركتهم، فهذا من ثواب الدّنيا.

فهل يمكن للأرض أن تثمر من دون أن تُزرَع؟! فالإنسان الّذي يزرع -بغضّ النّظر عن إيمانه أو عدم إيمانه- يحصد، ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ لماذا اختار طريقاً واحداً؟ فليأخذ ثواب الدّنيا والآخرة معاً، وليعمل عملاً صالحاً، فالله ﷻ يقول لك: الأفضل أن تأخذ ثواب الدّنيا والآخرة، انفعل بحركتك للأشياء التي خلقتها من أجلك فتأخذ ثواب الدّنيا، والتزم بأوامر ربّك ﷻ وأحسن مع خلقه تأخذ ثواب الآخرة، فمن كان يريد ثواب الدّنيا فليعلم أنّ الله ﷻ عنده ثواب الدّنيا والآخرة، ولا يقل: إنّ الجنّة هي للفقراء فقط، فالله ﷻ يقول لك: اسعَ واعمل تحصل على الرّزق والتّقدّم والحضارة، انفع النّاس، انفعل مع المخلوقات التي خلقتها من أجلك، تعلّم العلم، ابنِ المصانع، تطوّر علميّاً وتقنيّاً وحضاريّاً تأخذ ثواب الدّنيا، وثواب الآخرة إذا التزمت بأوامر ربّك مع أخذك لأسبابه في خلقه.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾: لماذا قال هنا: ﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ وليس غفوراً رحيماً؟ لأنّ الأمر يتعلّق بالعمل المناط بالإنسان، والجهد الّذي يبذله، فاطمئنّ أنّ الله ﷻ يسمع ويرى، وهو بصيرٌ يرى كلّ جارحةٍ من جوارح الإنسان وما تقوم به من عمل.

(الآية ١٣٥) - ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ١٣٥﴾:

دين الإسلام دينٌ قائمٌ على العدلِ، والقيامُ بالعدل هو أساس الإيمان؛ لأنّه من العدل أن تؤمن بالله ﷻ أوّلاً، وقد أمر ﷻ بالعدل، يقول جلّ وعلا: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ٥٨﴾ [النّساء]، فكلّ خصومةٍ وكلّ ضياعِ حقوقٍ يجب أن يكون العدل هو السّائد فيها حتّى لا تضيع الحقوق، وحتّى يحصلَ كلُّ إنسانٍ على حقّه ويقومَ بواجبه على خيرٍ وأتمّ وجهٍ.

﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ يا من آمنتم بي، كونوا قوّامين بالقسط، ولم يقل: قائمين بالقسط، ما الفرق بين قوّام وقائم؟

قائمٌ بالقسط أي مرّةً واحدةً يقوم بالقسط أي بالعدل، أمّا القوّام فصيغة مبالغة؛ أي أنّ الإنسان المؤمن يجب أن يكون قائماً على العدل

باستمرار، لذلك قال: قوّامٌ على العدل باستمرار، بكلّ شأنٍ من شؤونه، وفي كلّ أمرٍ من أموره.

﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾: أي الإنسان عندما يشهد أمام الله ﷻ على نفسه بأنّه هو الّذي ارتكب، أو شهد على أقرب النّاس إليه: ﴿أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ فيجب أن تكون الشّهادة بالعدل، ولا محاباة بالعدل، ونبيّنا ﷺ علّم ذلك، وذكرنا قضيّة المرأة المخزوميّة حيث أقسم النّبيّ ﷺ: «**والذي نفس محمّدٍ بيده، لو أنّ فاطمة بنت محمّد سرقت لقطعت يدها**»[1]، ضرب المثل بأقرب إنسانةٍ له على وجه المعمورة وهي السّيّدة فاطمة رضي الله عنها.

﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾: يجب أن يكون الإنسان قائماً بالقسط ولو على نفسه؛ لأنّ الشّهادة هي لله ﷻ، وعندما تشهد على نفسك فهذا أوّل الاعتراف بالذّنب، وهو أوّل طريق التّوبة إلى الله ﷻ، وكذلك لو كانت الشّهادة على الوالدين أو الأقربين، فالمهمّ أن تشهد بالحقّ وبالقسط أي العدلِ.

﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾: بالنّسبة للغنيّ، يمكن أن تغيّر شهادتك أو تنحاز عن العدل نتيجةً لغنى الإنسان المقابل طمعاً بالمال أو خوفاً من سلطان أو... إلخ، ولكن لماذا قال: ﴿أَوْ فَقِيرًا﴾؟ حتّى لا تأخذك رحمةٌ به، فالله ﷻ أرحم بالفقير منك، فيجب أن تكون عادلاً، لا علاقة لقضيّة الغنى والفقر بقضيّة العدل، فالعدل قضيّةُ حقوقٍ، ولا تستقيم حياة

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب المغازي، باب من شهد الفتح، الحديث رقم (٤٠٥٣).

المجتمعات إلّا عندما تؤدّى الحقوق ويكون العدل هو الأساس.

﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا﴾: لأنّ عدم العدل هو اتّباعٌ لهوى، فإمّا أن يكون هذا الهوى هو الضّلال، أو هو طمعٌ في مالٍ أو رشوةٍ، أو هو خوفٌ من ذي سلطان.. وأيّاً كان من هذه الأمور فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا.

﴿وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾: تلووا: أي إن تحرّفوا الشّهادة أو تعرضوا عنها، ممّا يؤدّي لعدم تحقيقِ العدل فقد كتمتم الحقّ.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾: الله ﷻ خبيرٌ إن كنت شهدت على نفسك أو على أقرب النّاس إليك، أو اتّخذت الغنى أو الفقر سبباً، أو اتّبعت الهوى ولم تعدل بأن حرّفت الشّهادة، أو أعرضت عنها، فجواب كلّ هذا: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾، فيكفيك أنّ الله ﷻ عليمٌ، وخبيرٌ بما فعلت في عدم إحقاق العدلِ في المجتمعات واتّخاذ شهادة الزّور أو الكذب أو غيره.

في إحدى الرّوايات عن أحد القضاة أنّه كان لديه قضيّة مخاصمةٍ بين خصمين وكان يحبّ الرُّطبَ بشكلٍ كبيرٍ جدّاً وخصوصاً في أوّل أيّامه فجاء أحدهما وقرع باب بيته قبل يومٍ من موعد جلسة المحاكمة وقدّم له سلّةً من الرُّطبِ، فرفضها وأغلق الباب في وجهه مع أنّه يحبّها بشكلٍ كبيرٍ، وفي اليوم التّالي كانت المخاصمة في القضاء، فجاء ذلك الرّجل وخصمه إلى القاضي ووقفا أمامه، فحكم القاضي بالحقّ، لكنّه عندما خرج من دار القضاء ذهب

إلى أمير المؤمنين وقال: يا أمير المؤمنين، والله ما استويا في نظري، لذلك أقدّم استقالتي من القضاء، فاستغرب الخليفة وسأله: عن ماذا تتحدّث يا قاضينا؟ فأجابه: يا أمير المؤمنين، ما استويا في نظري فأقدّم استقالتي، قال: حدّثني، قال هناك قضيّة خلافٍ بين شخصين جاء أحدهما إلى منزلي وقدّم لي الرُّطبَ، ومع أنّني رفضتها، ولكن عندما وقفا في دار القضاء أمامي والله ما استويا، فقلبي مال مع أنّني حكمت بالعدل باتّجاه من جاءني بالرُّطبِ، لذلك أقدّم استقالتي من القضاء، هذا هو العدل الّذي تتحدّث الآية عنه، هذا هو العدل الّذي أقامه النّبيّ ﷺ وقد تربّى سيّدنا أبو بكرٍ وعمر وعليّ وعثمان رضي الله عنهم على هذه المأدبة الإلهيّة من تحقيق العدل في الحكم بين المتخاصمين وإشاعته.

(الآية ١٣٦) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: هذا أوّل إشكالٍ تحدّث عنه المستشرقون في كثيرٍ من كتبهم لعدم معرفتهم بأسرار اللّغة العربيّة؛ ولأنّ المستشرق أو القارئ للقرآن يعتقد عندما يقرأ القرآن أنّه يقرأ كلاماً بشريّاً فيحدث الإشكال، أمّا عندما يُنسب القول للقائل وهو الله ﷻ فترى الأمر واضحاً، والله ﷻ لا حدود لكماله، ولا حدود لكلماته: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩﴾ [الكهف].

كيف يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾؟ وهو يخاطبهم بـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾؟ مثلاً كقول: يا من تشرب اشرب، كيف؟ هذا في اللّغة البشريّة، أمّا هذا الكلام فكلامٌ إلهيٌّ، فما معنى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾؟ نأتي إلى آيةٍ أخرى يقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: من الآية ١]، المتّقي الأوّل على وجه الأرض هو النّبيّ ﷺ، ثمّ يقول له: ﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾؟!

فعندما يقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾ أي حافظوا على إيمانكم؛ لأنّ الإيمان ليس قضيّة كلمةٍ، فمن حوّل الإيمان من عقيدةٍ إلى كلمةٍ يحتاج أن يؤمن، ﴿۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾ [الحجرات].

وعندما يقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ أي يا أيّها النّبيّ داوم على تقوى الله ﷻ، وقوله هنا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾ أي أنّ هذا الإيمان يجب ألّا يكون إيماناً قوليّاً، ويجب عدم تحويل العقيدة إلى كلامٍ.

﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: أي آمنوا حقّ الإيمان.

﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾: القرآن الكريم.

﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ﴾: أي التّوراة والإنجيل والزّبور وصُحف إبراهيم عليه السلام؛ لأنّنا نؤمن بكلّ الأنبياء والكتب، وهذه هي وحدة التّديّن.

﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾: الإيمان بالله إيمان غيب، والإيمان بالملائكة إيمان غيب، والإيمان بالكتب أنّها من عند الله

غيب، فالكتاب بين أيدينا لكن لكونه من عند الله ﷻ فهذا غيب، ولكون إرسال الرّسول وتكليفه بالرّسالة هو غيبٌ بالنّسبة لنا، فالإيمان بالرّسل غيبٌ أيضاً، واليوم الآخر غيبٌ، وهو يوم الحساب، ومبتدأ الإيمان لا يمكن أبداً إلّا أن يكون مع منتهى الإيمان، فمبتدأ الإيمان هو الإيمان بالله ﷻ، ومنتهاه هو الإيمان باليوم الآخر؛ لأنّ نتيجة الإيمان بالله ﷻ وجود يومٍ آخر، ووجود حسابٍ وثوابٍ وعقابٍ وجنّةٍ ونارٍ.

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾: ضلّ ضلالاً بعيداً؛ لأنّه مع كلّ الآيات الكونيّة وكلّ الرّسل والأنبياء والكتب، والإشارات والدّلائل على وجود الله ﷻ، جحد بالإيمان بالله ﷻ، فإذاً هو ضلّ ضلالاً بعيداً.

(الآية ١٣٧) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾﴾:

هؤلاء هم المنافقون؛ لأنّهم آمنوا في أوّل الأمر ثمّ كفروا بعد ذلك، آمنوا أي أظهروا الإيمان، ثمّ كفروا، وبعد ذلك ازدادوا كفراً؛ أي هم قصدوا الفتنة عندما قالوا: آمنوا في أوّل النّهار واكفروا آخره، هم أرادوا الفتنة، ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: من الآية ١٩١]، فلذلك هؤلاء: ﴿لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ ألم يكن الله ﷻ ليهديَهم؟! نعم لم يكن الله ﷻ ليهديهم؛ لأنّهم آمنوا ثمّ كفروا ثمّ ادّعوا بأنّهم آمنوا ثمّ كفروا، هذا إيمان القول وليس إيمان العقيدة.

(الآية ١٣٨) - ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ١٣٨﴾:

المنافق يُظهِر شيئاً، ويبطن غير الحقيقة وغير ما يظهر أمام النّاس، وله اتّجاهان ووجهان، وهو أشدّ إيذاءً وإيلاماً في المجتمع من العدوّ الظّاهر؛ لأنّ العدوّ الظّاهر ترى عداوته، أمّا المنافق فإنّه ذو وجهين، لذلكَ فهو حريٌّ عند الله ﷻ ألّا يكون وجيهاً. وقد أفرد القرآن الكريم الكثير من الآيات حول داءٍ عضالٍ يصيب المجتمعات وهو النّفاق، فهو خطرٌ كامنٌ داخل المجتمعات الإنسانيّة، التي إمّا أن يكون فيها عدوٌّ أو صديقٌ أو منافقٌ، فالصّديق معروفٌ، والعدوّ عداوته ظاهرةٌ معروفةٌ يحتاط الإنسان منها، أمّا المنافق فهو الخطر الكامن داخل الجسد، والّذي يُبدي شيئاً ويخفي شيئاً آخر.

كلمة منافق جاءت من كلمة حيوانٍ صحراويّ اسمه نافقاء اليربوع، وهو حيوانٌ صحراويٌّ مخادعٌ يدخل من بابٍ ويخرج من بابٍ، ديدنه الخداع، والمنافق يخدع المجتمع، وقبل خداعه للمجتمع فهو يخدع نفسه، لذلك قال المولى ﷻ: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: البشارة تكون بالشّيء السّارّ، والإنذار يكون بالشّيء السّيّء، وعندما تبشّر فأنت إذاً تبشّر بخيرٍ، ولكنّ المولى ﷻ استخدم هنا أسلوب التّهكّم والسّخريّة بهم؛ لأنّهم يعتقدون أنّهم يخادعون الله ﷻ. كما تقول إذا جاءك إنسانٌ معروفٌ بالبخل: أهلاً بك يا حاتم الطّائي، فمن المعروف أنّه تهكّمٌ، وهنا يتهكّم الله ﷻ بالمنافقين فيقول: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، أي أنّ العقاب سيكون أليماً في الآخرة على نفاقهم ومخادعتهم.

(الآية ١٣٩) - ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ١٣٩﴾:

دائماً سبب النّفاق الأساسيّ أنّ المنافقين يبتغون شيئاً ما، يحصلون عليه ممّن ينافقون لهم، ففي المدينة المنوّرة كانت فئة المنافقين الّذين ينافقون لمشركي مكّة يقولون لهم: نحن معكم ولكنّنا داخل الجسد الإسلاميّ لننقلَ لكم أخبارهم، فكانوا يبدون شيئاً ويكتمون أشياء أخرى في أنفسهم، وقد اتّخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ابتغاءً للعزّة عندهم، والعزّة متعدّدةٌ: إمّا أن تكون العزّة بالأسباب، أو العزّة بالغنى، أو بالقوّة أو الجاه، فينافق الإنسان طمعاً، أو يُنافق بسبب جهله، فنجد أناساً تُنافق للأغنياء، وأناساً تُنافق لأصحاب السّلطات، وأناساً تُنافق لأصحاب الجاه، وأناساً تُنافق لأصحاب القوّة، ماذا يعني أنّهم ينافقون؟ أي أنّهم لا يقولون الحقيقة، ويبدون غير ما يكتمون، والنّبيّ ﷺ سهّل لنا مهمّة معرفة المنافقين فقال: «**آية المنافق ثلاث، إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»[(١)]، وفي روايةٍ: «**وإذا خاصم فجر**»[(٢)]، فهذه العناصر هي التي توضّح طبيعة المنافق، فهو إذا حدّث كذب؛ لأنّه يبتغي العزّة لمن يعتقد أنّه يملك القوّة والجاه والسّلطة، وهو مخطئٌ في ذلك؛ لأنّ الإنسان في الحياة الدّنيا هو من الأغيار، فصاحب السّلطة أو المال أو الجاه أو القوّة اليوم يكون غنيّاً

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، الحديث رقم (٣٣).

(٢) صحيح البخاريّ: كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، الحديث رقم (٣٤).

وغداً قد يكون فقيراً، اليوم يكون بصحّة وغداً قد يكون مريضاً، اليوم قد يكون عزيزاً وغداً قد يكون ذليلاً، اليوم قد يكون له منصبٌ وغداً يكون خارج المنصب، بسبب هذه العناصر يبتغي هؤلاء العزّة عند مَن يُنافقون له.

﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾: أيبتغون: أي أيريدون، فإنّ الجواب والنّتيجة والقرار: ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾، والعزّة مفردٌ ويقول جميعاً عنها؛ لأنّه ﷻ يجمع كلّ أسباب العزّة بنظر الإنسان، لذلك يقول ﷻ: ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ أي عزّة الغنى والسّلطان والمال والجاه جميعاً لله ﷻ، فهو غنيٌّ لا يفتقر، وقويٌّ لا يضعف، ومالكُ المُلك لا يفتقر لمُلكه، وهو ذو الجبروت وذو الجلال والإكرام، فلا يتغيّر ولا يتبدّل، وهو الكمال والتّمام، ولا يطرأ عليه شيءٌ من عالم الأغيار كما يطرأ على الإنسان وعلى المخلوقات، فالخالق لا يتغيّر، أمّا المخلوقات فهم الذين يتغيّرون.

(الآية ١٤٠) - ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾:

كانت فئةٌ من المنافقين تجلس مع المشركين في المدينة المنوّرة، ويستهزؤون أثناء حديثهم بكلام الله ﷻ وبالقرآن الكريم، فيفضح الله ﷻ هؤلاء المنافقين فيقول: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾: أي نزّل عليكم سابقاً عندما كنتم في مكّة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾؛ لأنّ المأوى واحدٌ وهو في جهنّم وبئس المصير، فالمنافق يستطيع أن يخدع النّاس لكنّه لا يستطيع أن يخادع المولى ﷻ.

(الآية ١٤١) - ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾:

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾: هذه من صفات النّفاق.

﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: فإن كان لكم عطاءٌ من الله ﷻ وقوّة ﴿قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾.

﴿وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ﴾: لاحظوا الفارق بين الكلمة المتعلّقة بالمؤمنين والكلمة المتعلّقة بالمعسكر الآخر الّذي هو معسكر الكفر، أمّا المؤمنين ففتحٌ، وأمّا الكافرين فنصيبٌ؛ لأنّه حتّى أهل الشّرك عندما ينتصرون يكون لهم جزءٌ، ولا بدّ من عودة الجولة والكرّة للحقّ، ولا بدّ للباطل أن يُزهق، قال ﷻ: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء].

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ﴾: أي أنّنا كنّا معكم ونمنعكم من المؤمنين.

﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾؛ لأنّه قد يمرّ في هذه الحياة الدّنيا،

وتعتقد أنّ المنافق يفلت من عقاب الله ﷻ، فالله ﷻ يقول بأنّه يحكم بين الجميع يوم القيامة، يوم الحساب: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨﴾ [الشّعراء].

ويذيّل المولى ﷻ الآية بقوله: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾: توقّف العلماء عند هذه الآية، بعضهم يقول: كيف يقول الله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾، ونرى مثلاً الصّهاينة واجتياح المغول والتّتار والفرنجة لبلاد المسلمين وما جرى بهم عبر الزّمن، فكيف يقول هذا ونحن نرى الواقع بحسب وجهة نظرنا بأنّه مخالفٌ، والحقيقة ليست كذلك أبداً! الواقع مطابقٌ تماماً لكلام الله ﷻ؛ لأنّه ﷻ يقول: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ۝١٢٢﴾ [النّساء: من الآية ١٢٢]، نحن لم ننتبه بأنّ الله ﷻ قال: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾، لم يقل: على المسلمين سبيلاً، وهناك فارقٌ كبيرٌ جدّاً: ﴿* قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾ [الحجرات: من الآية ١٤]، ما هو الفارق ما بين الإيمان والإسلام؟ هناك فارقٌ كبيرٌ وهو مشكلة هذه الأمّة، وهو المشكلة الحقيقيّة التي نقع فيها، يقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾ [محمّد]، ويقول جلّ وعلا: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٤٧﴾ [الرّوم: من الآية ٤٧]، ولم يقل: وكان حقّاً علينا نصر المسلمين؛ لأنّ الإسلام هو كلمةٌ تُقال، وهو طاعاتٌ يُتعبّد من خلالها، كالصّلاة والصّيام والحجّ والزّكاة، لكنّ الإيمان لا بدّ له من تُرجمان، ودائرة الإيمان أوسع وأشمل، فالله تعالى يعطي صفاتٍ للمؤمنين كلّها مترجمة بأفعالٍ وأعمالٍ، وهذه الأعمال

هي في أثر هذا المؤمن على غيره وعلى نفسه وعلى أسرته وعلى مجتمعه ووطنه وعلى الإنسانيّة جمعاء، بدقّةٍ أكثر، صحيحٌ أنّك تؤمن بالله ﷻ وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقضاء خيره وشرّه، لكنّ الإيمان وصفه النّبيّ ﷺ بقوله: «**الإيمان بضعٌ وسبعون، أو بضعٌ وستّون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلّا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطّريق**»(١)، فإماطة الأذى عن الطّريق شعبةٌ من شعب الإيمان، هذه واحدةٌ، ثانيّاً يقول النّبيّ ﷺ: «**ما آمن بي من بات شبعانَ وجاره جائعٌ إلى جنبه وهو يعلم به**»(٢)، علّق إيمانه، يقول النّبيّ ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتّى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه**»(٣)، ويقول ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتّى يكون هواه متّبعاً لما جئت به**»(٤)، نريد أن نرى ترجمة هذا الكلام، هل هي موجودةٌ؟ أين هو وجودها؟ يقول ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: من الآية ١٠]، ويقول جلّ جلاله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، الحديث رقم (٣٥).

(٢) المعجم الكبير للطّبرانيّ: باب الألف، أنس بن مالك الأنصاريّ، الحديث رقم (٧٥١).

(٣) صحيح البخاريّ: كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه، الحديث رقم (١٣).

(٤) كنز العمّال: ج١، ص ٢١٧، الحديث رقم (١٠٨٤).

﴿فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات]، ويقول النّبيّ ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسّهر والحمّى**»[1]، الإيمان ما وقر في القلب وصدّقه العمل؛ فمن إماطة الأذى عن الطّريق إلى الإحسان بالوالدين إلى الجيران إلى الأخوّة، كما قال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتّى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه**»[2]، كلّ هذه المعايير هل تنطبق؟ قد تكون مسلماً ولكنّك تغتاب، ولا يكون المؤمن كذّاباً. فهل تكذّب وتصلّي، تغتاب وتصوم، تحجّ وتفسق وترفث؟ هناك إيمانٌ وهناك إسلامٌ وهناك إحسانٌ، والإحسان هو القمّة؛ أن تعبد الله ﷻ كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك، لذلك قال المولى ﷻ: ﴿* قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ﴾ [الحجرات: من الآية ١٤]، ونلاحظ أنّ الله ﷻ قال هنا: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ وصفة المؤمن أنّه يؤمن بكلّ عناصر الإيمان، من الإيمان بالله ﷻ وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهو لا يكذب ولا يغتاب ولا ينمّ ولا يؤذي الجيران، ويبرّ الوالدين، وهو متحابّ مع إخوانه، ومع مجتمعه، وهو مصدرٌ للخير، ويميط الأذى عن الطّريق، و...، قال ﷻ:

---

(١) صحيح مسلم: كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، الحديث رقم (٢٥٨٦).

(٢) صحيح البخاريّ: كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه، الحديث رقم (١٣).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧﴾ [الكهف]، فهل نجد هذه المعايير منطبقة؟ فإذا انطبقت هذه المعايير فلن يجعل الله ﷻ للكافرين على المؤمنين سبيلاً أبداً، وستجد هذه المعايير التي حدّدها النّبيّ من إماطة الأذى عن الطّريق مروراً بكلّ هذه الأمور، لا حسد ولا حقد ولا كذب ولا افتراء ولا رشوة ولا سرقة ولا زنى، عندما عرّف الإيمان.

(الآية ١٤٢) - ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢﴾:

يعتقد المنافقون أنّهم يخادعون الله ﷻ، وهو خادعهم، هنا استخدم المشاكلة اللّفظيّة، لذلك لا نقول: إنّ الله ﷻ خدّاع، لا يسمّى المولى ﷻ إلّا بالأسماء التي سمّى بها نفسه، كما قال ﷻ: ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠﴾ [الأنفال: من الآية ٣٠]، فلا تقلْ: إنّ اسماً من أسماء الله ﷻ الماكر أو المخادع، هذه باللّغة من جنس المشاكلة اللفظيّة، والمخادعة هي التّبييت بخفاءٍ مع كذبٍ؛ فالمنافقون يخادعون الله ﷻ أي يبيّتون بالخفاء ويكذبون، والله ﷻ خادعهم أي يبطل تبيّتهم.

﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾؛ لأنّهم في الأصل لا يهمّهم إلّا الأشكال، أن يُقال عنهم: إنّهم من المسلمين، وهم ليسوا من المؤمنين، يقومون إلى الصّلاة كسالى؛ لأنّهم لا يفهمون معنى الصّلاة بأنّها صلةٌ مع الخالق، وأخلاقٌ مع الخلق، وقد كان النّبيّ ﷺ يقول عن الصّلاة: «**يا بلال،**

أقم الصّلاة، أرحنا بها»[1]، أمّا هؤلاء فيقولون: أرحنا منها يا بلال.

﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾: الرّياء هو من الشّرك الخفيّ، وبيّن النّبيّ ﷺ هذا عن الرّياء؛ فعن شدّاد بن أوس أنّه بكى فقيل له: ما يُبكيك؟ قال: شيءٌ سمعته من رسول الله ﷺ فأبكاني، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أخوف ما أخاف على أمّتي الشّرك والشّهوة الخفيّة**»، قلت: يا رسول الله! أتشرك أمّتك من بعدك؟ قال: «**نعم، أَمَا إنّهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولا وثناً، ولكن يراؤون بأعمالهم**»[2]؛ أي أنّهم منافقون يعملون العمل من أجل النّاس، ويقولون: إنّه لله ﷻ.

﴿وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾؛ لأنّ ذكر الله ﷻ هو ضدّ النّسيان، فأنت إذا ذكرت الله ﷻ اتّبعت أوامره، وكنت معه، وهنا أساسٌ من أُسس الإيمان، فعندما أردف النّبيّ ﷺ ابن عمّه ابن عبّاس رضي الله عنهما خلفه، علّمه مقتضى ومختصر الإيمان الّذي نتحدّث عنه، عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: كنت خلفت رسول الله ﷺ يوماً فقال: «**يا غلام، إنّي أعلّمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنّ الأمّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلّا بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضرّوك بشيءٍ لم يضرّوك إلّا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رُفِعَت الأقلام وجَفَّت**

---

(١) سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة، الحديث رقم (٤٩٨٥).

(٢) مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد: المجلّد الثّالث، ص ٢٥٩، الحديث رقم (٥٢٢٦).

الصُّحُف»[1]، إذا آمن الإنسان بهذا الكلام فمعناه بأنّه يذكر الله ﷻ ولا ينساه، وهذا هو حقيقة وجوهر الإيمان بالله ﷻ.

(الآية ١٤٣) - ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ١٤٣﴾:

المنافقون مذبذبون؛ لأنّهم يميلون مثلما يميل الهوى معهم، فإذا كانت القوّة في هذا الطّرف فإنّهم يميلون إليه، وإن كانت في الطّرف الآخر يميلون إليه، إن كان المال في هذا الطّرف يذهبون إليه، وإن كان مع الآخر فيذهبون إليه، فهم كما قيل:

رأيتُ النّاسَ قَدْ مَالوا ... إلى مَن عِنْده مالُ
ومَن لا عِنْدَهُ مالُ ... فعنه النّاسُ قَدْ مَالوا
رأيتُ النّاسَ قَدْ ذهَبوا ... إلى مَن عِندَه ذَهَبُ
ومَن لا عِنْدَه ذهَبُ ... فعنه النَّاسُ قد ذَهَبُوا
رأيتُ النّاسَ مُنفضّة ... إلى مَن عِنْده فِضّة
ومَن لا عِنْدَه فِضّة ... فَعنهُ النَّاسُ مُنفضّة

مذبذبين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، أين تكون الفضّة، أين يكون الذّهب، أين يكون المال، أين تكون القوّة، أين تكون العزّة كما يعتقدون فإنّهم يذهبون.

---

(١) سنن التّرمذيّ: كتاب صفة القيامة والرّقائق والورع عن رسول الله ﷺ، الحديث رقم (٢٥١٦).

وكلمة ذبذب: من الذّباب الّذي يذبّ ثمّ يعود.

﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾؛ لأنّ الله ﷻ هداهم فاختاروا العمى على الهدى: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣﴾ [الإنسان]، وبيّن الله تعالى لنا الطّريق والهداية، وأرشدنا إلى الطّريق، لكن إن اخترت طريق الضّلال فإنّ الله ﷻ يعينك عليه، وإن اخترت طريق الهداية فإنّ الله تبارك وتعالى يعينك عليه، وهذا هو المقصود بقول الله جلّ وعلا: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾؛ لأنّه هو اختار الضّلال فأضلّه الله تبارك وتعالى على علمٍ.

(الآية ١٤٤) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ١٤٤﴾:

يقول الله ﷻ لهم: لا تتّخذوا مشركي مكّة أولياء تطلبون الولاية منهم لاعتقادكم أنّ العزّة عندهم من دون المؤمنين.

﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا﴾: سلطاناً: أي حجّةً واضحةً باتّخاذكم المشركين أولياء من دون المؤمنين، فتستوجبوا منه ما استوجبه أهلُ النّفاق الذين وصف لكم صفتهم، وأخبركم بمصيرهم.

(الآية ١٤٥) - ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ١٤٥﴾:

في الجنّة درجاتٌ، وللشّرك والنّفاق في النّار دركاتٌ، فالمنافقون في الدَّركِ الأسفل من جهنّم.

﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا﴾: لن تجد لهؤلاء المنافقين -يا محمّد- من الله ﷻ إذا جعلهم في الدّرك الأسفل من النّار ناصراً ينصرهم منه، فينقذهم من عذابه، ويدفع عنهم أليمَ عقابه.

(الآية ١٤٦) - ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا ١٤٦﴾:

حتّى لا يعتقد الإنسان بأنّ الأبواب قد أُغلقت، فتح الله ﷻ باب التّوبة فقال جلّ وعلا: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، استثنى المولى ﷻ الذين تابوا، لكنّه بيّن علائم التّوبة، وهي الإصلاح، أن تصلح ما أفسدتَ، وأن تكون بقلبك خالصاً لله ﷻ؛ لأنّ الغايات من الأحداث هي التي تضفي على الجوارح الإقبال على الأحداث، فيجب أن يكون الإنسان معتصماً بالله ﷻ، مخلصاً دينه لله ﷻ، وإخلاص الدّين لله ﷻ أن يبتعد عن الرّياء وعن النّفاق بكلّ جوانبه واتّجاهاته؛ لذلك فإنّ الله ﷻ يقول: ﴿وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ هذا الأجر لن يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً في الدّنيا إن كانوا مؤمنين، وفي الآخرة سيكون لهم الجزاء العظيم، سيؤتيهم الأجر العظيم، وهو على قدر المُعطي، فدائماً العطاء ينسب إلى من يعطي، فإذا كان هذا العطاء من ربٍّ عظيمٍ كريمٍ، فيكون هذا العطاء وهذا الأجر عظيماً على قدر عظمة المُعطي ﷻ.

(الآية ١٤٧) - ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾:

هنا فتح الله ﷻ باب التّوبة؛ لأنّه لا يريد المعصيّة، ولا العصاة، ولا يريد أن يعذّب النّاس.

﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ﴾: فالله ﷻ يقول في الحديث القدسيّ: «**يا عبادي لو أنّ أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أتقى قلب رجلٍ واحدٍ منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي، لو أنّ أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أفجر قلب رجلٍ واحدٍ ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أنّ أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني فأعطيت كلّ إنسانٍ مسألته ما نقص ذلك ممّا عندي إلّا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر، يا عبادي إنّما هي أعمالكم أحصيها لكم ثمّ أوفيكم إيّاها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلّا نفسه**»[(١)]، فهي ابتلاءاتٌ للنّاس، وهي أعمالٌ، من هذا المنطلق وعلى هذا الأساس: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ﴾؛ لأنّ الله ﷻ شاكرٌ عليمٌ، وهو القائل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: من الآية ٧]، أي كلّما شكرتم كلّما زاد عطاؤه ﷻ، وهنا قدّم الشّكر على الإيمان؛ لأنّ الشّكر يتعلّق بالنّعمة والإيمان يتعلّق بالمنعم، فالإنسان أوّلاً يرى النّعمة وبعد

(١) صحيح مسلم: كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب تحريم الظّلم، الحديث رقم (٢٥٧٧).

ذلك يؤمن بالمنعم، والله ﷻ أرحم من كلّ البشر بالبشر؛ لأنّه خالقهم وربّهم، وما خلقهم من أجل أن يعذّبهم: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾، فالإنسان كلّما شكر كلّما زاد ما يتلقّاه من عطاء الله ﷻ.

تَمَّ بِفَضْلِ اللهِ تعالى تَفْسِيرُ الجزْءِ الخَامِسِ

اللَّهمَّ لَكَ الحمدُ بالإسلامِ، ولَكَ الحمدُ بالإيمانِ، ولَكَ الحمدُ بالقُرآنِ، ولَكَ الحمدُ بالمالِ والأهلِ والمعافاةِ، اللَّهمَّ لكَ الحمدُ أنت نورُ السَّمواتِ والأرضِ ومَن فيهنّ، ولَكَ الحمدُ أنت قَيّومُ السّموات والأرضِ ومَن فيهنّ، ولكَ الحمدُ أنت الحقُّ ووعُدك حقٌّ وقولُك حقٌّ، ولقاؤك حقٌّ، والجنّةُ حقٌّ، والنّارُ حقٌّ، والنّبيّون حَقٌّ، ومحمّدٌ ﷺ حَقٌّ، والسّاعةُ آتيةٌ لا رَيبَ فيها، وأنّك تبعَثُ مَنْ في القبور.

اللَّهمَّ اجْعَلِ القُرْآنَ لِقُلُوبِنَا ضِياءً، وَلِأَبْصَارِنَا جَلاءً، وَلِأَسْقَامِنَا دَوَاءً، وَلِذُنُوبِنَا مُمَحِّصَاً، ومِنَ النِّيرَانِ مُخَلِّصَاً، وهَبْ لَنا رِعايَة حَقِّهِ، وحِفْظَ آياتِهِ، وعَمَلاً بِمُحْكَمِهِ وَإِيماناً بِمُتَشَابِهِ.

سُبحانَ ربّك رَبِّ العزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وسَلامٌ عَلى المُرْسَلِينَ، والحمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين.

فهرس

رقم الآية – نصّ الآية **رقم الصّفحة**

تفسير سورة (النّساء) من الآية: (٢٤–١٤٧):

٢٤- ﴿* وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ ... ٩

٢٥- ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ ... ١١

٢٦- ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ ١٣

٢٧- ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ ١٣

٢٨- ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ ١٤

٢٩- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩﴾ ١٧

٣٠- ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ٣٠﴾ ٢٣

٣١- ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ٣١﴾ ٢٤

٣٢- ﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٣٢﴾ ٢٥

٣٣- ﴿وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ٣٣﴾ ٢٧

٣٤- ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾ ٢٧

٣٥- ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن

يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ﴿٣٥﴾ ﴾ ... ٣٢

٣٦- ﴿* وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ ٣٣

٣٧- ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٣٧﴾ ﴾ ٤٥

٣٨- ﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ﴿٣٨﴾ ﴾ ٤٨

٣٩- ﴿ وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ ﴾ ٥٠

٤٠- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ ﴾ ٥١

٤١- ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴿٤١﴾ ﴾ ٥٤

٤٢- ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ﴿٤٢﴾ ﴾ ٥٥

٤٣- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ

مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا
فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ٥٦

٤٤- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟
ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾﴾ ٥٨

٤٥- ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ ٥٩

٤٦- ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾ ٦٠

٤٧- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن
نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ
أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾ ٦٢

٤٨- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ
ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ ٦٣

٤٩- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾
..... ٦٤

٥٠- ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾﴾ ٦٥

٥١- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ
وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ ... ٦٦

٥٢- ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ٥٢﴾ ٦٨
٥٣- ﴿أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ٥٣﴾ ٦٩
٥٤- ﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ ۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ٥٤﴾ ٧١
٥٥- ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ٥٥﴾ ٧٤
٥٦- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ٥٦﴾ ٧٥
٥٧- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا ۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ ۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ٥٧﴾ ٧٦
٥٨- ﴿* إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾ ٧٨
٥٩- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ ٨٤
٦٠- ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ٦٠﴾ ٩٠
٦١- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ٦١﴾ ٩٢

٦٢- ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾ ٩٣
٦٣- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾ ٩٤
٦٤- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ ٩٦
٦٥- ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ ٩٩
٦٦- ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾ ١٠١
٦٧- ﴿وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾﴾ ١٠٢
٦٨- ﴿وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾ ١٠٢
٦٩- ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ ... ١٠٢
٧٠- ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ ١٠٤
٧١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾﴾
..... ١٠٤

٧٢- ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ٧٢﴾ ١٠٥

٧٣- ﴿وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧٣﴾ ١٠٥

٧٤- ﴿*فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ٧٤﴾ ١١٣

٧٥- ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ٧٥﴾ ١١٤

٧٦- ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾ ١١٤

٧٧- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ٧٧﴾ ١١٦

٧٨- ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ٧٨﴾ ١١٨

٧٩- ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ ١٢١

٨٠- ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ ١٢١

٨١- ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾ ١٢٥

٨٢- ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ ١٢٦

٨٣- ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ ١٣٤

٨٤- ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ ١٤٢

٨٥- ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾ ١٤٣

٨٦- ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ ١٤٥

٨٧- ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾ ١٤٧

٨٨- ﴿* فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ٨٨﴾ ١٤٩

٨٩- ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ٨٩﴾ ١٥٠

٩٠- ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ٩٠﴾ ١٥٣

٩١- ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ٩١﴾ ١٥٤

٩٢- ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ

مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ ١٥٥

٩٣- ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ ١٥٧

٩٤- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾﴾ ١٥٨

٩٥- ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ ١٥٩

٩٦- ﴿دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ ١٦١

٩٧- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ ١٦١

٩٨- ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾﴾ ١٦٤

٩٩- ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ ١٦٤

١٠٠- ﴿* وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ

مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٠﴾ ١٦٤

١٠١- ﴿وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴿١٠١﴾ ١٦٨

١٠٢- ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ يُصَلُّواْ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٠٢﴾ ١٧٣

١٠٣- ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴿١٠٣﴾ ١٧٥

١٠٤- ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٠٤﴾ ١٧٦

١٠٥- ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿١٠٥﴾ ١٧٨

١٠٦- ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٦﴾ ١٨١
١٠٧- ﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ١٠٧﴾ ١٨٢
١٠٨- ﴿يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ١٠٨﴾ ١٨٣
١٠٩- ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلٗا ١٠٩﴾ ١٨٣
١١٠- ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾ ١٨٤
١١١- ﴿وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١١١﴾ ١٨٤
١١٢- ﴿وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ١١٢﴾ ١٨٤
١١٣- ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣﴾ ١٨٥
١١٤- ﴿۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ

أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ١٨٩
١١٥- ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ ١٩٠
١١٦- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ
بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ ١٩١
١١٧- ﴿إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾﴾
..... ١٩١
١١٨- ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ﴿١١٨﴾﴾ .. ١٩٢
١١٩- ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ
وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ
فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ﴿١١٩﴾﴾ ١٩٣
١٢٠- ﴿يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ ١٩٤
١٢١- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنۡهَا مَحِيصٗا ﴿١٢١﴾﴾ .. ١٩٥
١٢٢- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا
ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ
قِيلٗا ﴿١٢٢﴾﴾ ١٩٥
١٢٣- ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ
وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٢٣﴾﴾ ١٩٧
١٢٤- ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ

يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾ ١٩٨
١٢٥- ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴿١٢٥﴾﴾ ١٩٨
١٢٦- ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطَۢا ﴿١٢٦﴾﴾
..... ٢٠٠
١٢٧- ﴿وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا ﴿١٢٧﴾﴾ ٢٠١
١٢٨- ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٢٨﴾﴾ ٢٠٤
١٢٩- ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٢٩﴾﴾ ٢٠٧
١٣٠- ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ﴿١٣٠﴾﴾
..... ٢٠٨
١٣١- ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي

ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ ﴾ ٢٠٩

١٣٢- ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾﴾ ٢٠٩

١٣٣- ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ ﴾ ٢١٠

١٣٤- ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ﴾ ٢١١

١٣٥- ﴿* يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ ٢١٣

١٣٦- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ ٢١٦

١٣٧- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ ﴾ ٢١٨

١٣٨- ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ﴾ ٢١٩

١٣٩- ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ ٢٢٠

١٤٠- ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا

تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٢٢١

١٤١- ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ ٢٢٢

١٤٢- ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ ٢٢٦

١٤٣- ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾ ٢٢٨

١٤٤- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾ ٢٢٩

١٤٥- ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ ... ٢٢٩

١٤٦- ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ .. ٢٣٠

١٤٧- ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ ٢٣١

تضرّع ودعاء ٢٣٣

فهرس: ٢٣٥